مجلة رهانات

عدد 55 . 2021

محتويات العدد

افتتاحية العدد 2

• عبد الكبير الخطيبي : المثقف المستعصي على التدجين 2

ملف العدد : عبد الكبير الخطيبي المثقف المستعصي على التدجين 4

• الذاكرة الموشومة: خطاب في الهوية والاختلاف - محمد مرشد 4

• الممارسة السوسيولوجية من منظور عبد الكبير الخطيب - جواد أكدال 10

• النقد المزدوج : الهوية وآفاق الاختلاف في مجتمعات التعدد - عصام موخلي 19

• النقد المزدوج في سوسيولوجيا العالم العربي: نحو سوسيولوجيا مغايرة - عثمان لكعشمي 30

• الخطيبي و النقد المزدوج التأسيس المعرفي السوسيولوجي لخطاب المغايرة - حوسى أزارو 41

حوار العدد 53

• حوار حول المشروع الفكري للسوسيولوجي عبد الكبير الخطيبي مع الباحث والناقد المغربي مراد الخطيبي 53

دراسات 58

• دور البعد الأمني في تسريع المسلسل السياسي الأممي لحل النزاع حول الصحراء المغربية - عبد الله عشاش 58

قراءة في كتاب 74

• محمد عزيز الحبابي والأفكار الممتدة - عبد الصمد مرون 74

نافذة فكرية 76

• الثقافة و كوفيد 19 داخل ثنائية الامتداد و التطور : نظرات استشرافية في بعض النماذج - سكينة الريفي 76

• عبد الكبير الخطيبي : حفر سوسيولوجي في الثقافة الشعبية - محمد أكديد 81

ترجمة 84

• كرونواوجيا نشر الصين للمعلومات عن COVID-19 والنهوض بالتعاون الدولي استجابة للأوبئة (الجزء الثالث): - محمد عبد الوهاب العلالي 84

إبداعات 100

• قصة قصيرة : «الزائر المدهش» - زهير الخراز 100

مجلة رهانات

مجلة فكرية ثقافية فصلية جامعة تصدر عن
مركز الدراسات والأبحاث الإنسانية · مدى ·
ملف الصحافة: 45 ص 05
رقم الإيداع القانوني 2006-142

عنوان المراسلة:
مركز الدراسات و الأبحاث الإنسانية
29 زنقة عمر السلاوي - الدار البيضاء
الهاتف: 27 42 22 22 05
rihanatmada98@gmail.com
www.madacenter.ma

المدير
المختار بنعبدلاوي
رئيس التحرير
زكرياء أكضيض
أعضاء هيئة التحرير
محمد جليد
حياة الدرعي
محمد لهبوز
عبد الإله الكلخة
عبد العالي صابر
عبد اللطيف الحاجي
عبد الرزاق بلال
الغلاف و الإخراج الفني
المهدي نجمي
محمد أمين نجمي
الطبع
VIVA print
0522505696

التوزيع
سابريس - الدار البيضاء

جميع الآراء الواردة في هذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها و لا تعكس بالضرورة رأي المجلة

شروط النشر في مجلة رهانات

1. المجلة لا تنشر بحوثا سبق نشرها أو أنها معروضة للنشر في مكان آخر.
2. ضرورة اعتماد الأصول العلمية المتعارف عليها في كتابة الأبحاث و خاصة فيها يتعلق بالتوثيق و الإشارة إلى المصادر و المراجع.
3. يجب ألا يتجاوز عدد كلمات الدراسة 3000 كلمة.
4. على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن سيرته العلمية، إلى جانب صورته الشخصية.
5. البحوث و الدراسات التي تقترح هيئة التحرير إجراء تعديلات عليها أو إضافات إليها تعاد إلى أصحابها لإجراء التعديلات المطلوبة قبل نشرها.

عبد الكبير الخطيبي
المثقف المستعصي على التدجين

د. المختار بنعبدلاوي

عاد الخطيبي إلى المغرب، بعد أنهى دراسته في جامعة السوربون في فرنسا في أواسط ستينيات القرن الماضي، والتحق مباشرة بشعبة الفلسفة وعلم الاجتماع في كلية الآداب بجامعة محمد الخامس. كان الخطيبي شخصية متعددة المواهب منذ الطفولة، وسبق له أن خط عددا من القصائد الشعرية باللغة العربية وهو ما يزال يافعا؛ وهو ما أهله لاحقا لكي يصبح مبدعا وقارئا وناقد للأدب المغربي، ومُقدما له ومُعرفا به في فرنسا. عزز الخطيبي ترسانته اللغوية خلال فترة الاغتراب بإتقان اللغة الفرنسية، وعاد وهو يحمل في جعبته مواهب متعددة تتقاطع فيها كل من الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس، وترتبط جميعا في وجدانه بالأدب... هذه العوامل جميعا ساعدت الخطيبي على أن يجمع في داخله بين روح المبدع بلغته الشفافة والأنيقة، وعقله الناقد وذوقه الفني الرفيع، بالإضافة إلى أصالة الباحث الاجتماعي.

كان الخطيبي أحد أبرز المؤسسين لفكر وثقافة مغرب ما بعد الاستقلال، ولو أنه لم يسع بوعي وإرادة إلى لعب مثل هذا الدور... كانت الساحة الثقافية المغربي فارغة أو تكاد، وكانت روح الخطيبي تنضح بالحيوية، وتحفل بروح الفعل والمبادة، فانخرط مباشرة في عمله الروائي الأول "الذاكرة الموشومة"، وكان قبل ذلك، قد انخرط في عدد من المبادرات المؤسسة للمغرب الجديد، فانضم لاتحاد كتاب المغرب، الذي كان يلعب دورا رائدا حينها، ونشط في صفوف النقابة الوطنية للتعليم، كما أنه لم يقف محايدا إزاء إغلاق "معهد علم الاجتماع"، وعبر عن أسفه على إغلاق هذه المؤسسة القيمة التي رأى أنها كانت تقدم خدمة عمومية لطلبة مغاربة يحدوهم الأمل في مستقبل أفضل... طيلة هذه الفترة كان إسهام الخطيبي أساسيا في إرساء قواعد البحث الاجتماعي بالمغرب، إلى درجة أنه يمكن اعتباره إلى جانب زميله وصديقه بول باسكون مؤسسين لهذا المبحث بالمغرب.

شخصيته المتحررة من كل القيود جعلته يضع الحرية الفكرية على رأس منظومته القيمية، فقد كان يرى ألا إبداع إلا على قاعدة الحرية، وأنها، أي الحرية، مفتاح الابتكار والتجديد، على المستوى الجماعي كما على المستوى الفردي لأنه إذا كانت الأولى هي التي تسمح للشعوب الخارجة من ربقة الاستعمار بالمصالحة مع الذات وإعادة بناء ذاكرتها الثقافية، وترميم جراحها، فإن الحرية الفردية هي ما يتيح الإبداع والتجديد، وهي ما يمنح القيمة الأخلاقية للموقف، ويعطي الحق في الرفض؛ بل ويفتح أبواب المقاومة عندما يسود الفكر أو اللون الواحد، وهو ما يجعل الاختلاف مشروعا... بل يرتقي به إلى مستوى الحق، والشرط اللازب لإعطاء المعنى لقيمة الحياة.

اهتمام الخطيبي ببناء مغرب ما بعد الاستقلال على أسس الحق في الحرية والاختلاف، في مختلف أوجه النشاط الاجتماعي، كما في مجالات الأدب والعلوم الإنسانية لم يأت على حساب علاقاته العلمية وروابط التعاون الأكاديمي التي تربطه بعدد من الباحثين المرموقين على المستوى العالمي، فقد أقام علاقات صداقة وتعاون مع عدد من الباحثين البارزين في مجالات العلوم الإنسانية والأدب في حينه؛ مثل رولاند بارت، وديريدا، وفردينياند بروديل، كما تأثر وتفاعل مع مختلف التيارات الفكرية التي كانت سائدة حينه مثل الظاهراتية والبنيوية، والوجودية التي انعكست ملامحها في أعماله الأدبية والنقدية، إلى جانب شغفه البالغ بعلم الإناسة (أنثروبولوجيا) والسيميولوجيا التي ألهمته الاهتمام بالموسيقى والوشم والخط العربيين... ولعل كل هذا الفعل التأسيسي كان ينضوي تحت عنوان ما كان يصطلح عليه الخطيبي بنزع السمة الاستعمارية عن الثقافة المغربية.

وحدة الشعوب المغاربية كانت حاضرة باستمرار في قلب وفي ذهن الخطيبي؛ كان يرى أن هذه الشعوب يجمعها الكثير، وأنها قادرة على توفير شروط تنمية حقيقية في حال وحدتها، لكنه لاحظ أن هناك بالمقابل تضاربا في الأولويات بين رجل السياسة الذي يفكر من منطلق السلطة والمصلحة الخاصة، والمثقف الذي يرى أن الاستقلال والتحرر الحقيقيين لا يمكن أن يتحققا إلا في ظل هذه الوحدة، وهو ما جعله يظل عاجزا عن فهم أو استيعاب استمرارية إغلاق الحدود بين البلدين الشقيقية؛ المغرب والجزائر بالرغم من وفرة المصالح الاقتصادية، وقوة الروابط الثقافية. كل هذه الخصائص والموصفات تجعل من عبد الكبير الخطيبي أحد رواد الحداثة المغربية، وشخصية فذة جمعت بين الكفاءة العلمية، والالتزام الثقافي والمدني، والاستقلالية والنزاهة الفكرية. ■

الذاكرة الموشومة: خطاب في الهوية والاختلاف

محمد مرشد
باحث في علم الاجتماع

يشكل مؤلف "الذاكرة الموشومة" نصا مؤسّسا بامتياز؛إذيقدم الخطيبي في هذا النص معظم المفاهيم التي سوف يبلورها فيما بعد من خلال كتابات أخرى. [1] و هو يمثل كذلك لحظة فارقة و أصيلة في تاريخ الكتابة الأدبية و الفلسفية في المغرب (أو في المغارب إن شئنا القول).و تتجلى أصالة هذا النص المؤسّس في كونه يمتح استدلاله النظري و بنيته المفاهيمية من الثقافة المغربية (المغاربية)، من جهة أولى، و من الفلسفة الغربية، و خاصة فلسفة نيتشه و هيدجر و بلانشو و ليفناس و فوكو و ديريدا، من جهة أخرى.

يقدم الخطيبي في هذا النص، و الذي يتخذ شكل سيرة ذاتية، الأسس النقدية التي ينبني عليها تصوره لإشكالية مركزية حاول الاشتغال عليها و إعادة بناء أسسها النظرية، و يتعلق الأمر بإشكالية الهوية. غير أن هذا النقد الذي يؤسس خطاب (الخطيبي حول) الهوية لا يرتبط بالذات فقط، وإنما يتوجه كذلك إلى الآخر. إنه، بلغة الخطيبي، نقد مزدوج، يجعل الحديث عن هوية مكتملة ومنغلقة على ذاتها أمرا غير ذي قيمة. بتعبير آخر، إن الفكر النقدي الذي يسعى الخطيبي إلى تأسيسهيتوجه إلىمفهوم الذات، غير أن هذه الذاتية لا تكتسب دلالاتها إلا من خلال توجهها نحو الآخر، بشكل لا يلغي خصوصيتها وتفردها، و لكن يجعلها تؤمن بالهوية في إطار الاختلاف. يقول الخطيبي في هذا الصدد: "لا يمكن فصل الهوية عن الاختلاف". [2]

تمثل هذه المساهمة محاولة في التعريف بالمشروع الفكري لعبد الكبير الخطيبي من خلال إشكالية الهوية والاختلاف. و هي محاولة سنعمل من خلالها على الإجابة عن السؤال المركزي التالي:**كيف يعمل الخطيبي من خلال مؤلفه "الذاكرة الموشومة" على إبراز الأسس النقدية لخطاب الهوية و الاختلاف؟** ويتطلب منا الاشتغال على هذا السؤال، بداية، العودة إلى كتاب الذاكرة الموشومة، و محاولة الوقوف على أهم الدلالات الفلسفية التي يقوع عليها هذا النص، ثم العمل على إبراز الأسس الفكرية التي ينبني عليها خطاب الهوية و الاختلاف عند عبد الكبير الخطيبي.

1. الذاكرة الموشومة: خطاب فلسفي بصيغة سردية

أ. في رمزية العنوان

يقدم العنوان عادة موضوع الكتاب أو فكرته الرئيسة، غير أنه يعبر كذلك عن شخصية الكاتب (الشخصية الأدبية)؛ فاختيار العنوان لا يمكن أن يكون اختيارا عرَضِيا أو تلقائيا، و إنما ينبغي أن يعبر عن علاقة بين النص و كاتبه. إنه نتاج لتفاعل المنتج بالمنتوج، فهو يعكس مدى قدرة الكاتب و أصالته في تقديم نصه من خلال تأمل بعدي في هذا النص. بهذا المعنى، يمكننا القول إن العنوان بوابة النص التي من خلالها يلج القارئ فكر المؤلف، و يتعرف على نمط كتابته.

إن كتاب الذاكرة الموشومة كتاب

أصيل (authentique)، و تتجلى هذه الميزة منذ البداية؛ فالعنوان الذي يقدمه الخطيبي لا ينتمي إلى فئة العناوين المألوفة و المتداولة، و إنما يستدعي منا بحثا في دلالاته و تأملا في رمزيته. و لعل هذا ما يجعل قراءة كتابات الخطيبي، عموما، تبدو صعبة منذ البداية؛ فهو يضع القارئ أمام تمرين البداية، تمرين الولوج إلى المتن، و الذي غالبا ما يفشل فيه القارئ المتسرع أو الباحث عن المعنى المباشر (السطحي). فما الدلالات المرتبطة بالعنوان؟ و ما رمزية هذا الاختيار؟

تحيلنا كلمة "الذاكرة" على مفاهيم من قبيل التاريخ و المتقطع و المستحضر و البعيد و القابع و العميق و الدفين... أما"الوشم"، فيرتبط بالأثر و بالحاضر و بالاستمرارية و بالمجتمع و بالثقافة و بالأسطورة و بالأشكال و الرموز.. إننا إزاء عالمين متفاعلين و متداخلين: عالم الماضي و عالم الحاضر، عالم التاريخ و عالم المجتمع. بعبارة أخرى، نستطيع القول إن للوشم وظيفة، قد تبدو للفاعل (الاجتماعي) وظيفة مباشرة و عفوية، و لكن الباحث ينفذ إلى ما هو أعمق من ذلك بكثير، فيضحى بذلك الوشم تعبيرا عن وظيفة أخرى : إضفاء الطابع المادي على ذلك المحجوب و الملفوف و المستتر، و تحويله إلى رموز بفعل الكتابة. "الكتابة وشم"، فهي تترك علامات ظاهرة على الجسد، و لكنها تنفذ عميقا لتترك آثارا في الفكر و المعتقدات و اللغة و الذاكرة...

يستدعي الخطيبي نموذجا لهذا الفعل (فعل الوشم) من خلال "طقس الختان"، فالختان لا يعبر فقط عن علامة تسم الجسم، و إنما يشكل وشما يأخذ أبعادا اجتماعية و ثقافية وروحية. إننا إزاء فعل يلتقي فيه الرمز و الجسد و الجنس و الرغبة و التدين و الثقافة و الأسطورة... يقول الخطيبي: "حلمت، في ليلة سابقة، أن جسمي كان كلمات"[3].

ب. "سيرة ذاتية" لمتحرر:

الهوامش

1 - A titre d'exemple : Amour Bilingue (1983), Maghreb pluriel (1983), Penser le Maghreb (1993).

2 - A. KHATIBI, La Mémoire tatouée, Union générale d'Editions, 10/18, Paris, 1979, p. 182.

3 - La mémoire tatouée, p.205

يحذرنا الخطيبي منذ البداية بأن نصه هذا لا يمثل سيرة ذاتية بالمعنى الحرفي للكلمة، حيث يقول في هذا الصدد: " طفولتي، طفولتي الحقيقية، لا يمكنني أن أحكيها بـالمـرة"[4](Mon enfance, ma vraie enfance, je ne pourrai jamais la raconter). لكن، و مع ذلك فإن نص الذاكرة الموشومة يأخذ شكل سيرة ذاتية، فهو يقدم أهم الأحداث التي ميزت حياة الكاتب، منذ ولادته التي تزامنت مع حدث يحمل رمزية دينية في الثقافة الإسلامية، و يتعلق الأمر بعيد الأضحى (العيد الكبير عند المغاربة).

يعود الخطيبي بذاكرته إلى سنوات الطفولة؛ ففي سنة 1945، سوف يرسله أبوه إلى المدرسة من أجل التعلم. سنواته الأولى في المدرسة جعلته يكتشف و يعيش عالما يتميز بالتعدد اللسني/اللغوي؛ لقد وجد الخطيبي نفسه أمـام هوية لغوية متعددة المداخل و المكونات: الدارجة التي اعتاد على الحديث بها في تواصله اليومي، و الفرنسية التي بدأ يقرأ و يتعلم بها في المدرسة، و العربية الفصحى التي تعرف عليها من خلال حفظ بعض السور من القرآن الكريم و تعلم الخط العربي. هذه المكونات اللسنية/اللسانية الثلاثة ستشكل لدى الخطيبي ،منذ البداية، ملامح هوية ثقافية تقوم على التعدد و قبول الاختلاف.

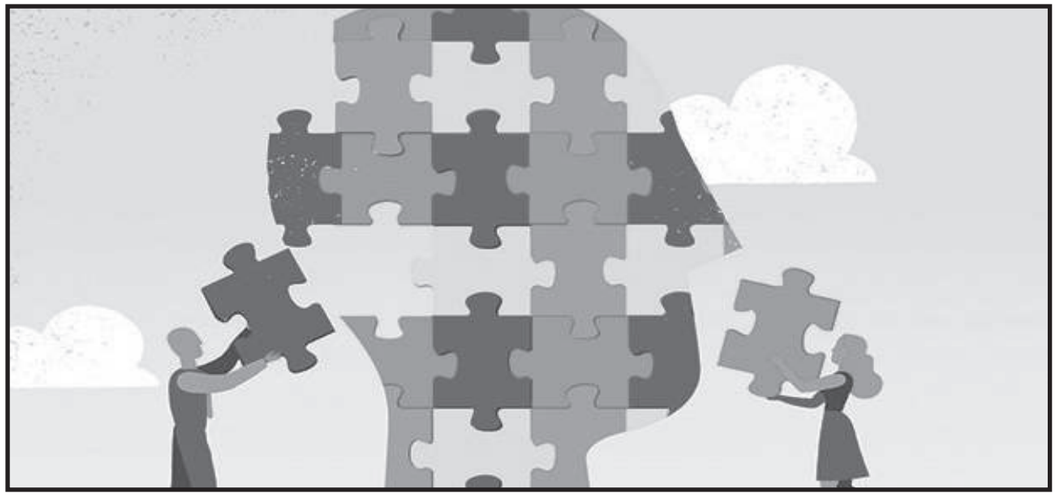

بعد موت أبيه و أخيه، سيضطر الخطيبي إلى الانتقال إلى مدينة الصويرة، حيث سيقيم مع عمته التي ارتبط بها كثيرا في طفولته. و في سنة 1950، توجه الخطيبي إلى مراكش من أجل متابعة دراسته بالسلك الإعدادي. هذه المرحلة ستشكل لحظة فارقة في مسار الخطيبي المفكر و الكاتب، حيث ستمنحه إقامته في الداخلية إمكانية الاستغراق و التأمل و اكتشاف الذات. في هذا المكان سوف يشرعالخطيبي في رحلة الكتابة، و سوف تبدأ الملامح الأولى لهوية كاتب بالتشكل؛ سيكتب بداية قصائد شعرية من دون أن يوقعها، و بعد ذلك سيبدأ في تحرير رسائل غرامية لأصدقائه الذين كانوا يجدون صعوبة في التعبير عن مشاعرهم و مكنوناتهم لعشيقاتهم. تمرسه على الكتابة منذ الصغر مكنه من تطوير ملكاته اللغوية و قدراته في تطويع الحروف و الكلمات.

في سنة 1958، سيحصل الخطيبي على شهادة الباكلوريا و يتوجه إلى فرنسا من أجل متابعة دراسته في السوسيولوجيا في جامعة السوربون بباريس. و قد تزامنت إقامته هناك مع الثورة التي شهدتها الجزائر ضد المستعمر الفرنسي من أجل التحرر. و في أحد الأيام، ستلقي الشرطة الفرنسية القبض على الخطيبي رفقة خمسة جزائريين، مما اضطره إلى المبيت ليلة كاملة في محجز الشرطة. هذه التجربة التي عاشها الخطيبي سوف تنعكس في كتاباته الأولى في مجلة أنفاس (Souffles) التي كان يديرها المفكر عبد اللطيف اللعبي، حيث سينخرط في قضايا ذات طابع سياسي/ثقافي من قبيل التحرر و الوطنية و التعدد الثقافي.و لعل هذا ما يجعل الخطيبي يصف كتاب الذاكرة الموشومة ب "السيرة الذاتية لمتحرر" (l'autobiographie d'un décolonisé).

2. مرافعة في سبيل إعادة تشكيل خطاب الهوية

يمثل نص الذاكرة الموشومة بحثا جينيالوجيا عن الـذات، إنه نص يقوم على العودة إلى الــوراء (في الزمن و المكان و الأحداث) من خلال حركة غير منظمة للذاكرة؛ فالذاكرة لا تقدم نفسها كخط تتابعي/كرونولوجي للأحداث، و إنما تتأسس على الانتقاء و الاستبعاد، الظهور و التواري. بهذا المعنى، لا يمكننا اعتبار "الـذاكـرة الموشومة" كتدوين (Transcription) أو نسخ لأحداث الماضي، و إنما يتعلق الأمر ب " قَوْل حول الطفولة و الماضي، و الذي لا يمكن بأي حال من الأحوال الإفصاح عنه (كاملا)، بل يتم استدعاؤه من خلال الطابع المزدوج للذكرى: الأثر و الانمحاء". [5]

بهذا المعنى، تصبح الأحداث المقدمة/المنتقاة في نص الذاكرة الموشومة بمثابة بحث هذه الذات، غير أن ذلك لا يخضع لمنطق زمني تتابعي، بل يتم وفق مسار فكري آخر يقوم على محاولة لملمة شتات الذات وفق تجارب ساهمت في تشكيل هوية هذه الذات. إنه مسار قائم على إعادة البناء وفق لحظات أساسية تأسست عليها هذه الهوية. و كنموذج لهذه اللحظات، يتحدث الخطيبي عن اسمه الذي يرتبط بحدث/ذكرى تحمل رمزا في الثقافة الإسلامية. يقول الخطيبي: " يرتبط اسمي بطقس ممتد في الزمن.. و يحصل لي أن أتخيل صورة النبي إبراهيم و هو يذبح ابنه إسماعيل.. إنه الجرح الإسمي (La déchirure nominale)، و قد تشكل منذ البداية" [6]

إن نص الذاكرة الموشومة لا يعيد كتابة أحداث تشكلت في الماضي بقدر ما يقدم لنا هوية تشكلت من خلال هذه الكتابة. إن فعل الكتابة، في حد ذاته، يتحول إلى حدث، و هو يدعونا بذلك إلى فك رموزه و حروفه من أجل منحه دلالات أخرى. إن الأمر "لا يتعلق بكتابة عن الهوية، بل يرتبط بهوية الكتابة نفسها". إنالأمر يتعلق بهوية كاتب، تلك الهوية التي تقدم نفسها في صيغة سردية بعيدة كل البعد عن منطق التتابع و التوالي الزمنيين. إنها كتابة تعبر عن انخراط (Engagement)الكاتب في قضايا ذات طابع سياسي و ثقافي و اجتماعي. إن فعل الكتابة يصبح، عند الخطيبي، شكلا من أشكال التحرر أو التحرير (se décoloniser)، تحرر من "الهوية و الاختلاف" [8].

إنـه تحرر مما يسميه الخطيبي "الهوية العمياء (L'identité aveugle) و الاختلاف المتوحش (La différence sauvage)"[9]. بهذا المعنى، نستطيع أن نقول إن نص "الـذاكـرة الموشومة يمثل مرافعة أدبية و فلسفية من أجل إعادة النظر في الأسس المشكلة للهوية المغربية/ المغاربية.

الهوامش

4 - Ibid., p. 59

5 - H., WAHBI Hassan, AbdelkébirKhatibi : L'esprit de la lettre, Marsam, 2014, p. 30

6 - La Mémoire tatouée, p. 30

7 - H., WAHBI Hassan, op. cit., p. 34

8 - La Mémoire tatouée, p. 192

9 - A., KHATIBI, « Pour une véritable pensée de la différence », Lamalif, N° 85, Janvier 1977

إن أهـم صفة تنطبع بها الهوية في نظر الخطيبي هي صفة "التشظي و الانقسام"؛ فالهوية التي يتحدث عنها الخطيبي في مؤلفه هـذا هي "هـويـة متشظية" (une identité fragmentée)، متراكبة و متشكلة من عدة مكونات. و لعل طابع التشظي هذا يتجلى بداية في طبيعة النص ذاته؛ فالنص لا يتشكل كوحدة منسجمة من حيث المبنى. إنه مزج لأجناس متعددة من الكتابة، و هذا ما يسمح، في نظر الأستاذ حسن وهبي، ب "تحديد الأنا في حقيقته اللغوية و الرمزية"[10]. و يبرز طابع التشظي على مستوىالهوية السردية كذلك: "أنا حي، منقسم من نواحي عدة" [11]. إن النص الذي يقترحه الخطيبي، و الـذي يلتقي فيه السرد بالتأمل و النقد، نص متراكب و متعدد الأصوات، و هذا ما يجعل منه نصا أقرب ما يكون إلى "الأداء المسرحي" بلغة عبد الكبير الخطيبي (un jeu théâtral). [12] . و لعل هذا ما يمنح هذا النص صفات التشظي و الانشطار و التوتر.

يشكل نص الذاكرة الموشومة إذن خطابا في/حول الهوية. بتعبير آخر، إنه مرافعة (Un plaidoyer) من أجل تجاوز تصور محدد للهوية، ذلك التصور الـذي يجعلها هوية كاملة و مطلقة و متكلسة و غير منفتحة على الآخر، إنه نضال من أجل تجاوز ما يسميه أمين معلوف "الهويات القاتلة" (Les identités meurtrières)، أي تلك الهويات القائمة أساس/انتماء واحد، و التي تعبر، في العمق، عن "موقف جزئي و طائفي و غير متسامح، و لربما مدمر"[13]. و في المقابل، يدافع الخطيبي عن هوية منفتحة و في حالة تأسيس مستمر من خلال عمليتي الهدم و إعادة البناء. (تفكيكية جاك ديريدا).

3. في عـلاقـة الـهـوية بالاختلاف

تتجلى أصـالـة كـتـاب "الـذاكـرة الموشومة" في الانتصار لهوية متعددة، هوية تمتح من مصادر مختلفة (قبل-إسلامية، إسلامية، عربية، أمازيغية، إفريقية، غربية). و لعل هذا ما يجعل منها هوية بمداخل عديدة و منابع مختلفة. و هي هوية لا تستقيم، في نظر الخطيبي إلا بربطها بمكون أساسي آخر، و هو الاختلاف. إنه اعتراف بالآخر فينا؛ فالاعتراف بالآخر هو، في العمق، اعتراف بالذات، إنه اعتراف بما يسميه الخطيبي "الهوية المرتحلة" أو "الهوية غير المستقرة" (L'identité migratoire). إن الاعتراف بهكذا اختلاف، يجعل الخطيبي مؤسسا لبعد أساسي من أبعاد الطبيعة الإنسانية، إنه بعد التعدد الثقافي، يقول الخطيبي في هذا السياق: "أنا أشكل حلقة وصل بين الغرب و الـشرق، بين المسيحية و الإسلام، بين إفريقيا و آسيا".[14]

إن الأمر يتعلق بهوية يمكن وصفها بالهوية الهجينة (Une identité hybride). إنها هوية تعترف بالانفتاح و التعدد بشكل لا يلغي الخصوصيات و الاختلافات بين الثقافات. و لعل هـذا ما جعل الخطيبي يراهن على الكوسموبوليتية كموقف و كانتماء؛ فهو يتحدث في كتابه (Penser le Maghreb) عن "مغرب كوسموبوليتي منفتح على العالم بأسره" [15]. هذا الموقف يعبر عنه الخطيبي في قوله: (je suis partagé entre les deux rives de la méditerranée)، إنه شعور بالانتماء إلى عالمين: الشرق و الغرب، الأنا و الآخر. إن هذا الشعور/الانتماء هو ما جعل الخطيبي يتحدث عن (Chizoglossia) أي إعـادة تفكيك الـذات و بنائها من جديد وفق هوية قائمة على الارتحال و السير قدما نحو الآخر. إن هذا الموقف هو ما جعل نصوص (منجز الخطيبي) تشكل " فضاء بينيا تلتقي فيه اللغات و تتحاور فيه الثقافات". [16]

إن الخطيبي بهذا المعنى، يدافع عن ثقافة من نمط خاص؛ إنها تلك الثقافة التي لا تنحو لأن تكون متمركزة حول ذاتها، بل تجعلنا "نفهم الآخر باعتباره جزء منا". [17] هذا الاعـتراف يشكل في العمق سيرورة للخروج من وهم المركزية أو التمركز حول الـذات، و استدعاء، في المقابل، لقيم الاختلاف و العيش المشترك. هذا الأخير لا يقوم فقط على قبول الآخر، و إنما على محبته و التوجه إليه من أجل إغناء هويتنا و تاريخنا و ذاكرتنا: "أن نحب الآخر معناه أن نفسح المجال لجزء عميق من ذاكرتنا من أجل الإفصاح و التعبير عن نفسه". [18]

ختاما، يمكننا القول إن الخطيبي استطاع، من خلال "الذاكرة الموشومة" أن يؤسس خطابا جديدا حول الهوية، خطاب يقوم على نقد مـزدوج للذات و للآخر. إنه خطاب ينزع عن الهوية طابع التجانس و التكلس، و يصبغها في المقابل بخصائص التعدد و الاختلاف و التشكل المستمر. إن هذا الخطاب هو ما يسمح بالانفتاح على الآخر، و الاعتراف به، بعيدا عن كل مركزية ثقافية أو تعال ذاتي. و لعل هذا ما يجعل الخطيبي يجسد بحق ذلك المثقف العضوي (بلغة غرامشي) أو ذلك الأجنبي المحترف (بلغة الخطيبي). ■

الهوامش

10 - H., WAHBI, op. cit., p. 31

11 - La Mémoire tatouée p. 196

12 - La Mémoire tatouée, p. 191

13 - A., MAALOUF, Les Identités meurtrières, Grasset, Paris, 1998, p. 39

14 - La Mémoire tatouée, p. 128

15 - KHATIBI, Abdelkébir, Penser le Maghreb, Société marocaine des éditeurs réunis, 1993, p. 108

16 - BOUGDAL Lahsen, Le protocole poétique de l'écriture à l'oeuvre dans les textes de AbdelkébirKhatibi : La mémoire tatouée, Le livre du sang et Amour bilingue, Thèse de doctorat nouveau régime Discipline : Littérature française, dirigée par Claude FILTEAU, Université Paris-Nord, 1998, p.29. (Disponible en ligne sur http://www.limag.refer.org/Theses/Bougdal.PDF

17 - Penser le Maghreb, p. 215

18 - La Mémoire tatouée, p. 108

بيبلوغرافيا

- KHATIBI,Abdelkébir, La Mémoire tatouée, Union générale d'Editions, 10/18, Paris, 1979
- KHATIBI,Abdelkébir, Penser le Maghreb, Société marocaine des éditeurs réunis, 1993
- KHATIBI, Abdelkébir, « Pour une véritable pensée de la différence », Lamalif, N° 85, Janvier 1977
- MAALOUF, Amine, Les Identités meurttrières, Grasset, Paris, 1998
- WAHBI, Hassan, AbdelkébirKhatibi : L'esprit de la lettre, Marsam, 2014
- BOUGDAL,Lahsen, Le protocole poétique de l'écriture à l'oeuvre dans les textes de AbdelkébirKhatibi : La mémoire tatouée, Le livre du sang et Amour bilingue, Thèse de doctorat nouveau régime Discipline : Littérature française, dirigée par Claude FILTEAU, Université Paris-Nord, 1998, p.29. (Disponible en ligne sur http://www.limag.refer.org/Theses/Bougdal.PDF

الممارسة السوسيولوجية من منظور عبد الكبير الخطيبي

جواد أكدال
باحث في علم الاجتماع

تعتبر كتابات عبد الكبير الخطيبي من أبرز ما أنتج في حقل السوسيولوجيا في مغرب ما بعد الاستقلال [1]. ترجع أهمية هاته الكتابات إلى كونها من أبرز الانتاجات، إلى جانب كتابات عبد الله حمودي، وبول باسكون، التي حاورت الأدبيات السوسيولوجية والانثروبولوجية التي اتخذت من المغرب موضوعا لدراساتها، وخاصة تلك الأدبيات التي تمحورت حول دراسة بنيات المجتمع القروي [2]. يبقى الحوار المعرفي، طبعا، مقصورا على تلك الأدبيات النظرية التي بنت تصورا صوريا ونماذجا نظرية حول أليات اشتغال بنيات هذا المجتمع، سواء كانت اقتصادية، أو سياسية، أو اجتماعية أو رمزية. ولأن الحوار الذي يمارسه عبد الكبير الخطيبي لا يشكل غاية في حد ذاته، لأنه يبتغي تأسيس ممارسة سوسيولوجية جديدة، فإنه لم يكن ليقتصر على محاورة ما أنتجه الآخر المختلف ثقافة و حضارة، ودخل في نقاش نظري مع الخطابات التي أنتجتها وبلورتها الذات حول نفسها.

يتبين إذن أن الممارسة السوسيولوجية كما يراها عبد الكبير الخطيبي، لا تبتغي إطلاقا تضخيم الـذات وتمجيدها، عن طريق، مثلا، الدخول في جدال عقيم حول مدى أصالة ما أنتجته، ولا تهدف كذلك إلى الإعـلاء المفرط من قيمة ما أنتجه الآخر الغربي، بحجة تفوقه الكبير في كل الميادين، وإنما الغاية من الممارسة السوسيولوجية هي تأسيس استدلال سوسيولوجي (raisonnement sociologique) مختلفعن ما هو قائم[3]. إن نحن عبرنا عن خصائص هذه الممارسة بنفس كلمات عبد الكبير الخطيبي، نقول إنها ممارسة تتطور على هامش الفكر الغربي والفكر المغاربي، خاصة، والعربي، عامة. يقول عبد الكبير الخطيبي في هذا الإطار: "إن فكر "النحن" الذي ندعو إليه لا يتموقع ولا يتحرك في دائرة الميتافيزيقا (الغربية)، ولا حسب ثيولوجيا الاسلام، ولكن على هامشهما. يتعلق الأمر بهامش متيقظ"une marge en éveil" (المغرب المتعدد، ص، 17).

لتحقيق غاية كهذه، وجـب على الممارسة الفكرية الجديدة أن تجد لنفسها أسسونقاط ارتكاز ابستمولوجية مختلفة عن تلك التي بني عليها صرح الفكر الغربي والعربي معا. في هذا الإطار، تبقى الامكانات المعرفية والنظرية التي يتيحها فكر الاختلاف (la pensée de la différence) واعدة. إن أهمية هذا المنظور النظري، أي فكر الاختلاف، ترجع إلى أنه يتيح إمكانية إبـداع وتأسيس منظور جـديـد، بإمكانه أن يساعد في فهم طبيعة الخصائص والمميزات التاريخية لبنيات المجتمع المغربي. ذلك أن الادبيات النظرية الموجودة، ونظرا لطبيعة الرهانات التي واكبت صياغتها وبلورتها، بالغت في إظهار أهمية بعض العوامل ودورهـا في اشتغال المجتمع، وقزمت من أهمية ودور عوامل أخرى. على هذا الأساس، تكون المهمة العاجلة للممارسة السوسيولوجية، كما يدعو إليها عبد الكبير الخطيبي، هي " نزع الطابع الاستعمار عن ذاتها" (المغرب المتعدد، ص، 16)، لأن ذلك يعتبر سبيلا لا محيد عنه إن هي أرادت أن تتطور. فيما سياتي، سنحاول أن نقوم بإلقاء مزيدا من الضوء على الممارسة السوسيولوجية كما فهمها ودعا إليها عبد الكبير الخطيبي من خـلال تركيزنا عن اهـم الأفكار التي جـاءت في مقالتين منشورتين في كاتب المغرب المتعدد. يتعلق الأمر

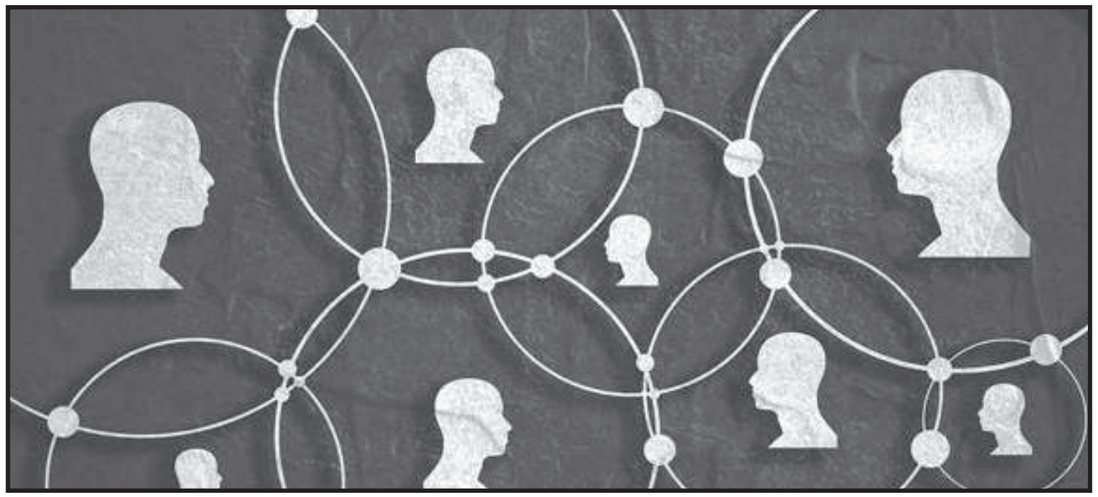

ب "فكر الاخـتـلاف"(la pensée de la différence) و"النقد المزدوج" (la double critique).

أفـق تفكير عبد الكبير الخطيبي (horizon de la pensée)

يبقى السياق العام الـذي تنتج فيه الأفكار أساسيا لفهمها واستيعاب إمكاناتها وحـدودهـا. إن الأمـر لا يختلف حين يتعلق الأمربالكتابات السوسيولوجية لعبد الكبير الخطيبي، فالسياق الذي كان يفكر من داخله فرض عليه الحديث عن مواضيع دون غيرها، وساهم في صياغة طريقة رؤيته وتصوره للممارسة السوسيولوجية. هذا السياق له بعدان: بعد وطني وبعد عالمي. أما البعد الوطني، فيتجلى بالأساس بالرهانات التي صاحبت سيرورة بناء الدولة الوطنية (l'Eta-Nation)، وما يتطلبه ذلك من جهد في إنتاج خطابات متنوعة حول الـذات، وهي خطابات تحاول أن تشكل تصورا معياريا مختلفا حول هوية الأنا. كانت هذه الرهانات مرتبطة أشد الارتباط بالفكر القومي، والرغبة في تأسيس وحـدة طالما تم السعي، دون جدوى، وراءها. أما البعد العالمي، فيتجلى بالأساس في الجو العام الذي رافق حركات التحرر عبر العالم، وما يعنيه ذلك من ضرورة، أو هكذا تم تصور الأمر، بلورة خطابات مختلفة جذريا عن خطابات القوى الاستعمارية.

إذا كان عبد الكبير الخطيبي لا ينفي تعلقه بالفكر الذي يمجد الاختلاف، الذي برز ليس فقط في المجتمعات الثالثة وإنما حتى في قلب المجتمعات الغربية فيما يشبه محاولة الابتعاد عن المركزية كما بناها العقل الغربي الحديث، فإنه في المقابل لا يظهر حماسا كبيرا اتجاه التيار القومي. هناك احتمالين يمكن من خلالهما تبرير هذا التموقع الابستمولوجي: أما الاحتمال الأول، فله علاقة بوعي عبد الكبير الخطيبي بالطابع الاختزالي للتيار القومي، لأنه يسعى وراء القضاء على كل مظاهر الاختلاف بين المجتمعات وفي المجتمع الواحد، وذلك على الرغم من

الهوامش

1 - نقصد هنا تلك الانتاجات السوسيولوجية التي أنتجها الباحثين المغاربة.

2 - يتعلق الأمر هنا بمجمل الدراسات التي أنتجها الباحثين الأجانب حول المجتمع المغربي، وخاصة تلك التي تدخل في إطار ما يعرف بالنظرية الانقسامية.

3 - بالرغم من أن عبيد الكبير الخطيبي لم يذهب إلى أبعد مدى فيما يقوله، إلا أن مقال النقد المزدوج يحيل إلى الرغبة في تأسيس ممارسة سوسيولوجية قائمة الذات، ممارسة تمتح من فلسفة الاختلاف.

أن تركيبة كل مجتمع غنية بالاختلافات اللسانية، وبالتالي الثقافية (علاقة اللغة بطريقة رؤية العالم). أما الاحتمال الثاني، فله علاقة بطبيعة المعارف التي تبلورت حول مجتمعات شمال إفريقيا، والتي تشكل بالأساس الخطاب الذي يحاوره ويتحاور معه عبد الكبير الخطيبي. ربما لهذين الاعتبارين، قام كاتبنا بحصر ممارسته الفكرية في السياق المغاربي، وحتى إن هو دخل في حوار مع مجمل الخطابات التي أنتجتها المجتمعات العربية حول نفسها، فإنه لا يقوم بذلك إلا عبر ما أنتج حول المجتمعات المغاربية[4].

يرى عبد الكبير الخطيبي أن الخطابات التي أنتجتها مجتمعات شمال إفريقيا حول نفسها تنقسم إلى ثلاثة أشكال: النزعة التقليدانية، النزعة السلفية والنزعة العقلانية.

أولا، النزعة التقليدانية (le traditionalisme): "نعني بالنزعة التقليدانية الميتافيزيقا محصورة في الثيولوجيا. الثيولوجيا هنا تعني فكر الآحاد والموجود كموجود أول، كسبب أول (la pensée de l'Un et de l'étant en tant qu'étant premier, cause première). بكلمات غير فلسفية، الثيولوجيا هي العلم المستحيل بالله وأصل العالم"؛

ثانيا، النزعة السلفية (le salafisme): " نعني بالنزعة السلفية الميتافيزيقا وقد غدت مذهبا. المذهب يعني هنا أخلاق لسلوك سياسي، لبيداغوجيا اجتماعية، والتي هي عبارة عن المصالحة بين العلم والدين، بين التقنية والثيولوجيا"؛

ثالثا، النزعة العقلانية (le rationalisme): "نسمي النزعة العقلانية الميتافيزيقا وقد غدت تقنية (la métaphysique devenue technique). التقنية هنا تدل على تنظيم العالم تبعا لإرادة القوة، وتعتمد في قوتها على التقدم العلمي (la mise en ordre du monde selon la volonté de la puissance, tirant sa force du développement scientifique) (المغرب المتعدد، ص، 25). هذه إذن اهي النزعات التي تسم اشتغال العقل داخل السياق المغاربي، ومن أجل مقاربة منظورات التفكير هاته، وجب الاستعانة بالتاريخ السوسيولوجيا.

هدف النقد المزدوج

سبق وأشرنا إلى أن النقد المزدوج ليس غاية في حد ذاته، وإنما يشكل أداة منهجية من خلالها يمكن أن نتفكر الوقائع والظواهر بشكل مختلف، هذا إذا كان الأمر يتعلق بدراسة المجتمع، أو طريقة مختلفة في قراءة مجملا لخطابات التي ينتجها المجتمع حول نفسه. في كلتا الحالتين، يبقى هدف النقد هو الخروج من الإطارات القبلية التي ترسمها الدوكسا doxaلنشاط العقل، فكل مجتمع يرسم إطارات من داخلها يفكر الأفراد ويدركون العالم، ويضع خطوطا تفصل بين ما يمكن التفكير فيه، ما لا يمكن التفكير فيه وما ليس قابلا للتفكير فيه (le pensable,l'impensée et l'impensable) [5]. إن النقد كموقف للذهن يسمح بخرق، وزعزعة وتجاوز الإطارات، كيف ما كان نوعها، التي تفرضها طبيعة علاقات السطلة بين المجتمعات، بين المجموعات داخل نفس المجتمع، وبين الأفراد داخل نفس المجموعات. ولأن السلطة مرتبطة أشد الارتباط بالخطاب [6]، فإن العمل على تفكيك كل أنواع الخطاب يعتبر ممارسة ونشاطا لا مندوحة عنهما.

إن الغاية من النقد الذي يدعو إليه عبيد الكبير الخطيبي لا تختلف في شيء عن ما أشرنا إليه أعلاه. يبقى هدفه الرئيسي هو تأسيس خطاب سوسيولوجي مختلف عن الخطاب السوسيولوجي الغربي وعن الخطاب السوسيولوجي والتاريخي المغاربي (العربي عامة). من أجل تحقيق هذا المبتغى، يتوجب أولا العمل على نزع الطابع الاستعماري عن السوسيولوجيا (la décolonisation de la sociologie). كيف ذلك؟

إن النقد المزدوج الذي بإمكانه أن يساهم في بلورة منظور جديد للممارسة السوسيولوجية، هو بالضرورة منهجية في التفكيك. بعبارة أخرى، تبقى عملية نزع الطابع الاستعماري عن الخطاب السوسيولوجي مرتبطة أيما ارتباط بعملية تفكيك هذا الخطاب (المغرب المتعدد، ص، 47). إن الغاية من تفكيك هذا الخطاب، إلى جانب خطابات أخرى طبعا، تجد أساسها في كونه، يعني الخطاب السوسيولوجي، ساهم في ترسيخ الهيمنة الامبريالية على مستوى سلطة الكلمة بالأساس (le pouvoir de la parole) [7].

إذن، ليس كل ما أنتجه العقل الغربي يدخل ضمن دائرة العلم، وإنما البعد الايديولوجي ظل مرتبطا بشكل عضوي بنشاط وفعالية هذا العقل. إن تفكيك أنساق الخطاب عملية تسمح بكشف تلك الأسس التي تنبني عليها، والأهم من ذلك، تفضح إرادة القوة والهيمنة التي واكبت تبلورها وتطورها.

تكمن مهمة نزع الطابع الاستعماري عن السوسيولوجيا في العالم العربي في المهمة المزدوجة التالية:

أولا، تفكيك نزعة التمركز حوال العقل وحول الذات كما تطورت في أشكال الخطابات التي أنتجها الغرب حول نفسه و حول العالم. وجب التركيز والتأمل هنا، حسب عبد الكبير الخطيبي، في التضامن البنيوي الذي يربط الامبريالية في كل أبعادها السياسية، العسكرية والثقافية، وانتشار العلوم الانسانية. هذا الترابط البنيوي يجعل من عملية النقد، التي هي كذلك عملية التفكيك، مرحلة في التفكير لا يمكن القفز عليها.

ثانيا، نقد المعارف والخطابات التي أنتجتها المجتمعات العربية حول نفسها. إن التأسيس لمنظور فكري جديد يتطلب إعادة التفكير الدائمة حول الأسس والجذور التي تشكل وتعمل على صياغة الخصائص البنيوية لهاته المجتمعات (المغرب المتعدد، ص، 49). إن الخطابات التي انتجتها المجتمعات العربية حول ذاتها، ستساهم في تخليص الممارسة السوسيولوجيا في هذه السياقات من جبروت وسلطة الفكر الثيولوجي والتيوقراطي. عن طريق النقد كأداة منهجية، يمكن أن تنفتح ممكنات للتفكير (des possibilités de pensée) متعددة أمام علماء اجتماع هذه المجتمعات، ممكنات يمكن أن تسمح بإنتاج معارف أكثر تكيفا معا خصائص مجتمعاتهم، و تتماشى مع ما يجعل منهم مجتمعات ذات سمات مختلفة(des sociétés différentes).

إن القيام بنقد مزدوج يعني بالأساس امتهان حرفة تفكيك المفاهيم، بمعنى أن على كل باحث الاستعانة بالعدة

الهوامش

4 - هذا التحديد يتضح للقارئ من خلال طبيعة العنوان الذي اختاره الكاتب لمجموع مقالاته (المغرب المتعدد).

5 - من أجل الاطلاع على مزيد من الأفكار في الإطار، يمكن الرجوع إلى كتابات محمد أركون، وبخاصة كتبه المعنون بقضايا في نقد العقل الديني

6 - يمكن في هذا الإطار لاستعانة بكتابات ميشال فوكو.

7 - هذا إلى جانب أن نفس الخطاب كان قد سهل من عملية ضبط ايقاع واشتغال بنيات المجتمع المغربي.

المنهجية التي تمكنه من ممارسة الحفر الأركيولوجي [8]، وكشف الأسس والقوانين التي أدت إلى تشكل أنساق الخطاب. تبقى الغاية إذن من النقد هي تفكيك المفاهيم، وهي عملية تنجز عن طريق تفكيك التكتلات الخطابية (des masses discursives) وزعزعتها، بغية الابتعاد التدريجي عن قوة سحرها، وتأسيس فكر آخر مختلف يعكس خصائص المجتمعات العربية والمغاربية.

يتضح إذن أن عبد الكبير الخطيبي لا يدعو إلى الرجوع إلى التراث من أجل إحيائه، فالأثر لا يمكن إحياؤه، ولا إلى التعامل الأعمى مع التراث الذي بنا صرحه العقل الغربي، لأن فكر الاختلاف يرفض ذلك، وإنما يدعو إلى ممارسة الفعالية النشيطة والفعالة التي يتمتع بها كل عقل إنساني، تلك الفعالية التي لا يمكن إن تكون إلا منتجة، ومبدعة، وخلاقة. من هنا لا بد للفكر أن يمارس حقه في التمرد، لأن الحياة والاستمرار في الوجود، بمعنى المساهمة في بلورة معالم العالم الذي نعيش فيه، يتطلبان ذلك.

هنا، وحسب اعتقادنا، تكمن أهمية النقد الذي يدعو إليه عبد الكبير الخطيبي، فالأمر لا يتعلق فقط بالنقد المزدوج، وإنما بالنقد كنشاط ذهني متعدد الأبعاد [9]. من طبيعة الحال، لم يكن بإمكان عبد الكبير الخطيبي أن يقول بغير النقد المزدوج، لأن الأطر المعرفية التي كان يحاورها، كما حاورها جيله، تنقسم إلى نوعين: أطر معرفية تختلط فيها المعارف التي أنتجها الغرب حول ذاته وحول الآخر، وهي المسيطرة والمهيمنة، وأطر معرفية أنتجتها المجتمعات العربية حول نفسها، وهي المهيمن عليها. هاته الأطر المعرفية، وعلى فرض أهميتها، تقف حاجزا منيعا أمام الرغبة في تأسيس منظور مختلف (une perspective différente)، يتماشى وطبيعة الرهانات التي تواجه هذه المجتمعات. إن كل ما أنتج حول المجتمعات العربية و الغربية، إن نحن أردنا التعبير عن ذلك بطريقة مختلفة، وجب أن يعامل على أن أنه بقايا أثر، بقايا فكر، ولا يجب التعامل معه على أنه أكثر من ذلك. إن الرجوع إلى التراث وتمجيده لا يمكن أن يطور الممارسة السوسيولوجية، ولا حتى أي نوع من الممارسة الخطابية التي تبتغي الإبداع والإنتاج، بل سيسرع من وتيرة موتها. من هنا يقف عبيد الكبير الخطيبي ضد المحاولات المتعددة التي تحاول جاهدة إحياء التراث وتمجيد الامكانات المتعددة التي يمكن أن يمنحها للباحث (des tendances à la patrimonialisation).

من أجل إعطاء مثال عن حسنات النقد الذي يدعو إليه عبد الكبير الخطيبي، نأخذ كمثال النسق النظري الماركسي، وبالضبط ما يسميه كارل ماركس بالنمط الإنتاج الآسيوي، والنسق النظري الخلدوني، وبالضبط ما يسميه ابن خلدون بالعصبية.

إن التعامل الأعمى مع المفاهيم الأساسية لكل من كارل ماركس وبن

خلدون، لا يكمن إلا أن يضر ويشوه فهمنا لواقع مجتمعاتنا، بل ويلحق تشويها بهؤلاء المفكرين، لأنه ينزع عن فكرهما تاريخيته. فمثلا يقوم كارل ماركس بإدماج أغلبية المجتمعات غير الغربية فيما يسميه بنمط الإنتاج الآسيوي، وذلك دون إظهار أية حساسية نظرية (la sensibilité théorique) للخصائص التي تميز هذه المجتمعات بعضها عن بعض. من أجل توضيح ذلك، يضرب عبد الكبير الخطيبي مثالا بتركيبة المجتمع المغربي ما قبل الاستعمار. فالبنية الاجتماعية لهذا المجتمع تتميز بتجاور وصراع أنساق متعددة، فهناك النسق الأبوي (patriarcal)، النسق القبلي (tribal)، النسق الرأسمالي التقليدي (le capitalisme artisanal)، le seigneurial rural، والمخزن (المغرب المتعدد، ص، 52). أمام هذه التركيبة المزيجة، يبقى من الصعب جدا القول بأن نمط الانتاج الذي كان سائدا في المجتمع المغربي ما قبل الاستعمار هو نمط الانتاج الآسيوي. إن القول بأن نمط الانتاج السائد في أغلب المجتمعات غير الغربية هو نمط الانتاج الآسيوي ينم، حسب عبد الكبير الخطيبي، عن نقص في المعارف التي كان يتوفر عليها كارل ماركس حول هذه المجتمعات، التي من ضمنها مثلا المغرب.

إضافة إلى ذلك، لا يجب أن ننسى، حسب عد الكبير الخطيبي طبعا، أن النسق النظري الماركسي هو نسق مرتبط بشكل عضوي مع سيرورة تشكل العقل الغربي. بتعبير آخر، إن مجمل الخطابات التي انتجها ماركس، تعكس الوجه الآخر لنشاط وفعالية العقل الغربي، فحتى إن هي بلورت وطورت تصورات نظرية مختلفة، فهي مرتبطة أشد الارتباط ببنية هذا العقل.

أحيانا، ورغم الخدمات الجليلة التي قدمها هذا النسق النظري لمجتمعات العالم الثالث في صراعها من أجل التحرر، يظهر أن ماركس نفسه، الشيء الذي قد يعود إلى تأثير الفكر التطوري في نسقه او لثغرة منطقية في فكره بتعبير عبد الكبير الخطيبي نفسه، كان خادما من حيث لا يدري لهيمنة الغرب. إن المثال الذي يعطيه عبيد الكبير الخطيبي على ذلك، هو موقفه من استعمار إنجلترا للهند. يتوجب على إنجلترا، حسب كارل ماركس، في تعاملها مع الهند أن تقوم بمهمتين أساسيتين: مهمة الهدم ومهمة البناء (détruire et construire). وجب هدم كل ما له علاقة بالنيات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية والرمزية للهند، لأن ذلك يتماشى والمنظور التطوري للتاريخ، من أجل وضع أسس صرح جديد يتوافق ومرحلة المرور، ربما، إلى نمط الانتاج الرأسمالي. إن الذي يتساءل بشأنه عبد الكبير الخطيبي، هو مصير عادات وتقاليد الهندوس التي ترجع جذورها إلى تاريخ بعيد، فالذي يفهم من كلام ماركس هو الرغبة في جعل الهند صورة مطابقة للأنا، يعني للغرب، وبهذا يضرب عرض الحائط كل تلك الخصائص والمميزات التي تجعل من الهند مجتمعا مختلفا (المغرب المتعدد، ص،52).

أما فيما يخص نظرية العصبية عند ابن خلدون، فيرى عبد الكبير الخطيبي أنه لا جدوى من البحث عن التقارب بينها وبين مفاهيم ماركس كالجدلية، والمادية التاريخية والعلاقة بين البنيات التحتية والبنيات الفوقية. إن أسس ومنطلقات مفهوم العصبية ومفاهيم ماركس مختلفة أشد الاختلاف، ذلك ان للعصبية ارتباط وثيق بالأسس الثيولوجيا والتيوقراطيا للإسلام، كما أن مفهوم الزمن المرتبط بها زمن دائري، ومتأثرا أشد التأثر بالنموذج الأول، أي الوحي ونبوة محمد.

هناك سؤال يفرض نفسه بقوة، حسب عبد الكبير الخطيبي: " كيف يمكن لفكر دياليكتيكي أن يتصالح مع فكر يتموقع بين الثيولوجيا وديالكيتك تأملية؟" (المغرب المتعدد، ص، 54). كما ويتساءل أيضا حول العلاقة التي يمكن أن نقيمها بين العصبية، كقوة

الهوامش

8 - يمكن الرجوع في هذا الإطار إلى كتاب أركيولوجيا المعرفة لمشال فوكو.

9 - في هذا الإطار يمكن الرجوع إلى كتاب ميشال فوكو حول ما هو النقد (qu'est-ce que la critique, suivi de la culture de soi)

محركة للتاريخ عند ابن خلدون، وصراع الطبقات الاجتماعية، كمحرك أساسي للتاريخ عند كارل ماركس. حتى ولو كانت هناك تشابهات بين ابن خلدون وكارل ماركس (مثلا علاقة الايديولوجيا عند البدو المقيمون أو البدو الخلص بطبيعة بنيتهم الاقتصادية والعلاقة التي يقيمها ماركس بين البنية التحتية والبنية الفوقية)، فإن هاته التشابهات لا تزن شيئا أمام حجم الفروقات الموجودة بين النسقين النظريين ككليات (des systèmes théoriques comme des entités). يخلص عبيد الكبير الخطيبي إلى ضرورة البحث عن تطوير أوجه الاختلاف بين النسق النظري الخلدوني والنسق النظري الماركسي، عوض السعي اللامتناهي وراء إقامات التقاربات، حتى ولو كان المنطق الداخلي لكل نسق نظري على حدة لا يسمح بإقامة هاته المقارنات.

أن النقد المـزدوج هو بالتعريف ممارسة متمردة، بمعنى أنها لا تحصر نفسها داخل الإطارات الموجودة مسبقا، وإنما تبحث عن أصالة غير مسبوقة. إن العدو الأسـاس للنقد، كـأداة منهجية، هو الموقف الذهني الذي يبتغي إعادة إنتاج أو العمل على تكييف النظريات السوسيولوجيا الموجودة. إن المثال على ذلك، يقول عبد الكبير الخطيبي، هو الانتاجات السوسيولوجيا في السياق المغاربي.

توجد في السياق المـغـاربي ثلاث لحظات مهمة فيما يـخـص ظهور وتطورالممارسة سوسيولوجية: لحظة أبن خلدون، لحظة الاستعمار ولحظة ما بعد الاستعمار. إن الممارسة السوسيولوجية او الأنتربولوجية السائدة في السياق المغاربي هي بالأساس إعـادة إنتاج أو محاولة تكييف حسب عبد الكبير الخطيبي. يتطلب النقد، عكس ذلـك، تبني استراتيجية التمرد واستراتيجية القلب، التمرد على الطرق المعتادة في رؤية، وتحليل، وتأويل الأمور، وقلب لموازين القوى في الحق الحقل السوسيولوجي والأنثروبولوجي. من أجل نزع الطابع الاستعماري عن السوسيولوجيا، وجب أن تكون ممارسة التمرد والقلب عملية راديكالية، بمعنى ان وجـب عليها تستهدف قلب "سلطة الكلمة ضد كملة السلطة" (le pouvoir de la parole contre la parole du pouvoir) (المغرب المتعدد، ص،56).

إن الدعوة إلى ممارسة النقد المزدوج لا تهدف إلى رمي الرضيع مع الغسيل، فهي لا تنفي وجـدو مفاهيم ذات إمكانات هائلة في مجمل الخطابات التي أنتجها الغرب حول نفسه، وتلك التي انتجتها المجتمعات العربية حول نفسها. يبقى أن عملية تمييز المفاهيم التي لا زالت تتمتع بصلاحية نظرية وقدرات وإمكانات كشفية (des capacités et possibilités heuristiques) عن غيره، تبقى عملية مرتبطة أيما ارتباط بأداة النقد والتفكيك. نقول، بناء على هذا الأساس، أن النقد هو استراتيجية للفرز والانتقاء، ومن ثم آلية تمكن من صياغة

تصورات نظرية جديدة بإمكانها أن تساعد في فهم ما يقع حولنا.

يمـكـن التمييز في الـخـطـابـات الغربية بين ثلاثة أنـواع من الأفكار: أفـكـار مـؤسـسـاتـيـة(des pensées institutionnelles)، وأفـكـار الاخـتـــلاف(des pensées de la différence)، وأفكار المستحيل(des pensées de l'impossible) (المغرب المتعدد، ص، 61). أمـا فيما يخص الخطابات التي أنتجتها المجتمعات العربية حول نفسها، فيمكن التمييز بين الثيولوجيا، والتصوف، والآداب، دون نسيان مختلف الأفكار العلمية. هاته الخطابات تشكل في حقيقة الأمر طبقات من المعنى أمام كل باحث، مما يفرض عليه ممارسة النقد عليها، بغية فهمها وتجازوها، فلا يجب أن ننسى أن غاية النقد هي الزحزحة (le déplacement) والتجاوز (le dépassement). إن نقد هاته الخطابات يمكن الباحث كذلك من كشف طبيعة التحالفات التي تقيمها الممارسة الخطابية مع رهانات السلطة داخل أي مجتمع، فالخطاب يتم صياغته من طرف السلطة، والسلطة تصاغ عن طريق الخطاب.

يشير عبد الكبير الخطيبي إلى أمر آخر في غاية الأهمية، حسبه طبعا، ألا وهو دور اللغة العربية في النهوض بالفكر في هاته المجتمعات. إن اللغة العربية التي يتحدث عنها عبد الكبير الخطيبي، ليست لغة الفقه التي يتم تصورها على أنها لغة مقدسة، متعالية عن التاريخ ومعجزة، وإنما لغة يكون باستطاعتها ان تفكر باللغات الأخرى (une langue qui pense en langues). بناء عليه، تبقى الترجمة وعولمة اللغة العربية من أبرز المداخل التي يمكنها أن تساهم في النهوض بالفكر في المجتمعات العربية، وبالتالي بباقي مناحي حياتها الاجتماعية (المغرب المتعدد، ص، 63).

وجبت الإشارة إلى أن عملية النقد كما يراها ويدعو إليها عبيد الكبير الخطيبي، تم تطبيقها على ثلاث أنواع من الخطابات السوسيولوجية والانثروبولوجية التي تمت بلورتها حـول المجتمع المغربي، وخاصة تلك حاولت أن تقدم قراءة لإشكالية التراتبية وعلاقات السطلة في المجتمع المغربي ما قبل الاستعمار. يتعلق الأمر بالنظرية الخلدوني، وبالنظرية الماركسية، وبالنظرية الانقسامية [10](ص، 63-111).

خاتمة

حاولنا فيما سبق أن نبين المعالم الأساسية للممارسة السوسيولوجية عند عبد الكبير الخطيبي، وذلك بالتركيز على أهم ما جاء في مقال "فكر الاختلاف" ومقال "النقد المـزدوج". في خضم ذلك أشرنا إلى أن الأساس في النقد المزدوج هو أنه يفتح ممكنات واعدة للتفكير، لأنه يدعو إلى تبني استراتيجية التفكيك والقلب، سواء تعلق الأمر بالخطابات التي انتجها العقل الغربي حول ذاته وحـول الآخـر، أو بالخطابات الـذي أنتجتها المجتمعات العربية، بشكل عـام، والمغاربية، بشكل خـاص، حول نفسها.

تتخذ عملية النقد والتفكيك كنقاط ارتكاز فلسفية المكتسبات والممكنات النظرية التي يمنحها فكر الاختلاف (بالخصوص أعمال كل من ميشال فوكو وجاك دريدا). رغم الحسنات التي يمكن أن نجنيها من المقالين المشار إليهما أعلاه، هناك بعض الأسئلة تفرض نفسها بقوة. ألا يمكن، مثلا، أن نسقط في براثن الايديولوجيا، التي نريد التخلص منها عن طريق النقد، في سعينا الحثيث نحول بناء وتأكيد الاختلاف، وبالتالي تأسيس إيديولوجيا أخرى تعكس هذا الاختلاف وتدافعه عنه؟ أليس في التأكيد على ضرورة تأسيس ممارسة سوسيولوجية مبنية على مكتسبات فكر الاختلاف، غموض منهجي وابستمولوجي لا يميز بين العلم وموضـوع العلم؟ بعبارة أخرى، نرى أن التأكيد على ضرورة تبني فكر الاختلاف أو ما يسميه عبد الكبير الخطيبي أحيانا اخرى بالفكر الآخر، دعـوة مبنية أساسا على الخلط بين

الهوامش

10 - لم نقم بتطوير أفكار هي هذا الإطار، وهو ما يمكن تداركه إما أثناء المداخلة، أو خلال كتابة النص النهائي. لم نقم بذلك، لأننا اعتبرنا أن الأساس هو توضيح المعالم الأساسية للممارسة السوسيولوجية كما يدعو إليها عبيد الكبير الخطيبي، ذلك أن طبيعة الاستدلال كانت أهم، بالنسبة لنا، من الإكثار من الأمثلة التطبيقية.

السوسيولوجيا كاستدلال وطريقة في تفكير الظواهر، والمواضيع التي تدرسها. إن السوسيولوجية كنمط من الاستدلال (un mode de raisonnement) لا يمكن أن تكون إلا واحدة، حسب وجهة نظرنا طبعا، وبالتالي فإن كانت هناك خصوصية ما وجب أن تبنى نظريا انطلاقا من الخصائص الفريدة التي يمكن أن تميز المواضيع التي تدرسها السوسيولوجيا.

إضافة إلى ذلك، وكما يدعو إلى ذلك عبد الكبير الخطيبي نفسه، نرى أنه من الضروري التعامل مع الانتاجات السوسيولوجية للكاتب على أنها أثر وبقايا أثر، ويجب موضعتها داخل السياق التاريخي الذي تبلورت فيه. نقول أخيرا إن النقد وجب أن يميز موقف الباحث أمام ما يدور حوله، وليس فقط امام مجمل الخطابات التي كان يتحدث عنها عبد الكبير الخطيبي. عندما يتحول النقد إلى استعداد وموقف للذهن، يكون من اليسير تطوير الممارسة العلمية على اختلاف تمظهراتها وأشكالها. ■

الهوامش

10 - لم نقم بتطوير أفكار هي هذا الإطار، وهو ما يمكن تداركه إما أثناء المداخلة، أو خلال كتابة النص النهائي. لم نقم بذلك، لأننا اعتبرنا أن الأساس هو توضيح المعالم الأساسية للممارسة السوسيولوجية كما يدعو إليها عبيد الكبير الخطيبي، ذلك أن طبيعة الاستدلال كانت أهم، بالنسبة لنا، من الإكثار من الأمثلة التطبيقية.

الهوامش

Khatibi, A, 1983, Maghreb pluriel, Paris, Editions Denoël.

Foucault, M, 1969, Archéologie du savoir, Editions Gallimard.

Foucauld, M, 2015, Qu'est-ce que la critique, suivi de la culture de soi, VRIN, Collection de Philosophie au présent.

النقد المزدوج[1] : الهوية وآفاق الاختلاف في مجتمعات التعدد

عصام موخلي
باحث في الفلسفة

يعد المفكر المغربي عبد الكبير الخطيبي[2]. من الكتاب الموسوعيين الذين يتنصلون دائما، بشكل تلقائي، من أي اختزال أو تلخيص أو تصنيف. فالرجل يكتب نصوصا متعدد الأبعاد بأسلوب يختلط فيه الأدب بالفلسفة بالأنثروبولوجيا بالسوسيولوجيا. إن هذه الطريقة لا يصل إليها إلى من تمرس ميدانيا ونظريا في دروب المعرفة العلم سنيين طويلة. وبالرغم أن الخطيبي متخصص بشهادات علمية عالية إلا أنه كان مؤمنا بالفكر الشمولي متعدد المستويات، لهذا جاءت كتاباته السوسيولوجية أوسع من أن تصنف في هذا القطاع المعرفي أو ذاك.

هذا الأفق في التفكير يمكن أن نلاحظه بشكل بين في كتابه " النقد المزدوج" الذي سوف نبسطه في هذه الورقة. من خلال دراسة أقسامه ككتل معرفية غير منفصمة، باحثين عما يوحدها مجتنبين كل ما يفرق بين مضامينها.

المجتمع العربي والمستقبل

من المفيد بداية أن نوضح مفهوم "النقد" باعتباره مدخلا مهما لكل فهم. ولكي يتجنب أي محتوى مضموني"غير ملائم" لهذا المفهوم في كتابه عمل على توضيحه قائلا:" كلمة نقد، قبل أن نذهب بعيدا، تتضمن، كما نعرف، فكرة غالبا ما تكون منسية، وهي المتعلقة بوجود أزمة. النقد كأزمة بالنسبة لنفسه، وفي الوقت ذاته بالنسبة للموضوع الذي يهتم به. وبهذا المعنى يظل النقد مزدوجا، سواء كان مرجعا مرتبطا بمفهومه الكانطي أو الهيغلي أو الماركسي. إن عليه أن يبني ويؤسس ركائز فيما هو يشغلها " وحدّ النقد هنا يتحدد عند الخطيبي من خلال الوظيفة الماهوية له وليس من خلال التعريف اللغوي، لذلك فهو يتأسس على مفهوم الأزمة باعتبارها خلل يجب الإعتراف به في مرحلة ثم العمل على تجاوزه. هذ الفهم الهيغلي المرتبط بالنقد يضمنه بفهم منهجي إنطلاقا من زاويتين مؤسستين؛ زاوية المحتوى المضموني باعتباره موضوع أزمة وزاوية آلية مرتبطة بالنقد من حيث كونه وسيلة

الهوامش

1 - كتاب "النقد المزدوج" هو في الأصل مجموعة من الدراسات كان المرحوم الخطيبي قد نشرها على فترات زمنية مختلفة وفي منابر متعددة. ترجمت هذه الدراسات إلى العربية ونشرت، على فترات متباعدة، في مجلات عربية بمبادرة فردية من طرف أدونيس ومحمد برادة وعز الدين الكتاني الإدريسي وعبد السلام بن عبد العالي وزبيدة بورحيل. ثم تبين للخطيبي فيما بعد أن يجمعها في كتاب واحد أسماه النقد المزدوج. يتضمن الكتاب دراسات كبرى " المجتمع العربي والمستقبل والمحور الثاني "الصهيونية واليسار الغربي" والمحور الثالث "أبحاث السوسيولوجيا". يقع الكتاب في حدود 251 صفحة من الحجم المتوسط، منشورات عكاظ، نشر أول مرة في فبراير 2000. سوف نقدم هذا الكتاب انطلاقا من البحث عن المضمون الناضم لكل قسم متجاوزين التفاصيل التي يحفل بها الكتاب. لنترك للقارئ فرصة التعرف على الكتاب عن قرب.

2 - مفكر مغربي(1938-2009) من مواليد مدينة الجديدة. درس علم الاجتماع بجامعة السربون، حيث قدم بحثا عن الرواية المغاربية. تقلد الخطيبي العديد من المناصب الأكاديمية، حيث عمال أستاذا جامعيا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية- الرباط، أستاذا مساعدا، ثم مديرا لمعهد السوسيولوجيا السابق، ثم مدير المعهد الجامعي للبحث العلمي. كان عضورا محترما في اتحاد كتاب المغرب... أصدر العديد من من الأعمال التي تنوعت بين الأدب والإجتماعيات والإنسانيات سواء في الروايات أو الكتب أو المقالات أو الحوارت من قبيل؛ الذاكرة الموشومة 1971، صيف بستوكهولم 1990، تفكير المغرب 1993، النقد المزدوج 2000. حضي بتقدير من هيئات دولية ووطنية حتى مماته مع صراع مع المرض.

تفكيكية وبنائية في آن معا.

على هذا الأساس فالخطيبي من زاوية الموضوع يؤكد على ضرورة إعادة النظر في إشكالية الهوية المرتبطة بالعالم العربي والمغرب العربي تحديدا، ففي تقديره؛ " لا يمكن للهوية الأصلية التي تقوم على الأصول اللغوية والدينية والأبوية أن تحدد وحدها العالم العربي. فهذه الهوية قد تصدعت وتمزقت بفعل الصراعات والتناقضات الداخلية. ثم إنها تجد نفسها مرغمة على التكيف مع مقتضيات الحياة العصرية والتفتح على العالم". وهذا الانفتاح حسب الخطيبي أدى إلى اهتزاز في نظام العالم العربي وتصدع في كيانه الحضاري، والنتيجة تعددية شاملة. والرهان الأهم في هذا السياق أن الثقافة العربية بحاجة - وتستطيع- أن تنتج فكرا قاردا على تحليل الوضع الجديد الذي يسمه التعدد، الذي يمر به العالم العربي. وهنا تبرز مهمة النقد المزدوج بشكل أكبر؛" نقد مزدوج، ينصب علينا، كما ينصب على الغرب، ويأخذ طريقه بيننا وبينه، فيرمي إلى تفكيك مفهوم الوحدة التي تثقل كاهلنا والكلية التي تحثم علينا"[3].

وهنا يدخل الخطيبي في سجال مع ثلاث قراءات [*4] اقتسمت مسألة النهضة العربية عموما والمغاربية خصوصا، وكلها سقطت في تأويلات عامة أغفلت جوانب أساسية من سؤال النهضة بشكل عام. يشر هنا المحاولة العقلانية والسلفية والتراثية.

تحاول الرؤية التراثية، حسب الخطيبي، أن تؤسس لبعد إصلاحي مطلق

مبلور إنطلاقا الاشكالات اللاهوتية. أما الرؤية السلفية فتسعى التأسيس لمحاولة وهمية من أجل التوفيق بين الدين والعلم حسب رؤية تاريخية تشتغل على إصلاحات تم تجاوزها*. أما الرؤية العقلانية فتعلي من شأن العلم وترفعه إلى درجة المؤسس النظري والعملي لكل شيء، وتتغافل عن المكونات اللاشعورية في الثقافة العربية بعتبارها مكونا أساسا من مكوناتها. كما يتجاوز الخطيبي الرؤية التاريخية التي تعمل على تفسير كل الوقائع والأحداث الماضية انطلاقا من شرطيتها التاريخة. لكن هذه التحليلات أصبحت بالنسبة للخطيبي فاقدة للمعنى، ففي اعتقاده يجب أن نفسح المجال إلى الرؤية "الاختلافية" التي يمكن أن تقدم اضافة نوعية أكثر من التشبث بما أسماه " الذاتية الحمقاء" أو "الهوية العمياء"[5].

تعمل على افراغ الذات العربية في مشاريع بعيدة على خصوصياتهما المرجعية المؤثثة لفضاءاها العمومي.

والواقع أن المتتبع لتفاصيل الكتاب سيجد تأثرا واضحا للخطيبي بفلسفة جاك دريدا،* خصوصا في استعمال مفهوم " الاختلاف" الذي يوظفه بنفس شاكلته، ليميز بين عدة اختلافات تفعل وتتفاعل داخل الهوية العربية عموما والمغاربية خصوصا.

أولا: الاختلاف الاجتماعي الذي يجعل الفكر يسعى إلى "تقويض البناء النظري" الذي يقوم على التفاون الاجتماعي ذو الخلفية الأخلاقية المشكلة له.

ثانيا: الاختلاف الثقافي الذي يدفع الفكر إلى تقويم الثقافات التي نبذها العالم العربي وهجرها

ثالثا: الاختلاف السياسي، فيعيد التفكير في دعائم التغيير وأسس الانفصال حسب ما استجد محليا وتعقد دوليا.

رابعا: الاختلاف الوجودي هو اختلاف يتجاوز التراثية والسلفية، آخذا بعين الاعتبار مسألة ما استجد في العلم والتقنية. وهذه الاختلافات هي مدخل مهم لنقد مزدوج ودائم، بل أكثر من هذا يجب أن تخضع لحركة نقد مزدوج مستمر ودائم[6].

يستتبع الخطيبي هذا التأثيث العام بشذرات مضيئة حول عدة قضايا راهنية، أوردها تارة على شكل مفاهيم وتارة على شكل أفكار توجيهية. سأحاول فيما يأتي أن أتوقف عند ثلاث شذرات اعتبرتها أساسية:

أولا **القيم المشتركة**؛ يعتقد الخطيبي أن الحياة المشتركة تنضح بنوع من القيم التي تتسم بطابع شعائري قوي مستقاة من مضامين دينية قدرية تشكل في هذه المجتمعات نمطا للعيش ووأفقا للاستمرار، بل أكثر من ذلك إنها نقط مرجعية للاستدلال بالنسبة إلى ثلة من البشر الذين يعيشون داخل هذه الثقافات والتي تعوق وتضعف مجتمعاتنا المدنية في سعيها إلى الدفع بالنقاشات العمومية إلى غايتها القصوى. وحتى نكون واضحين مع أنفسنا " فإننا مدعون للإشتعال على معوقاتنا الحقيقية. موقات بديهية، وهي تكمن في ضعف مجتمعنا المدني، والتقليل من قيمة النساء ـ والطبيعة المستبدة للسلكة السياسية، والغموص الذي يحيط على العلاقة أو على علاقة الدين بالسياسية، وقلة المهارة التقنية، .. الفساد والمحاباة"[7].

ثانيا عن **حسن استعمال الدين**؛ يشير الخطيبي هنا إلى مسألة في غاية الأهمية وهي المتعلقة ببعض المفاهيم التي توظف انطلاقا من البراديعم الديني؛ يشير هنا إلى مفهوم الوحدة تحديدا. وداخل هذا السياق العام يتأرجح الفكر المغاربي بين مستويين من الهوية؛ إما تلك المرتبطة بالنسق العشائري أو تلك المرتبطة بالبعد الثوري. والمسألة الأهم أن هذه الفضاء الثقافي تشبع بهوية ذاتية-دينية كمعرجعية عامة تشكل المحتوى المضموني لكل هوية ممكنة مستقبلا. لذلك في اعتقاده يجب التمييز بين حياته الفردية وبين قيم العشيرة وفي هاذين الأطارين يميز الخطيبي بين ثلاثة فضاءات أساسية:

أولا، **الفضاء الدنيوي**: هو مجال البين-ذاتي الأفسح، ففي سياقه أصبح استتباب النظام والأمن قبل أية ممارسة دينية كيفما كانت طبيعتها.

ثانيا، **الفضاء الديني**: هو مجموعة من الحقوق مبنية على نصوص دينية

الهوامش

3 - عبد الكبير الخطيبي، النقد المزدوج، منشورات، عكاظ، الرباط، 2000، ص 11.

4* - في فصل لاحق يعود للحديث عن هذه القراءات بنفس آخر- يتحدث عنها من ناحية التحولات- يقربه أكثر من متن العروي. ويشير بالقول إلى أن المقصود بالتراثوية: التحولات الميتافيزيقية التي أصبحت لاهوتية (اللاهوت باعتباره فكر الواحد الأحد) ؛ أما السلفية: وتشير إلى مجموع الأخلاق السلوكية ذات الأبعاد السياسية بالإضافة إلى كونها تربية اجتماعية؛ العقلانية (السياسية، الثقافوية، التاريخية، الاجتماعية...)؛ ويسمي الميتافيزيقا التي تحولت إلى تقنية بالعقلانية، أي القدرة على تنظيم العالم بإرادة جديدة. هذه التمايزات تبين أن الميتافيزيقا تبلورت في الفضاء العربي في ثلاث تحولات كبرى: لاهوت، ومذهب، وتقنية. تمييز الخطيبي هذا يقربه من تمييز العروي بين الشيخ والليبرالي والتقني، الذي عمل على نقده، ناعتا إياه بالغير المجدي؛ لأنه يلغي التراثوي المذهبي والتراثوي اللاديني، هذا بالاضافة إلى أنه كرس نظرة إسقاطية، بل إنه ليس إلا صورة اختبارية من لايديولوجية عربية ما معاصرة.

يقول في هذا الصدد: " نحن تراثيون بنسيان التراث، ومذهبيون بنسيان فكر الكائن وتقنويون بالعبودية؛ من دجننا هكذا حتى يصبح مثل هذا النسيان يتكرر جيلا بعد جيل". إن الإلهيات- في اعتقاده- كانت حاضرة بقوة في التفكير في الوجود والموجود في الجوهر في الواحد والكثر. لقد كانت مأخوذة بما نريد اليوم أن نتعلمه من الغرب. إن انحصار هذه الفلسفة لم يدرس كفاية، لذلك يعتقد الخطيبي أن استعادةالهوية يجب أن ينطلق من دراسة الجوانب غير المضاءة في التراث شئنا أن أبينا، وذلك مدخل لم ألقى السمع وهو شهيد.

* - ففي تصور الخطيبي لا التراثوية ولا السلفية بإمكانهما أن يؤسسا أفقا للتفكير والفن بالمغرب، ذلك أنهما لم تعد قادرتين على الانقلاب ضد سلطانهما الديني واللاهوتي المركزي وأن تؤسسا لحوار أفقي مع الخارج. أنظر:

* - عبد الكبير الخطيبي، النقد المزدوج، مصدر سابق، ص 41.

5 - المصدر نفسه، ص 13

* - جاك دريدا، فيلسوف فرنسي....

6 - المصدر نفسه، ص 13.

7 - المصدر نفسه، ص 16

مؤطرة، تنير للمسلم سبل الخلاص دينا ودينيا.

ثالثا، الفضاء التوفيقي: وهو المجال الأرحب وفيه التقاليد والأعراف والقوانين الاجتماعية الشفهية. في المغرب الكبير هناك ثلاث أنواع من القوانين: "الشريعة والعرف والقانون المستمد من القانون الفرنسي، قانون النصوص الإدارية والاقتصادية والمالية الذي ينظم ميادين أخرى[8]". يخلق الدين باعتباره مكونا ميتافيزيقيا قائما على العديد من المفاهيم المفارقة والتي تجد امتدادها في الزمن الثقافي الراهن للمغرب الكبير وتطرح نفسها بقوة في الفضاء العام التي تشكله بمفاهيمها الخاصة؛ (المقدس، التضحية، الطاعة، الوحدة..) هذا الأمر يأخذ دلالته الأكثر تعقيدا على المستوى السياسي يقول الخطيبي: "ويوجد في المغرب العربي تقليد لسلطة القيادة، يتمثل في الطاعة وفرض الطاعة. فهو مجتمع قيادة مهيأة لأنظمة الزبونية، والعائلية منها والقبلية والجهوية. لذا يجب أن نتعامل بجدية مع الأصول، التي ليست مجرد ظاهرة لا عقلانية أو مجرد تعبير عن هوية ضائعة، وإنما هي مبادرة يائسة وعنيفة للتوحيد بين الدين والمجتمع والسلطة، تحت طائلة قانون قيادة مطلقة"[9].

وكـأني بالخطيبي يهيئ النقاش للحديث عن العلمانية المرتبطة بالقيم الديمقراطية، كقيمية بامكانها أن تحتوي كل الفرقاء داخـل الدولة وتوجههم لصالح خير الأكثرية بشكل أكثر عقلانية. فالديقراطية في اعتقاده هي المدرسة التي يمكن أن توحد الشتات الهوياتي في مختلف المستويات في المغرب العربي، لأن ما يهم في نهاية المطاف " هو كرامة الإنسان"[10*]. لكن ذلك لا يكفي إذ بدون مشروع مجتمع، وبدون تنمية وإنتاج للموارد، بـدون إقتصاد قـوي، بدون تنظيم قانوني يسمح بالتوزيع العادل للثروة تظل الديمقراطية إطارا فارغا. هنا يطرح الخطيبي سؤال التعليم والثقافة كصنوان متعالقين:

يعتقد الخطيبي أن الثقافة العربية تعاني من هوية ممزقة، وبدون الدخول في سؤال المشكلات وجذورها. الحل- حسب الخطيبي- هو العمل على التعليم بمخرجات معاصرة وبأفق منفتح على ما هو متاح للبشرية جمعاء." ويمكن أن نجزم هنا بأن الحضارة العالمية هي التقليد الجديد لجميع الثقافات المطالبة بالتكيف باستمرار مع هـذا التطور وبنياته التقنية"[11].

ولهذا يجب أن نعمل على استنبات قيم المعرفة باعتبارها سلاح المرحلة بامتياز، فالشعوب إما أن تعمل بنكران ذات وإما أن تضمحل. ويكز الخطيبي على مسألة اللغات التي تلعب دورا حاسما في مسألة المعرفة، فالتعليم يجب أن يستند في البداية على لغة واحدة تحدد هوية الإنسان وإمكانياته في العالم، وانطلاقا منها ينبغي علينا أن نستكشف لغات أخرى وأنماطا جديدة من التعبير؛ " فبالنسبة للتعليم العام تكفي لغة مكتوبة واحدة ذات مستوى جيد تلقن عند بداية تكوين الطفل، لغة واحدة تحدد هويته بإمكاناته اللغوية" [12*]. وهذه المسألة في اعتقاده هي مدخل إلى السلم الاجتماعي والمدني اللذين يمران بشكل أساسي عبر حرية التواصل بين السكان ووسائل تعبيرهم، وهذا الأمر واضح لا غبار عليه لكل إنسان عاقل يفكر في العنف والتسامح والتعاون والاخاء بالمعنى العام والدقيق للكلمة. والحـل بشكل عملي هـو " تدريس اللغة العربية باعتبارهتا لغة رسمية، والأمازيغية باعتبارها لغة ثقافية، ليس فقط في المناطق المعنية بل لكل من يرغبون في ذلك. وسيتم تحديد الفترات الإنتقالية بعد اجراء نقاش وطني حول هذه المسألة"[13]. وهذه المسألة طبعا تحد من مسألة الاقتصاء من المشاركة في البناء الثقافي، ولا تسمح بضياع طاقات عن طريق التقوقع على عناصر محددة في لغة واحدة.

أما مسألة الثقافة فيقترح الخطيبي أن تحاط بعناية، فالإرث الثقافي في كل مستوياته وأبعاده يجب أن يدرس كتراث ممتد، بل أكثر من هذا يجب أن تكون إحدى أهداف المعرفة والابـداع وتلك مهمة المثقفين والفنانيـن، والتي يجب أن تسند بمهمة التخزين الرقمي في المستقبل. المستقبل هو ذلك الأفق الذي يجب أن يوجه قوى الحية للاشتغال. فالتراث هو مكمن الوجود الإنساني سواء بارتباطه بالماضي أو في تطلع حامله إلى المستقبل.صحيح أن الـتراث هو ماض بالدرجة الأولى، لكن بإمكاننا أن نساءل هذا الماضي بأسئلة موجهة لما يمكن أن يشكل بوثقة نهضة حقيقية، لأنه من غير المعقول أن نبقى حبيسي السماء التراثية المشكلة أساسا مما هو روحي. إن سؤال التراج حسب الخطيبي هو سؤال ملغز من الناحية النظرية لأن فلسفته تتحدد في ماوراء ذلك، وتقترح أن يتوجه تفكرينا في الهوية المرتبطة بالتراث إلى محاولة إضـاءة الجوانب الخفية من الـتراث الإسلامي نفسه" لهذا يتوجب علينا أن نحب تراجع العرب التاريخي ونقترب من، علينا باختصار أن نتوجه إلى ليلهم"[14].فالتراث ضاع على أيدي دارسيه بمسميات شتى وبأغراض معرفية وسياسية وأيديولوجية مختلفة.

- في الاختلاف الوحشي

يعتقد الخطيبي أن الغرب يسكن فينا ليس باعتباره مطلقا وإنما باعتباره كلا مختلفا نتحدد ونقارن أنفسنا بدقة معه كما هو الحال بالنسبة للفروقات المطروحة في علاقتنا بتراثنا الذي ننتمي إليه امتدادا. لهذا يستخدم الخطيبي مفهوم الإختلاف الوحشي للدلالة على هذا التشرذم القصري، والذي يصل في مرحلة متقدمة إلى الضلال الهوياتي، المرتبط بالدرجة الأولى بالمضمون الثقافوي الممكن لأن يشكل هويتنا إنطلاقا من الـتراث (القومية، التزمتية، العرفية، القومية...). المسألة لا تنتهي بهذا الإقرار بل تأخذ أبعادا استشكالية- في ارتباطنا بالغرب- يمكن أن نختزلها في السؤال المنهجي التالي: ما هو الغرب الذي نقارن أنفسنا به، خصوصا في المرحلة ما بعد الاستعمارية، فالغرب الذي نتحدث عنه كوحد هو تعدد لا نهائي على المستوي الهوياتي؟ إن علاقتنا الهشة بالمكونات الميتافيزيقية هي التي تهزهز موقعنا ك" نحن"؛ بمعنى أن الكائن العربي مقيد من الناحية التاريخية بهاته الهالة، لهذا لايمكن أن نستأنف القول الفلسفي حول سر تراجعنا بدون استئناف الحوار المنهجي مع السر الذي يجعلنا نتجه إلى الحضارة الغربية في كل مكوناتها أو أن نرجع صوب أحضان جضارتنا.

- في السيادة :

المعروف حسب الخطيبي أن الغرب متجه منذ عقود نحو الهيمنة الشاملة من خلال ما أسماه هيغل " مملكة المعرفة المطلقة"، والتي تجسدت بالملموس في التعميم الشامل للتقنية كأسلوب للعيش التي سيطرت على كل تمفصلات

الهوامش

8 - المصدر نفسه، ص 18

9 - المصدر نفسه، ص 19

10 - المصدر نفسه، ص 19

* - تعلمون أن الأمر كان دائما على هذا النحو منذ وفاة النبي محمد. واليوم أصبح السكوت عن نقد الدين أمرا غريبا. في واقع الأمر نجد أن الطبقات العربية الحاكمة علمانية، وتستعمل الدين كسلاح إيديولوجي لأن الشعب مؤمن. وهذا أمر يقلق العقلانين واليساريين العرب، فكيف يمكن النضال ضد هذا الاستغلال دون أن يكون الشعب ضدهم. حينئذ يصمتون في انتظار أن تغيير البنية التحتيى البنية الفوقية".

- عبد الكبير الخطيبي، النقد المزدوج، مصدر سابق، ص 52.

11 - المصدر نفسه، ص 20.

12 - المصدر نفسه، ص 22.

* - فتعليم اللغات الأجنبية بالمغرب رهين بالوضعية الوطنية والدولية " بالاضافة إلى العربية (اللغة الرسمية) وإلى الأمازيغية (لغة الثقافة) يجب تدريس الانجليزية كلغة ثالثة حسب الاختيار كما ستدرس لغات أخرة في الشغب الجامعية المتخصصة."

- المصدر نفسه، ص 23 وص 51

- أنظر الرؤية الاستراتيجية الرؤية للمملكة المغربية 2030-2015.

13 - عبد الكبير الخطيبي، النقد المزدوج، مصدر سابق، ص 23

14 - المصدر نفسه، ص 34

الذات المعاصرة. العرب كذلك- حسب الخطيبي – سيصلون إلى هذه المرحلة المتقدمة من العلم والتقنية. لكن كيف نستطيع أن نأخذ نظامها بدون أن نأخذ تبعاتها الاستلابية؟

التقنية ليست خيرا في ذاته ولا شرا في ذاته إنما المصير الكوني للعالم، انتشارها لايقاومه أي مجتمع " حيث يقيم الإنسان تكون التقنية مقيمة كأرض ثابتة"[15]. صحيح أن العرب دخلوا عصر التقنية بفكر لاهوتي يصعب إستصاله لكن ذلك لا يهم الأهم هو قيمة التقنية نفسها. نحن في المغرب نستورد التطور (التقنية) من أجل أن نتجاوز الهشاشة الإنسانية في (المجال ، الفقر، التطبيب...) كما سوف تنتنج مشهدا تكنوقراطيا محليا للسهر على إرادتنا... بالإضافة إلى ما تطرحه هذه التقنية من علاقة بين الإنسان ومحيطه فنحن نستورد هذه الآلات ونستورد الطابع العلائقي لها؛ إنها ميتافيزيقا مكتملة العناصر والأركان. هذه الميتافزيقا تدعو وستدعوا بشكل أكثر إلحاحا إلى إفساح المجال لصوت الكائن في المجتمع...[16].

- في التاريخ :

إن التاريخ هو مسكن الإنسان ومنبت كل تمفصل هوياتي ممكن. في هذا المستوى يدخل الخطيبي في سجال فلسفي مع الفيلسوف العروي حول مسألة التاريخانية؛ في فكرتها القائلة بأهمية المراحل التاريخية ذات الأمد الطويل من خلال رد التأخر التاريخي والتخلف الثقافي إلى مجال تاريخي أوسع ذو طابع شامل أو ما أسماه" التاريخية المعممة"، لكي يفضح استلاب المواطن العربي الذي اتجه إلى البحث التراثوي الذي يقوده حنين إلى التاريخ القديم ، بعد المرحلة الاستعمارية[17]. صحيح أن هذا التاريخ النظري مهم للغاية لكنه ينطلق من مسلمة " عامل التاريخ" عقل مطلق، باستطاعته أن يسيطر على مصير الإنسانية، هذا المأزق النظري المأسور بالرؤية الميتافيزيقية هو ما جعله قريبا من الماركسية. التي ترفض هي نفسها "التاريخية المتعالية" (تاريخية المجتمع الاقطاعي) التي تحدها المطلقات (الله، النبوة، القدر..) كما ترفض تاريخة الفكر الليبالي (القرن الثامن عشر الأوروبي) التي أوجدت بدائل معلنة العقل الفرد الحرية ... صحيح أنه حدث تغير إيديولوجي.. لكن القطاع الميتافزيقي مكان الإشتعال بقي هو نفسه.

مايلزمنا فعلا هو العمل على تجاوز المعرفة التي نملكها على أنفسنا وعن الآخرين في أفق بناء معرفة أوسع تتخذ استراتيجيات متعددة أهمها نزع الطابع الميتافيزيقي عن الكتابة التاريخية وأن نحلل بحس نقدي الأنظمة المعرفية السائدة.

يعتقد الخطبي في حوار مطول مع الروائي المغربي الطيب بنجلون أن العرب ينقصهم الكثير من أجل أن نتحدث عما يسمى الفكر بالمعنى الواضح للكلمة. فالعرب لم يعرفو تخلفا وإنما انسحابا للفكر في كل تمفصلات الثقافة العربية " إن الانهيار الاقتصادي والسياسي للعالم العربي منذ القرن الخامس عشر قد صاحبه انسحاب للفكر لا تخلف"[18]. فالانسحاب هنا بمعنى أن الحياة أخذت ايقاعاتها تتباطئ سواء بارتباطها بالفرد أو بالقيم. لهذا السبب حصر الفكر العربي نفسه في اللاهوت والتصوف واللغة*. لقد أصبح الصوفي واللغوي الشخصيتين اللتين تحددان مصير تسارع الأمة في فترة الإنحطاط. هذا المفهوم الأخير يحمل دلالة ايجابية عند الخطيبي ففي اعتقاده إن ما يشكل قوة العرب ليس امتلاكهم للبترول فقط وإنما " لاهوتهم وتصوفهم ولغتهم الرائعة. ولكن كل قوة هي في حد ذاتها ضعف كبير"[19]. هذا الضعف مرده إلى أن العرب ظلوا غائبين على الفكر الأوروبي". لقد نسي الفلاسفة الأوروبيون سريعا ما يدينون به للفلسفة واللاهوت العربيين... إنه نسيان ينبع من تمركز حول الذات بدون شك. لكن ينبغي أن نتجاوز هذه الملاحظة وأن نعيد التفكير في انعدام كينونة العرب بالنسبة لكينونتهم الراهنة"[20]. والأغلب أن هذه الرؤية ارتبطت بمسألة الاستشراق في كثير من أبعادها. لقد كرس العديد من المستشرقين حياتهم - بمناهج متعددة - لمعرفة تفاصيل العرب وثقافتهم من ناحية ولإبراز النزعة التمركزية حول الذات من ناحية ثانية. لهذا يدعوا الخطيبي إلى تقوية الثقافة المنسية بإعادة دراستها فإضعافها هو إضعاف لقيم الإنسان نفسه." ينتقد العرب الغرب بسهولة ولكن عليهم أن ينتبهوا إلى إبادة ثقافة شعبهم هم وأقلياتهم هم"[21]. والثقافة هنا مرتبطة أساسا بالمستوى الإقتصادي، يجب على أن يفكروا في اقتصاديات قائمة على العنصر البشري، لأن مستقبل البلدان غير مرتبط أساسا بالطاقة البترولية بل مرتبط بعوامل أكثر تعقيدا من الطاقة نفسها. إنه الإنسان.

عمل الخطيبي على محاولة أضفاء نوع من الأهمية في دور التراث في التغيير والإبداع. ففي اعتقاده أن القطع مع التراث، يجب أن يسبقه نوع من المعرفة الجيدة بموضوعه كما يجب أن نكون "قد أحببناه وتشبعنا به"[22]، فكل قطيعة يجب أن يستتبعها ويسبقها حركة نقد كل ينظر إلى الكائن في حركاته وسكناته" لنأخد الإنسان العربي، وعلى وجه التحديد الإنسان المغربي، فإننا نلاحظ أنه يحمل في أعماقه كل ماضيع ما قبل الإسلامي والإسلامي والبربري والعربي والغربي. أهم شيئ إذن ألا نغفل هذه الهوية المتعددة التي تكون هذا الكائن. ومن ناحية أخرى يجب أن نفكر في الوحدة الممكنة بين هذه العناصر جميعها[23].وكأني بالخطيبي هنا يعمل في مطالبته كمفكر بالهوية المتعددة إنما يؤكد على مفهوم الإختلاف، وفي ذلك خطر واضح على المقوم اللاهوتي الذي يؤسس للسلطة " لأنه ينبني على مبدأ وحدة ضرورية تضم كل المؤمنين"[24]. هذه الثقافة الجديدة يجب أن تكرس في الفضاء العمومي، لأنها في طريق الاختناق، فالتقنية باعتبارها فكرا شموليا يقضي على النظام القبلي الذي يسع كل أشكال التعبير الثقافي؛ فن، موسيقى، رقص، لغغة... لكن هذه المسألة أخذت أبعاد خصوصا في المرحلة ما بعد الإستعمارية " إن الحركة الوطنية كانت تناضل من قبل، ضد التفرقة بين القبائل. وضد السياسة الانفصالية التي كان يدعو لها المستعمر، فكان الدفاع عن الوحدة الوطنية أمرا منطقيا من الوجهة السياسيى غير أنها اليوم، وباسم ذلك المنطق ذاته ترفض الاختلاف المجتمعي والثقافي الذي يخترق كيان الإنسان المغربي.[25]"

وفي معرض اجابته عن سؤال بخصوص مسألة استوراد المناهج والنظريات الإنسانية الغربية، أشار الخطيبي إلى مسألة في غاية الأهمية وهي عدم الانسياق وراء التأويلات الطهرانية الجاهزة التي تقذف به في عالم التيه الذي لا هدف له سوى البحث عن الخلاص بأي ثمن مقصيا كل طرق منفتحة على الاختلاف " لقد انسحب الفكر العربي منذ خمسة قرون. وهو يعود اليوم ليقتحم عالما تهيمن عليه المعرفة الغربية المطلقة. وعوض أن يباشر بجدية الحوار مع فكر الاختلاف(نيتشه، ماركس، هيدخر) نلحظ أنه يتيه في ميدان العلوم الإنسانية"[26].

الهوامش

15 -المصدر نفسه، ص 42.

16 - المصدر نفسه، ص 45.

17 - المصدر نفسه، ص 37

18 - المصدر نفسه، ص 44

*- يمكن العودة إلى تقسم محمد عابد الجابري للعقل العربي في كتابه نحن والتراث أو في كتابه إشكاليات الفكر العربي المعاصر.

19 - المصدر نفسه، ص 45

20 - المصدر نفسه، ص 46

21 - المصدر نفسه، ص 47

22 - المصدر نفسه، ص 50

23 - المصدر نفسه، ص 50

24 - المصدر نفسه، ص 50

25 - المصدر نفسه، ص 51

26 - المصدر نفسه، ص 54.

الصهيونية واليسار الغربي:

"إن اليهودي لن يتحرر إلا بعد تحرره من اليهودية " [27].

هل كان كارل ماركس مناهضا للمسألة اليهودية أم أنه أسيئ فهمه؟ إن هذا السؤال يبدوا منطقيا عند الخطيبي في مساءلة المدخلات الفلسفية للنص الماركسي، ذلك أن المخرجات النظرية للايديولوجية اليهودية تعتبر ماركس من اليهود الذي خان العهد، مثله في ذلك مثل فرويد اسبنوزا تروتسكي روزا لوكسمبرغ [28*]. لهذا يلجأ الخطيبي إلى السخرية باعتبارها الطريقة الوحيدة التي بإمكانها أن تزعزع الدغمائية الدينية عند اليهود. وهنا يدخل في سجال فلسفي مع الكثير من منظري الصهيونية من أهمهم: روبير مسراهي *. حول فكرته القائلة بأن ماركس أجرم في حق اليهود وأسهم في اضطهادهم. "يرى مسراهي أن ماركس مناهض كبير لليهود لم يمكن ليتمنى فحسب محو اليهودية والقضاء عليها، وإنما ساهم، بطريقته الخاصة في تدمير اليهود" [29*]، في اعتقاده موقف ماركس اتجاه اليهود تميز بالقسوة حينما أصدر كتاب "المسألة اليهودية" الذي فكك من خلاله الوضعية التاريخية لليهود من خلال المنظور الطبقي. وطالما أن موقف ماركس أتى غير مطمئن للمجتمع اليهودي، فأكيد أن الكتاب يجب أن يقوض، على اعتبار أن اليهودي بشكل عام يقيس الجدية العلمية لأي إنتاج فلسفي أو مذهب اجتماعي أو سياسي إنطلاقا من القضية اليهودية نفسها.[30]

هذا المنظور هو الذي أطر الخطيبي وألهم عدته المفاهيمة في مقارعة الحجة بالحجة. ففي اعتقاده الاستعمال غير الموفق لهذا النص من طرف مسراهي أو غيره كان بسبب الخوف غير المبرر من موقف ماركس المتماسك من مسألة الدين في ارتباطه بقصية الصراع الطبقي*. لأنه "بانتقاده للدين وبضم الأقلية اليهودية، نظريا، وإدخالها في خضم الصراع الطبقي"[31].

تصبح جزءا من النظرية العامة للصراع الطبقي الذي شكل فيه اليهود فيما مضى طرفا مهما، بعتبارهم- فيما مضى- جزءا من البروليتاريا الأوروبية، وهذا معناه أنهم لايزالوا يشكلون طرف النقيض في مسألة الصراع الطبقي الذي لن ينتهي، وهذا لا يعطيهم في المتن الماركسي أي صلاحية إطلاقا في الاستمرار فالنظرية الماركسية قوضت الكلية الوهمية التي بنت عليها الصهيونية ذاتها باعتبارها فكرة ميتافيزيقية ملغومة لا أساس علمي أو جدلي لها. فالتحليل الجدلي له القدرة على استعاب أشكال التناقض والتغير بالتالي فهو يقوض مفاهيم الهوية، الأصل بعتبار إسرائيل هي شعب الله المختار ؛ وهذا هو "التأويل العنصري الذي يتبناه كثير من رجال الدين اليهود الذين يقولون بكل صراحة إن الإنسانية مقسمة إلى كيانين : إسرائيل والباقي " [32]".ضف على ذلك أن الإيديولوجية الإشتراكية بشكل عام لن تكترث بالقضية الاسرائيلية باعتبارها قضية دينية. وبما أن ماركس يسعى إلى تحرير الإنسانية من البنيات العليا الفوقية فهو بذلك لا يقر للديانة اليهودية بأفضل أو امتياز، بل يضعها بمصاف باقي الديانات ومن حيث كونها ملاذا وزفرة الانسان المضطهد المقهور في العالم المستلب[33].

في تصور الخطيبي تقويض التصورات النظرية المؤسسة للصهوينية سيكون له تبعات على مستوى التصور النظري للقضية الفلسطينة باعتبارها قضية محايثة؛ خصوصا التصورات النظرية الميتافيزيفة المرتبطة سواء لدى الأصوليين بعتبارها قضية عقيدة أو لدى القوميين بعتبارها قضية قومية، في تصور الخطيبي كلا الفريقين يشتركان في التصور المفاهيمي الوحدة والأصل والمركز*. لهذا بدا الرجل مقتنعا بأن التتبع الدقيق للنظرية الماركسية في بعدها الثوري يقودنا إلى تقويض البنيات النظرية للصهيونية التي انبنت عليها الدولة الإسرائيلية نفسها "فكما أن الماركسية الثورية تأخذ على عاتقها تحطيم التشكيلة الرأسمالية-الإمبريالية وتقضي عليها كي تحقق أهدافها هي، فإن التحليل المنطقي يؤدي بنا إلى هدم البنيات الصهيونية وتقويض أسس الدولة إسرائيلية المزعومة، ولا يتعلق الأمر أبدا بإبادة الشعب اليهودي وإنما بتحطيم نظام سيطرة سياسية وعسكرية". هذه الخلاصة يستتبعها من الناحية النظرية نتيجتين منهجيتن مترابطتين:

أولا: رصد التسلسل المنطقي للنظرية الماركسية يقود إلى نقد وتقويض -بشكل منهجي- الأساس النظري لدولة إسرائيل، على اعتبار أن الماركسية تتحدد كنقيض للإمبرالية (إسرائيل جزء منها)، تناقض يجد أساسه في التاريخ البشري من حيث هو صراع طبقي مستمر. ومادامت الرأسمالية دولية من ناحية الإقتصاد، هذا ما يجعل الصراع شموليا وليس محصور في دول بعينها.

ثانيا: الشعب اليهودي مرتبط بنظام اقتصادي الأمر الذي ينتج عنه من الناحية الماركسية أن هذا الشعب بدوره خاضع لمقولة الصراع الطبقي، الأمر الذي يغيب مسألة البعد العقدي في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني؛ فمعتنقد الدين اليهودي والدارس للماركسية يجد نفسه لدولة إسرائيل الإمبريالية، و الشخص المسلم إذا ما استوضح الماركسية يجد نفسه مناهضا لإبادة اليهود أو القذف بهم في البحر. فيصبح من المستحيل من الناحية النظرية في المتن الماركسي أن نقوم بمجابهة نظرة ميتافيزيقية بنظرة أخرى مساوية لها "الشعب المختار، وخير أمة أخرجت للناس". الفكرة التي يدافع عنها الخطيبي هنا، فكرة بسيطة بعمق فلسفي، منقطع النظير، وهي؛" أن تعميم الصراع الطبقي في الشرق الأوسط هو وحده الكفيل بأن يخلص الصهيونية والفلسطينين معا من المشكلة الوطنية". وبهذه الطريقة تنجاوز المحددات الميتافيزيقة في المتن

الهوامش

27 -كارل ماركس، المسألة اليهودية، ترجمة نائلة الصالحي، 2004.

https://www.marxists.org/arabic/archive/marx/1844/jewish.htm

28 - دويتشر إسحاق، اليهودي اللايهودي، ترجمة ماهر كيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت، ص10

* - ومثلما هو الحال مع ماركس فكذلك الحال مع فرويد في كتابه "موسى والتوحيد" بكشفه عن الأسس النفسية لتشكل الديانة اليهودية والتي تمثلت في العصاب وكذا نزع الهوية العبرانية عن موسى وكشفه لأصله المصري، فلقد ظل فرويد وفيا لنظريته التي تنطلق (من معالجة موضوعية) لا دخل للتصورات والمعتقدات اليهودية فيها، من كان فرويد بالنسبة للخطيبي قد حذا حذو ماركس في نزعه للصورة الميتافيزيقية/التقديسية عن الديانة اليهودية.

- مفكر مرموق داخل الحركة الصهيونية.

29 - المصدر نفسه، ص 122

* - هذا النقاش لم يطرح على مستوى فلسفة سارتر الذي ساند بشكل ديبلوماسي القضية الاسرائيليةو ظهر في كثير من الأحيان متناقض في مواقفة، هل كان هذا ارضاءا لليسار الفرنسي أم انطباع شخصي أسئلة يجب أن تفرد ببحث خاص. ولكي يكون كلامنا واقعيا نورد هذا النص من كتاب الخطيبي يقول سارتر ويقصد المقاومة " إنهم يقومون بأعمال إرهابية" أنظر ص 106 ثم يقول في نص آخر: " أنا لا أجزم بأن إسرائيل إمبريالية أو أنها من " إبداع الإمبرالية" كل ما أقوله هو أن العرب يتهمون إسرائيل بذلك" أنظر ص 107. ولم أشأ أن أعلق على سارتر لهذا السبب، لأن التناقض يتركنا دائما في البحث عن الحواشي.

30 - المصدر نفسه، ص ص 123 و 125.

* - "فالاستعمال التعسفس لهذا النص من طرف مسراهي بحسب الخطيبي نايج عن الاستلاب المولد للإيديولوجية الصهيونية، فهذا الأخيرة هي الوعي الشقي لليهودية ومفهوم الوعي الشقي مفهوم مركزي في تحليلات الخطيبي إذا لا بد من الوقوف على هذا المفهوم الهيجيلي الوارد في كتاب فينومينولوجيا الروح بمعية الاستلاب من حيث هو تساند الوظيفي بين السلب والمعرفة، والسلب والحرية، إذ أن الوعي "يكبح الوعي الذاتي ملاذه أو ال يبالي بها حينما يكشف عن الحرية البسيطة لذات " فالروح المستلب هو الذي يجعل طبيعة وعس الإنسان ذو طبيعة منقسمة ومجزأة ومجرد كائن متضاد. من هنا كان عدم تجاوز هذا الوعي الشقي وذلك بتجنبه للذاتية في معالجة المسألة الدينية التي تشكل جوهر المسألة اليهودية خصوصا نقد فلسفة الحق لهيغل.

أنظر مقال: ياسين إيزي، قراءة في كتاب النقد المزدوج، المقال منشور على مجلة أنفاس الإلكترونية، 8يناير 2016.

31 - المصدر نفسه، ص126.

32 - هناك نص آخر جميل في التوراة في سفر الأحبار، يورده الخطيبي، يقول: إن السماء والأرض لم يخلقا إلا إرضاءا لإسرائيل"

- أنظر: المصدر نفسه، ص 168

33 - الدين أفيون الشعوب مقولة فيها الكثير من اللغط على المستوى الفلسفي واستعمالها يجب أن يسند بعمق نقدي.

* - يشكل المنظور الإختلافي المضمر مدخلا مهما لفهم فلسفة الخطيبي بخصوص تصوره للقضية الفلسطينة اليهودية، فمسألة الصراع الطبقي بإمكانها أن تحتوي القضية الفلسطينية والاسرائيلية من وجهتين مختلفتين القومية والدينية، فهذا الفهم لا يقوم على اعتبارات أخلاقية أو دينية تعلي من شأن قومية على أخرى، بل تحاول أن تنظر من وجهة نظر أممية يستوعب القوميات المضطهدة.

التراثي سواء في الثقافة الغربية أو العربية لاعتبارها غير علمية ولا تاريخية، بل تؤول إنطلاقا من المرتكزات المفاهمية التي تشكل الأصل والمركز . لكن أوليس تعميم الصراع الطبقي بدوره يسقط في الكلية الميتافيزيقية التي أشار إليها الخطيبي؟

لعل الجواب الأكثر قبولا هنا، أن الخطيبي يعي جيدا محدودية خطابه، فمحاولة تعميم الصراع الطبقي"البرجوازي-البروليتاري" من ناحية المنشأ الإنساني منبثق من تعميم نمط الإنتاج الرأسمالي الذي تتواجد إلى جانبه أنماط إنتاجية أخرى غير مهيمنة، فهذا التعميم يخص مرحلة تاريخية معينة من هنا كانت نظرية الصراع الطبقي تعي تاريخيتها وتغيرها.

ثانيا: هناك تساؤل آخر، أوليس الصراع الطبقي من حيث هو المحرك التاريخي قولة ميتافيزيقة تحكم بنظرة شمولية؟

هنا في واقع الأمر نكون أمام مغالطة منهجية، التي تعتبر أن الصراع الطبقي هو مصدر أساس من أجل تحريك المجتمعات البشرية لا التاريخ، ذلك أن الأساس في الموضوع هو وجود الطبقات الاجتماعية الذي يشترط وجود المجتمع الذي يرتبط بأنماط الإنتاج، والمقصود هو إنتاج جماعي في ارتباطه بنمط تدبيره، من هنا تفهم مسألة الصراع الطبقي كما تبناها الخطيبي. إن اعتبار التراث وحدة متجانسة يؤدي بنا إلى شكلين من أشكال التعاطي مع التراث إما إحداث قطيعة معه مطلقا في في أفق صياغة حداثة على شاكلة الآخر أو الانفتاح عليه كموطن لحداثة أخرى إذا أخذنا بعين الإعتبار مسألة الانتقائية، وكل هذه القراءات لها مدخل ابستيمي يتبنى فكرة الأصل واحد. في مقابل طرد اللاهوت من التراث (طرد عنصر الوحدة) يعني التعامل معه في تاريخيته ونسبيته كقطعة مشكلة للتاريخ الإنساني بشكل عام لكل واحد في الإنسانية نصيب في تشكلها بشكل جدلي*. فقراءة التراث بالثالوث الميتافيزيقي الوحدة الأصل الهوية الصافية من أجل الوصول إلى الحداثة أو الحفاظ على الوضع الحالي يقع على حساب هويات أخرى، من هنا السقوط في ما يسمى صراع القوميات والحضارات وعدم تقبل الآخر أو عدم تقبل الأنا.

حـــــول السوسيولوجيا بـالـمـغـرب و الـعـالـم الإسلامي*:

تتحدد المهمة السوسيولوجية من حيث هي ممارسة مرتبطة بمحفزات النقد الزدوج، فالسيوسيولوجيا في البلدان النامية يجب حسب الخطيبي أن ترتبط بتفكيك الكليات الميتافيزيقية كيفما كان مصدرها؛ ويجمل تصوره بخصوصها في مستويين.

أولا: العمل على تفكيك وتحليل بوعي نقدي المفاهيم المنتجة عن المعرفة السوسيولوجية المطبقة على العالم العربي والتي غلب عليها المدخلات الإيديولوجية الغربية " فكرة التمركز خول الذات".

ثانيا: محاولة نقد المعرفة والكتابة السوسيولوجية التي أنتجتهما المجتمعات

العربية حول ذاتها.

هذين المستويين ينتج عنهما فكرة في غاية الأهمية وهي التأكيد على مسألة النسبية التاريخية التي يجب أن تقبل بالضرورة، بمعنى تجاوز النقاش حول المحددات المرتبطة بالأصل غرب/ عرب. فالوعي المحايث لهذه المسلمة يفتح الدرس السوسيولوجي بشكل أكثر عمقا على النظريات العلمية. لأنه لا يعقل أن تسيطر أنساق معرفية وتغيب أنساق لأن الدارس أصر بشكل دعمائي على استلهام مقومات درس سوسيولوجي على حساب آخر. وهذا معناه أنه في إطار العمل على تحديد النسق المسيطر لا يجب بأي حال من الأحوال التغاضي على الأنظمة الآخرى في المغرب لأنه بالضرورة توجد هناك أنساق آخرى أكثر تعقيدا تحضر إلى جانب بعضها البعض: النسق الأبـوي، القبلي، الرأسمالية الحرفية، نسق الأسياد،... وأخيرا النسق المخزني باعتباره نسقا مهيمنا. هذا بالإضافة إلى ضرورة تـجـاوز كـل الأطـروحـات الميتافيزيقية المتعالية التي تستنزف الدرس السوسيولوجي في مطارحات هو في غنى عنها (المركز/ الهامش...*). من هنا ضرورة تفكيك التراث وليس العمل على تجميعه كقطع بلور منثورة إنطلاقا من كليات ميتافيزيقية مثـال اعتباره "تراثا عربيا إسلاميا أصيلا"، إن مثل هذه المسميات الغلضة يجب أن نتجاوزها وإن بقي استعمالها يجب أن يبقى على مستوى الإسم للتمييز وليس كمنطلق هوية للقراءة.

مجل قول الخطيبي في ختام هذا القسم هو أن الكتابة السوسيولوجية كتابة للتـاريخ والعلم والإيديولوجيا والفلسفة، يجب على الدارس أن يراعي كتابة الوقائع المادية المؤثثة للفعل في الفضاء العمومي بشكل عام في تاريخيته وفي ارتباطها بكل للمؤسسات الاحتماعية المنفعلة والفاعلة. والأهـم يجب أن تكون لها لغة ومفاهيم وايديولوجيا ومنطق وفلسفة خاصة بها في سكناتها وحركاتها .

خاتمـــــة :

ما يمكن أن نخلص منه في نهاية هذه القراءة هي أن قراءة الخطيبي فتحت النقاش حول مسألة تكامل المناهج الدراسة، فالمنهج التفكيكي يمكن أن يلقح بمقولات التحليل الإجتماعي الماراكسية ف في أفق بناء منضور منفتح يبتعد بالدرس السيوسيولوجي في الحديث عن الكليات الميتافيزيقية. وذلك لسببين أولهما؛ العمل على المنظور العلمي على مستوى الدراسة والتوطئة. ثانيهما العمل على نزع الكليات المركزية، والتأكيد على فكرة حضور القوميات ليس من أجل جعلها مركزا بل محاولة مساواتها بما كان يعتبر نفسه مركزا. بمعنى آخر طرح فكرة القرووسطوية المركز الهامش المقدس المدنس. وهنا وكأني بالخطيبي يبحث عن فكرة للتأسيس للأممية على خرار الأممية التي جاء بها دريدا. إن الخطيبي يعمل على تقديم نقدا مزدوجا يفسح الطريق للكونية، أي إلغاء الخصوصية على حساب الخصوصيات الأخرى.■

الهوامش

*- في هذا السياق يورد الخطيبي مقتطفا من الإلياذة:

"يابن توديوس: لم تسأل عن نسبي؟

فنسب البشر متعدد تعدد نسب أوراق الشجر والريح وتبعثر الأوراق على الأرض، لكن الشجر الحي يكتسي بالورق من جديد عند عودة الربيع وهكذا ينبت جيل من البشر مع موت جيل قديم."

* - يضم هذا الفصل فصلين وهما؛ العالم الإسلامي، المراتب الاجتماعية قبل الاستعمار.

* - مثال ذلك أن بعض الدراسات الغربية تعتبر الغرب ذات، أصل، مركز في مواجهة آخر، فرع، هامش، والشيء ذاته بالنسبة لبعض الدراسات العربية تعتبر أن العرب ذات، أصل، مركز والباقي هامش. وهذه النظرة الاقصائية تلغي أوجه التقارب الممكنة التي بامكانها أن تسهم في حوار أفقي مثمر وبناء بين المناهج وحتى المحتويات المفاهيمية.

النقد المزدوج في سوسيولوجيا العالم العربي: نحو سوسيولوجيا مغايرة

عثمان لكعشمي
باحث في علم الاجتماع

« ومع أن الكتاب هيئة شيء في قبضة اليد، ضم بين دفتي شكل هندسي متوازي المستطيلات، فإن وحدته متغيرة ونسبية؛ ما أن نفحصها فحصا نقديا، حتى تفقد بداهتها، فهي وحدة لاتطابق ذاتها، ولا تنشأ إلا داخل حقل خطابات متشابك ».

م. فوكو [1]

ترمي هذه الورقة إلى إبراز أهمية النقد المزدوج، بل ضرورته الاستراتيجية كاستراتيجية في تنمية و تطوير سوسيولوجيا العالم العربي(المعهودة) بصفة عامة و سوسيولوجيا المغارب بصفة خاصة وسوسيولوجيا المغرب بصفة أخص، إن لم نقل مجاوزتها لذاتها. كسوسيولوجيا مغايرة تقوم على الاختلاف والتعدد. تلك هي نفس السوسيولوجيا التي يمكنها أن تتفكر في هذا الاختلاف والتعدد الذي صارت عليه مجتمعاتنا العربية وكيانات المعمورة، من خلال أولا وقبل كل شيء النظر وإعادة النظر في سوسيولجيا العالم العربي الحالية، لا من حيث علاقتها بالسوسيولوجيا الغربية كسوسيولوجيا المركز فحسب، وإنما من حيث علاقتها بذاتها(كهامش) أيضا.

لعله من نافل القول أن كتابات الأستاذ عبد الكبير الخطيبي وأعماله السوسيولوجية والفلسفية كذلك، لم تحظ بالاهتمام الكافي من طرف السوسيولوجيين بالمغارب والمشارق، على عكس ما لقيه من اهتمام في الدراسات الأدبية. لدرجة أن هناك بعض المفكرين من لايعتبره بسوسيولوجي، على اعتبار أنه يمارس نوع من " التأمل الفلسفي"، كما هناك من يعتبره يمارس: "الميتاسوسيولوجيا".

يستعصي على هؤلاء أو بشكل أدق يتعذر عليهم فهم الإنتاج السوسيولوجي للكاتب، والحالة هذه، وإبعاده عن المعرفة السوسيولوجية والقذف به على هامشها، ما داموا ينظرون إلى السوسيولوجيا من داخل المنظومة ومن جوانية الاعتقاد الضيق في الحدود الصلبة والمتحجرة بين الحقول المعرفية المتعددة. مرد ذلك أولا وقبل كل شيء إلى كون كتاباته انسيابية ومتدفقة يستعصي على المرء سجنها في حقل معرفي مخصوص من ناحية ، وكون أن تفكيره السوسيولوجي لا أكاديمي ولا مؤسساتي من ناحية ثانية. وبالتالي سيستحيل على المرء أن يحيط بأعماله مادام لم يتحرر بعد من أغلال كل تصور، هذا إن صدق عليه بأنه تصور، يرمي إلى سجن و كبح شعلة الحياة في نصوص فكر يجعل من مقوماته الركيزة الاختلاف والتعدد، وفتح الأفق والتحرر من كل القيود التي من شأنها أن تقذف بشعلة الحياة تلك في العدم.

وإن كان المفكر عبد الكبير الخطيبي، قد لقي اهتماما أكبر لدى الأدباء، وبدرجة أقل في الفلسفة مع بعض شذرات عبد السلام بنعبد العالي(وغيرها من الكتابات الأخرى)، حول النقد المزدوج وغيره، فإنه شبه غائب إن لم نقل منعدم الوجود-كمشروع بالمعنى السارتري(نسبة إلى جون بول سارتر) للكلمة- في الحقل السوسيولوجي بالمغرب والعالم العربي.

فإذا كان عبد الكبير الخطيبي يرى نفسه على هامش الفلسفة، فإن ذلك لايعني غياب القول أو المفعول الفلسفي في كتاباته، وهذا ما دأب عليه نفس الكاتب-بنعبد العالي-، في كتابه " بين الاتصال والانفصال دراسات في الفكر الفلسفي بالمغرب " [2]. ينطبق ذلك على الفلسفة كما ينطبق على غيرها من المفعولات المعرفية : الأدب، السيميولوجيا والسوسيولوجيا. فكل مجال معرفي بفاعليه، أدباء، فلاسفة، سيميولوجيين، سوسيلوجيين، يُوَضِّع مفكرنا على(وفي) الهامش، هامش كل موقع يقدم نفسه كمركز وأصل وكلية معرفية. أليس ذلك هو موقع مفكر الهامش؛ مفكر الاختلاف؟

فعلى عكس مما قد يبديه البعض من نفي واندفاع من هذا التهميش، دفاعا عنه، فإننا ننظر إلى ذلك الموقع- الهامش كموقع خلخلة- على أنه الموقع الطبيعي لكل ممتهن-محترف وممارس لفن قياس المساحات والمسافات.

في مقابل ذلك نجد غياب تام لأي رصد أو قراءة سوسيولوجية فككت الفعالية السوسيولوجية للكاتب المعني[3].

وفي هذا الباب، يمكن أن نجعل من "النقد المزدوج" مفتاحا لهذا التفكيك، بما هو في نظرنا استراتيجية. ذات أسس فلسفية نعم، لكنها سوسيولوجية أساسا. ذلك التفكيك الذي يقول نعم (للاختلاف) وليس لا، وإن هو قال ب "اللا" للكليات المطلقة، فهو يقولها من أجل "النعم"؛ من أجل الاختلاف. فماذا يعني النقد المزدوج ؟ وكيف يمكن تحديد علاقته بالسوسيولوجيا عموما وبسوسيولوجيا العالم العربي تحديدا ؟ هل يمكن للنقد المزدوج مجاوزة قصور سوسيولوجيا العالم العربي وإنتاج سوسيولوجيا مغايرة ؟

أولا : في النقد المزدوج

نقرأ لميشال فوكو، في كتابه أركيولوجيا المعرفة أو حفريات المعرفة كما يحلو لسالم يفوت ترجمتها : « أليست الوحدة

الهوامش

1 - أركيولوجيا المعرفة :
- حفريات المعرفة، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأول، الدار البيضاء، 1986. ص23.
-L'Archéologie du savoir, Edition Gallimard,Paris,1969. P.34.

2 - دار تبقال للنشر ، الدار البيضاء،الطبعة الأولى ، 2002 ، ص.49 .

3 - تسجيلنا لتلك الملاحظة لايعني تجاهل العديد من المحاولات والاهتمامات والمجهودات الفردية (والجماعية) لعدة باحثين ، من مقالات ودراسات عامة تهم المشروع الفكري والأدبي للخطيبي.

المادية لكتاب ما، وحدة هزلية، وتابعة، بالقياس إلى الوحدة الخطابية التي هو مرتكزها ؟ وهل الوحدة الخطابية هي بدورها متجانسة وتنطبق بنفس الصورة ؟ »[4].

إذا كان ترتيب الكتاب [5] أو بالأحرى مقالات أو دراسات هذا المؤلف تبدأ من تفكيك العديد من قضايا ومسائل العالم العربي من قبيل المغرب الكبير، فالكيان العربي، ثم الصهيونية واليسار الغربي، وصولا إلى قضايا ومسائل أكثر تجريدا تمس مهمة سوسيولوجيا العالم العربي و النظريات التي صيغت حول المغرب فيما يخص المراتب الاجتماعية والطبقات الاجتماعية قبل الاستعمار، أي الانتقال من تفكيك العالم العربي إلى تفكيك سوسيولوجياه[6]. فإننا في هذا المجال والحالة هذه، أعطينا الأولوية لسوسيولوجيا العالم العربي وما تقوم عليه من استراتيجية يجعل منها المؤلف عنوانا له : النقد المزدوج.

يقدم النقد المزدوج نفسه، هنا، بما هو نقد كاستراتيجية بديلة عن كل نمط تفكير، تراثي يسعى إلى طمس الوجود والكيان العربيين في أساس لاهوتي، وعن آخر عقلاني يضع العلم(كعقلانية ديكارتية) في مركز المجتمع متجاهلا مسألة اللاوعي، وعن كل تفكير سلفي يرمي إلى نزعة توفيقية - أصبحت متجاوزة - بين الدين والعلم، بعيدا عن كل تلك الخطابات التي ظلت سائدة ومعهودة في العالم العربي. تماما، كما يقدم ذاته بعيدا عن أي نزعة تاريخية مادية كانت أو مثالية ترجع كل القضايا المطروحة إلى الشروط والقوانين والحتميات التاريخية.

فكيف يمكن تحديد النقد المزدوج بما هو استراتيجية؟ وماهي مقومات هذه الاستراتيجية ومحدداتها ؟ إذا توقفنا عند مفهوم النقد، سنجد أن الأستاذ الخطيبي، لايتوقف عند معناه السائد : أي كنقد إيديولوجي وصراع بين موقفين أو إيديولوجيتين متضادتين، بقدر ما يعني القيام داخل الموقف ، بالانسلال من فجواته ، لتفجيره وتقويضه. ويلتقي، هنا، في نفوره من النقد الإيديولوجي، كما أكد على ذلك بنعبد العالي[7]، مع معظم ومجمل مفكري الاختلاف كنيتشه، هايدغر، فوكو، دريدا، دولوز و وبارط.. وغيرهم، من الذين أَسَّسُوا لمجاوزة الميتافيزيقا. فالنقد المزدوج لايحيل إلى ميتافيزيقا معينة للحقيقة، لايعني النقد، في هذه اللحظة، مقابلة و مجابهة حقيقة بحقيقة(أو بلا حقيقة) أو إيديولوجيا بإيديولوجيا (أو بلا إيديولوجيا)، وإنما يعني حفر وتقويض وتحلل وخلخلة وتفكيك النصوص(في علاقتها بالواقع المعيش) والمفاهيم التي تجعل من العالم العربي موضوعا لها، من خلال الانسلال إلى جوانية تلك المفاهيم وتفجير ميتافيزيقيتها وتيولوجيتها.

فبما أن الإشكال، حسب صاحب النقد المزدوج، في العالم العربي والمعرفة التي أنتجت حوله، هو إشكال استراتيجية في العمق. فهذا يحيلنا، أيضا، على التقائه بمفكري الاختلاف من حيث الأسس الفلسفية التي يقوم عليها هذا النقد : الفكر كاستراتيجية.

و لاريب، في أن هذا الالتقاء مع مفكري الاختلاف هو مايجعله يأبى أن يصنف في حقل معرفي محدد وأن ينفلت من كل تحديد، وإن كان ذلك الانفلات نفسه شكل من أشكال التصنيف واللا انفلات، من حيث هو نمط من التفكير متعدد المفعولات. وفي هذا الصدد كتب بنعبد العالي : يصر الخطيبي على الانفلات من كل تحديد، وهو يأبى لأعماله أن تصنف تحت جنس من الأجناس الأدبية المعروفة، لذا فهو ميال إلى أعمال جهوية لا تخضع لمبدإ الكلية والتوحيد بقدر ما يطبعها التعدد والتشتت. وحتى مقالاته التي بين أيدينا الآن لاتشكل كتابا (كتاب النقد المزدوج) بالمعنى المعهود لهذه الكلمة، وأعني كلية منغلقة على ذاتها. إنها لاتندرج تحت عنوان واحد إلا لكونها تخضع لاستراتيجية واحدة، ولكنها تعمل في واجهات متعددة : تلك هي استراتيجية النقد المزدوج.[8]

هذا النص يجسد بمعنى مكثف انسيابية نصوص الخطيبي واصرارها على الانفلات من كل تحديد، إن لم نقل أنه يحدد كيفية اشتغال النقد المزدوج، من خلال الكيفية التي كتب بها كاتب النقد المزدوج كتابه هذا. إذ لا يكاد يكون مؤلفا في ذاته بالمعنى السائد، في ما يطبع الدراسات التي تنضوي تحت عنوانه من تعدد وتشتت. لكن ذلك التعدد والتشتت اللذان يسمان تلك المقالات لا يمنعها من أن تخضع لنفس الاستراتيجية، استراتيجية النقد المزدوج. وإذا نحن اقتبسنا عبارة بنعبد العالي سنقول : إنها كتابة بيدين، يد

تخط الاستراتيجية أو تكتب العنوان ويد أخرى تصك الاختلاف والتعدد. إنه يبرز ويتجلى، بل ويحيا بين تلك اليدين.

وعلى هذا النحو، فإذا كان الخطيبي يقع على هامش الفلسفة فهو يقع في نفس اللحظة على هامش العلوم الاجتماعية عموما والسوسيولوجيا بشكل مخصوص: وهو نفس الموقع المعرفي، الذي يأخذه النقد المزدوج؛ بين الفلسفة و السوسيولوجيا.

إن النقد المزدوج هو أساسا، بمثابة استراتيجية تفكيكية ، تفكيك مزدوج . إنه بمثابة سيرورة تفكيك مزدوجة. تفكيك ماذا ؟ تفكيك الميتافيزيقا الغربية و في نفس اللحظة للميتافيزيقا(والتيولوجيا) العربية .

يبدو أن النقد المزدوج كما صاغه كاتبه، لايختلف كثيرا عن مضمون التفكيك la déconstruction كما نجده عند دريدا. لكن ماهو التفكيك ؟ عادة ما يتم الخلط في سياقنا العربي بين التفكيك والهدم la démolition أو التدميرla destruction أو التحطيم كما قدمته وتقدمه بعض(وهو بعض كثير بالمناسبة) الترجمات العربية. إنه ليس حركة سلبية أو إيجابية حتى، بل هو فعالية إثباتية وتأكيدية affirmatif [9].

إن التفكيك هو تفكيك للبنيات؛ بنيات الميتافيزيقا والوجود الكلاسيكي. ليس تحليلا نظريا فحسب، وإنما هو كتابة ثانية لمسألة الوجود أو المعنى. هو أيضا طريقة في كتابة وتقديم نص آخر. ليس مسحا للطاولة tabula rasa بالمعنى الديكارتي، بهذا يتميز التفكيك أيضا عن الشك أو النقد. فالنقد يعمل دائما حسب ما سيتخذه من قرارات بعدية أو هو يعمل عن طريق محاكمة (وحكم). أما التفكيك فلا يعتبر أن سلطة المحاكمة أو التقويم النقدي هي أعلى سلطة. إن التفكيك هو أيضا تفكيك للنقد. وهذا لايعني أي حط من قيمة نقد ما أو نزعة نقدية معينة. لكن يكفي أن نستحضر ما عنته سلطة النقط خلال التاريخ؛ بالمعنى الكنطي(العقلانية النقدية) على سبيل المثال لا الحصر. التفكيك ليس نقدا.[10]

إذا ما أردنا أن نجازف بتعيين معين للتفكيك سيكون : "أكثر من لغة "(وفي سياق آخر :" أكثر من صوت"). [11]

ألا يقيم دريدا هنا، تمييزا صريحا وواضحا بين كل من النقد و التفكيك ؟ بلى. كيف ذلك ؟

لربما، كاد أن يكون النقد عند الخطيبي في حالة النقد المزدوج معنيا بهذا الفصل الذي أقامه مفكر الاختلاف، إذا ما دأب على ربطه أو بالأحرى مطابقته بين النقد و أي قرارات بعدية و سلط عليا للمحاكمة. لكنه لايفعل ذلك بتاتا، بل العكس هو الصحيح. فالنقد في سياق النقد المزدوج لا يتأسس على أية محاكمة إيديولوجية و ميتافيزيقية، وإنما يتأسس على التفكيك نفسه. ذلك التفكيك الذي يجعل من مراميه المولدة له : مجاوزة الميتافيزيقا : « كل كتابة نقدية لايمكنها إلا أن تكون تمزيقا للوجود التاريخي، تمزيقا ماحيا، بدءا من تساؤله، حدود هذا الاستبداد، أي المركز، الأصل، وتعارضات الدال/المدلول،المعقول /المحسوس. إنه نقد عريض (لاتزال مساءلته في أولها) ربما

الهوامش

4 - م.فوكو، نفسه.

5 - اعتمدنا في هذا المقال بشكل أساسي، فيما يخص عبد الكبير الخطيبي، على كتابه : النقد المزدوج ، منشورات عكاظ ، الرباط ، 2000 . فكل الإحالات التي تتعلق بالكتاب ترد إلى هذه النسخة.

6 - لا تحيل عبارة سوسيولوجياه إلى اتجاه أو إلى تقليد سوسيولوجي مميز إبستمولوجيا ومنهجيا بقدر ما تحيل إلى المعارف الموسومة بأنها سوسيولوجية ، التي أنتجت عن العالم العربي، سواء تعلق الأمر بتلك التي أنتجها الغرب او تلك التي أنتجها العرب.

7 - المرجع نفسه ، ص .15.

8 - بين الاتصال والانفصال ، ص.55 .

9 - Derrida Jaques , Point de suspension,entretien avec Didier Cahen,Galilée,1992.P.224.

10 - Ibid , P.226.

11 -Derrida Jaques, Mémoires pour Paul de Man,Ed Galilée,1988.P.38.

تصبح مفاهيم الوجود والعدم، انطلاقا منه، متجاوزة »[12].

إننا إذن أمام مفهوم مختلف للنقد يتجاوز معناه السائد. يدعونا إلى مساءلة وإعادة النظر في المعنى الذي نعهده في السوسيولوجيا : النقد السوسيولوجي وغـيره.لم يعد اليوم مقبولا الحديث عن النقد بمعناه المعهود، أي كرفض، نفي، معارضة ... لم يعد كافيا القول ب"الـلا"، خاصة أمـام تسارع التاريخ الذي تتنفسه المعاصرة، سواء تعلق الأمر بالنقد الإيديولوجي، الفلسفي، الأدبي والإبستمولوجي حتى. لهذا يجب إعادة النظر في مفهوم النقد السائد، خاصة في ما يقوم عليه من أسس ميتافيزيقية، إن لم نقل سلطوية(الحكم المعرفي-الإيديولوجي). لايتعلق الأمر ها هنا بممارسة ما يسمى في الأدب ب : " نقد النقد "، أو بممارسة ما ينعته السوسيولوجي أحمد شراك ب " ميتا النقد "، بل يتعلق الأمر بتفكيك النقد (تفكيك مـزدوج) أو على الأقل تطعيم النقد بالتفكيك، والتعامل معه كمفكر فيه لا مفكرا فيه-هو ذاته على الدوام.

ما هو النقد الممكن اليوم ؟

إن النقد اليوم، من حيث هو(حركة) مقاومة لايمكن أن يكون إلا بوصفه : كشفا عن "اللا " في كل قول يتجلى ك " نعم "، ورصد ل " النعم " في كل قول يقدم نفسه ك " لا ". هكذا يمكن للنقد بهذا المعنى أن يعلنها مقاومة بين النعم واللا، لانفتأ تهدئ من روع حركتها اللانهائية.

نعم، هو تفكيك بالمعنى الذي صاغه مفكر الاختلاف جاك دريدا وكل من نحى وينحو نحوه، من مفكري الاختلاف. أي بالمعنى الذي يقف فيه عند كل الثنائيات الميتافيزيقية التي تولدت عنها الميتافيزيقا الغربية و المجتمعات الغربية، من قبيل الحضور/الغياب، الطبيعة/الثقافة، الأنا / الآخر.. و تمركزها حول الذات وحول المركزيات الثلاث : الإله، الإنسان، والعقل. يخلخلها، يقوضها، ويفجرها. غير أن النقد المزدوج بما هو تفكيك مزدوج لا يتوقف عند هذا البعد، بل يتجاوزه إلى حدود أن يقف في نفس الآن، عند الثقافة العربية وأن يفكك ثوابتها الموهومة التي تجعل من الهوية تطابق و وحدة لا اختلاف وتعدد.

وبهذا يكون النقد المزدوج تقويض (وتحلل) مزدوج ، لميتافيزيقتين. تتحدد الأولى في التمركز حول الـذات الغربية والهيمنة المعرفية، وتتجسد الثانية في ثبات و تجذر الأسس الدينية والتيوقراطية للثقافة الإسلامية. هو تقويض لكل ما من شأنه يختزل مجتمعاتنا العربية في الهوية، بالمعنى الـذي يجعلها مرادفا للأصل، والتطابق والوحدة والكلية، التي وسمت الفكر العربي المعاصر و العلوم الاجتماعية الكولونيالية(أو الاستعمارية) وبما سمي بالسوسيولوجيا الوطنية لاحقا والسوسيولوجيا في الكيانات العربية عموما. ويكفي أن ننظر إلى الكيفية التي تعامل بها صاحب النقد المزدوج مع النظريات التي صيغت عن المراتب والطبقات الاجتماعية ما قبل الاستعمار والتي لازال حضورها قائما إلى حد اليوم، يتعلق الأمـر ب: النظرية الخلدونية (الزمن الدائري)، النظرية الماركسية (نمط الإنتاج الآسيوي)، والنظرية التجزيئية ségmentarité(أو الانقسامية كما هو الحال في الترجمة السائدة).حيث عمل، من خـلال الوقوف على كل منظومة معرفية مع رصـد العلاقة بينها، على تفكيك وتقويض وخلخلة ما تقوم عليه من مفاهيم ومناهج وأسس فلسفية؛ المنطق الأرسطي(الخلدونية)، فالمنطق الديالكتيكي(الماركسية)، ثم المنطق الكنطي (التجزيئية). لكي نستنتج أن النقد المزدوج لايتموضع أو يجد موضعه بين الثقافتين العربية والغربية فقط، بقدر ما يتموضع في فضاء البين-بين داخل الثقافة الواحدة نفسها، ممزقا لكلِّياتها، مخلخلا مراكزها، مولدا لفصائلها وقطائعها، فاضحا لتناقضاتها جارحا لهويتها، و مبرزا كم هي مختلفة مع(وعن) ذاتها. إنه يمارس نوعا من الترحال Le nomadisme بالمعنى الدولوزي (نسبة للفيلسوف جيل دولوز) للمفهوم؛ مفكر رحال.

ومن هذا المنطلق يدعونا الخطيبي إلى نقد مزدوج : ينصب علينا كما ينصب على الغرب، ويأخذ طريقه بيننا وبينه، فيرمي إلى تفكيك مفهوم الوحدة التي تثقل كاهلنا والكلية التي تجثم علينا، وهو يهدف إلى تقويض اللاهوت والقضاء على إيديولوجيته التي تقول بالأصل والوحدة المطلقة.[13] من هنا، كان لزاما علينا أن نعيد النظر في العلوم الاجتماعية بالعالم العربي، من بينها السوسيولوجيا، في أن تأخذ من النقد المزدوج مهمة لها.

ثانيا : في سوسيولوجيا العالم العربي

إن المجتمعات العربية تعدد. وذلك

أن هذه المجتمعات اهتزت في نظامها وتصدعت في كيانها الحضاري، فصارت تعاني من تعددية شاملة ، تتجلى في جميع أشكال المثاقفة والاضمحلال. وليس هذا المسلسل في حد ذاته خيرا ولا شرا. إنه مسلسل تاريخي يجب أن نقوم بتحليله وتطعيمه من خلال فكر قادر على تحليل الأوضاع المتعددة التي تجتازها المجتمعات العربية.[14]

فبأي فكر يتعلق الأمر ؟ أو بمعنى آخر، ماهو(نمط) هذا الفكر الذي سيمكننا من الوقوف عند هذا المسلسل التاريخي وتحليل تلك الأوضاع التي يجتازها العالم العربي ؟

يتعلق الأمر ها هنا، بعلم التاريخ و السوسيولوجيا أو بالأحرى يتعلق الأمر بسوسيولوجيا تاريخية، معرفة وكتابة. لأن النقد المزدوج يفترض القول بإعطاء أولوية للتاريخ في كل معرفة وكتابة سوسيولوجيتين. لماذا ؟

لأن الـتـاريـخ ضرورة منهجية وإبستمولوجية في كل معرفة سوسيولوجية تسعى لأن تكون مستقلة، لأن تكون تنويرية : أكثر تحررا من وصاية الغير-الغرب. نعم، هي ضرورية لتصفية حسابنا مع مقومات السوسيولوجيا الكولونيالية وهيمنة السوسيولوجيا الغربية بشكل عام على سوسيولوجيا الهامش، سوسيولوجيا العالم الثالث، من بينها سوسيولوجيا العالم العربي على وجه التحديد. فالمعرفة السوسيولوجية في العالم العربي تعمل عل هامش المعرفة الغربية لا في داخلها، فهي تابعة لها ومحدودة بها، ولا في خارجها لأنها تفكر في الخارج الذي هو أساس لها. هذا الهامش يتخذ في الحقيقة مظهر حد أعمى[15].

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية من أجل الوقوف ضد كل أشكال المذهب الوظيفي. كما أن اعطاء الامتياز للتاريخ بالنسبة للخطيبي، ضد كل معرفة لا تعدوا أن تكون مجرد تزامنية، لأن ذلك سيؤدي إلى اندثار الإثنولوجيا على سبيل المثال لا الحصر، ليس لأن الإثنولوجيا في نظر الكاتب مرتبطة بالاستعمار فحسب بل لأن أساسها النظري هو الآخر مشبوه، خاصة فيما يخص نظرتها للآخر : غير الغربي.[16] هذه النقطة الأخيرة يتوجب علينا أن نقف فيها[17].

هذا الموقف من الإثنولوجيا له ما يبرره سياقيا : إبستمولوجيا وتاريخيا. إذا أخذنا بعين الاعتبار الارتباط الوثيق فيما بين الإثنولوجيا (والأنثروبولوجيا) وبين الاستعمار وإيديولوجيته الاستعمارية، وكذا، النظرة للآخر : كمتوحش أو إنسان من درجة أقل. اعتبارا في التقسيم العلمي للسوسيولوجيا، والقول بأن الإثنولوجيا هي السوسيوجيا التي تدرس المجتمعات الأخـرى، بالإضافة إلى أن الإثنولوجيا لم تتجاوز أن تكون متزامنة أي أنها تقتصر على الحاضر والتجربة الملموسة. لكن، هل ينطبق ذلك على الإثنولوجيا(ومعها الأنثروبولوجيا) اليوم ؟ هل لازالـت الإثنولوجيا اليوم مرتبطة بالاستعمار ؟ هل لازالت تنظر إلى الآخر كماضي للثقافة الغربية ؟ هل المعرفة الإثنولوجية اليوم تزامنية ؟

إذا بحثنا في الأنثروبولوجيا و الإثنولوجيا الحالية-الجديدة : أنثروبولوجيا-إثنولوجيا العوالم المعاصر. سيكون الجواب عن تلك

الهوامش

12 - الجريح، ترجمة محمد بنيس، منشورات الجمل، بغداد- بيروت، 2009.ص23. الخطيبي عبد الكبير، الاسم العربي

13 - النقد المزدوج ، ص12-11

14 - نفسه ، ص. 11.

15 - نفسه ، ص197.

16 - نفسه ، ص198-197.

17 - هذا الموقف من الإثنولوجيا يفند ادعاءات البعض ممن يصنفون الخطيبي كأنثروبولوجي وإثنولوجي. كيف يكون أنثروبولوجيا وهو يقول باندثارالاثنولوجيا، علما أن الإثنولوجيا في السياق الفرنسي تستعمل كمرادف للأنثروبولوجيا ؟ لكن دون أن يعني ذلك غياب الحس الأنثروبولوجي(المعاصر كما أشرنا إليه) في كتاباته. كما هو الأمر في كتابيه : الاسم العربي الجريح، و من العلامة إلى الصورة الزربية المغربية .

الأسئلة بالنفي : لا. لماذا ؟ لأن استقلال المجتمعات المستعمرة بعد الحرب العالمية الثانية، بالإضافة إلى التحولات المجتمعية التي شهدتها المجتمعات الغربية وغير الغربية لاحقا، من عولمة، و تعميم للحضريات الجديدة، و تطور وسائل الاتصال .. وضع تلك الإثنولوجيا التي تحدث عنها الأستاذ الخطيبي، في أزمة. مما فرض عليها أن تعيد النظر في ذاتها : موضوعا ومنهاجا. فلم تعد تدرس المجتمعات المسماة بدائية أو القروية نسبيا، لأنها انقرضت نسبيا، حيث انكبت على دراسة تلك التحولات، في سياقها الثقافي والاجتماعي أولا، في مدنها ومدن غيرها ثانيا. كما أنها لم تعد تزامنية بالمعنى المذكور، بل أصبح للتاريخ دورا مهما في تحليلها.[18] ومن هذا المنطلق، قد تلعب الإثنولوجيا الجديدة ، كإثنولوجيا المدينة على سبيل المثال لا الاختزال، اليوم، دورا مهما في تحقيق مهمة النقد المزدوج نظرا وممارسة. لأن هذه الإثنولوجيا، شأنها في ذلك شأن استراتيجيتنا، تقوم على الاختلاف والتعدد، وإنما هي تفكر أو تأمل انعكاسي لسيرورات الاختلاف والتعدد والغيرية والتفرد. فمع أنثروبولوجيا المدينة لم يعد بإمكاننا التسليم بتعميم نماذج غربية للمدينة كمفهوم على مختلف المدن الأخرى : مدننا، مدن العالم الثالث. فهي أساسا تقوم على الاستقراء، على البناء والتفكيك وإعادة البناء وإعادة التفكيك. إنها معرفة- كتابة سياقية ووضعياتية (لايسع المجال هنا للتوسع في هذه المسألة، قد يتجاوز ذلك سياق هذا المقال إلى حين تخصيص دراسة خاصة بذلك). وإن كان هذا، نفيا لنفي الإثنولوجيا ، فهو لا يعني أبدا نفيا للتاريخ، بل العكس هو الصحيح.

غير أن القول بالتاريخ شيء و القول بالتاريخانية شيء آخر. فإعطاء الأولوية والامتياز للتاريخ في السوسيولوجيا بالعالم العربي، لايفضي بنا النزوع إلى إرجاع كل شيء من ما يقع في المجتمعات العربية إلى الأحداث والوقائع والحتميات التاريخية . ويكفي هنا أن نستدعي موقف الخطيبي من تارخانية عبد الله العروي لكي يتبين لنا موقفه من التاريخانية(الكلاسيكية) بشكل عام، حيث كتب : إن ما يهدم تاريخانية العروي هذه هو أمانتها للهوية الوحشية ، أي " لمسألة " ساذجة من مسائل الوجود. ومن هنا يخلط العروي بين" الآخر" و" الغير"، بين الأنثروبولوجيا الثقافية، وفكر الاختلاف، بين التاريخي والتأريخي. زد على ذلك أن آراءه المختلفة حول الوجود العربي تسقط من تلقائها : فلسنا بحاجة إلى الإلحاح على هشاشتها. يكتب، مثلا : " منذ ثلاثة أرباع القرن، يطرح العرب على أنفسهم سؤالا وحيدا واحدا : من الآخر، ومن أنا ؟ " كما لو أن هذا السؤال ليس هو السؤال الجوهري لفكر الوجود، باستمرار. فبأية سذاجة ينسى العروي مسألة الوجود والموجود، المؤتلف والمختلف، كما طرحت في الفلسفة اليونانية والفلسفة العربية. إن إيديولوجيا العروي منهارة في أساسها.[19]

إلا أنه يجب التمييز في هذا المقام، بين صنفين للتاريخ (أو الزمان التاريخي) : الهم الكرونولوجي والحس التاريخي. فإذا كان الأول ينشغل بتحقيب التاريخ وإثبات الأدوار، فإن الحس التاريخي لايشغل نفسه بتقطيع الزمن، ولا ينظر إلى أنماط الزمان من حيث إن أحدهما يتلو الآخر ويعقبه. وإنما من حيث إنها تتعاصر خارج بعضها البعض. بحيث لا يغدو الحاضر هو الآن الذي يمر، بل ذلك الذي يمتد بعيدا حتى يبلغ المستقبل الذي يستجيب للماضي.[20] إنه تاريخ العصور، تاريخ العصور بالمعنى الذي يحيل فيه العصر إلى علاقة متفجرة للماضي بالمستقبل.[21]

يبدو أن التاريخ في النقد المـزدوج لسوسيولوجيا العالم العربي، يدخل في الصنف الثاني : الحس التاريخي، كتاريخ توتر وقطائع، أي كانفصال. سيما إذا استحضرنا فكرة أن الكتابة السوسيولوجية ككل كتابة فنية، ممارسة خاصة (في كل مرة) للتاريخ، والعلم والإيديولوجيا.[22] ماذا يعني ذلك ؟

معناه، أن الكتابة السوسيولوجية بما هي ممارسة فنية لا تنفصل عن التاريخ، العلم، والمعرفة، والإيديولوجيا، هي كتابة للتاريخ والعلم والإيديولوجيا. مما يضع النقد المزدوج خارج كل تصور وضعاني للعلاقة بين العلم والإيديولوجيا، وبعيدا عن كل تصور من شأنه أن يسجن السوسيولوجيا في إطـار نظري معين، قد يكون متجاوزا. وهذا توضيح آخر للسوسيوليوجيا التي تقوم على النقد المـزدوج : سوسيولوجيا العالم العربي. فالكتابة السوسيولوجية لايمكن أن تكون إلا ممارسة عنيفة تأخذ على عاتقها التاريخ والإيديولوجيا والعلم. يجب إذن أن نحقق قطيعة عنيفة مع الهيمنة الثقافية الغربية، ونتجاوز قوتنا القاصرة، إذ ليس هناك قول بريء بل على كل قول أن يجيب بطريقته الخاصة عن شعلة الحياة.[23] إذن، فالاتصال المتوتر بين التاريخ والعلم والإيديولوجيا في كل كتابة سوسيولوجية هو اتصال منهجي من أجـل الفصل والقطع مع الهيمنة الثقافية الغربية مرة، ومن أجل إعادة الاتصال بالذات من خلال الفصل معها هي الأخرى.

إلى جانب التاريخ والإثنولولوجيا الجديدة، ودور كل منهما في ممارسة النقد المزدوج في السوسيولوجيا معرفة وكتابة، نجد السيميولوجيا؛ ممارسة التداخل الدلالي intersémiotique. التي يمكنها أن تمكن الكتابة(والمعرفة) السوسيولوجية من التعامل مع ذاتها ومع موضوعها كتناص ومجموع تحولي لمجموعة من المفاهيم والنصوص وما تحمله من دلالات ومعنى، بما فيها العالم العربي نفسه : العالم العربي كنص متعدد الأبعاد، يزخر بالدلالات والعلامات. والتعامل مع هذا النص وفقا لاستراتيجية التفكيك المزدوج يعني، أن نفضح تناقضاته. ولكي نفضح تناقضاته تلك يجب علينا أن نمارس عليه السخرية : أن نسخر منه. وفي هذا السياق خطَّ صاحب الاستراتيجية : كيف نفضح تناقضات نص ما ؟ أجيب : بالسخرية . فهي السلاح النقدي الحاد . وهي لا تتولد عن مجرد العزيمة والإرادة : فيما أنها من صميم إنتاج النص ذاته ، فهي تعني الأخـلاق والإيديولوجيا اللتين تطبعان النص. إنها تمسهما في جديتهما وثقلهما. إن السخرية المستمرة هـي خلخلة للوجود ، وهي تلك الخفة البلورية لذلك الـذي يضيع فيقوم كل مرة ضد وهم حقيقته.[24]

هل يتعلق الأمر هنا بسخرية نيتشه أم بتهكم سقراط ؟ إن الأمـر يتعلق بالسخرية . فبما أن مفهوم السخرية الذي استعمل في هذا النص يرمي إلى الفضح فإنه يشير لامحالة إلى خاصية من خصائص التهكم ألا وهي إنتاج الحروجات . فعندما نطرح سؤلا من قبيل لماذا نمارس السخرية ونصيغ جوابا له : من أجل الفضح . سيغدو أن الأمر يروم لأن يكون تهكما ، لكن سرعان ما سينفجر هذا الادعاء عندما نطرح سؤالا آخر : من أجل فضح ماذا ؟ ونجيب : من أجل فضح تناقضات نص ما . سيظهر لنا والحالة هذه أن الأمر يتعلق بالسخرية ، سيما إذا تفحصنا وتمعنا في الجملة الأخيرة من النص ، التي لا تستثني السخرية من سخريتها . ما يجعل من الإنسان السوسيولوجي على غرار مفكري الاختلاف إنسانا ساخرا . ألا يجعل ذلك من السوسيولوجيا أن تكون ساخرة ؟

هكذا ، يتبين لنا أن المهمة الأساسية للسوسيولوجيا في العالم الثالث بشكل عام و في العالم العربي بشكل خاص هي القيام ب : النقد المـزدوج . من هذه اللحظة بالذات ، يقدم النقد المزدوج نفسه كبديل ، لما يجب أن تكون عليه السوسيولوجيا في العالم العربي . على خلاف التصورات و المواقف السائدة ، التي تنحو إما منحى الانكماش الكلي في الذات والقول بسوسيولوجيا عربية أو أخرى إسلامية أو أنها ترتمي في أحضان السوسيولوجيا الغربية كسوسيولوجيا كونية . فإن النقد المزدوج يقدم سوسيولوجيا العالم العربي ،

الهوامش

18 - للتوسع في هذا المجال ، راجع (ي) :

Augé (Marc), Non lieux , introduction à une anthropologie de la surmodernité , Seuil, Paris,1992.

Augé (Marc) , Pour une anthropologie des mondes contemporains , Flammarion , Collection : Champs essais , 1994 .

19 - النقد المزدوج ، ص39-38.

20 - بنعبد العالي سبق ذكره، ص.5.

21 - نفسه .

22 - النقد المزدوج ، ص.191.

23 - نفسه ، ص.192.

24 - نفسه ، ص. 121.

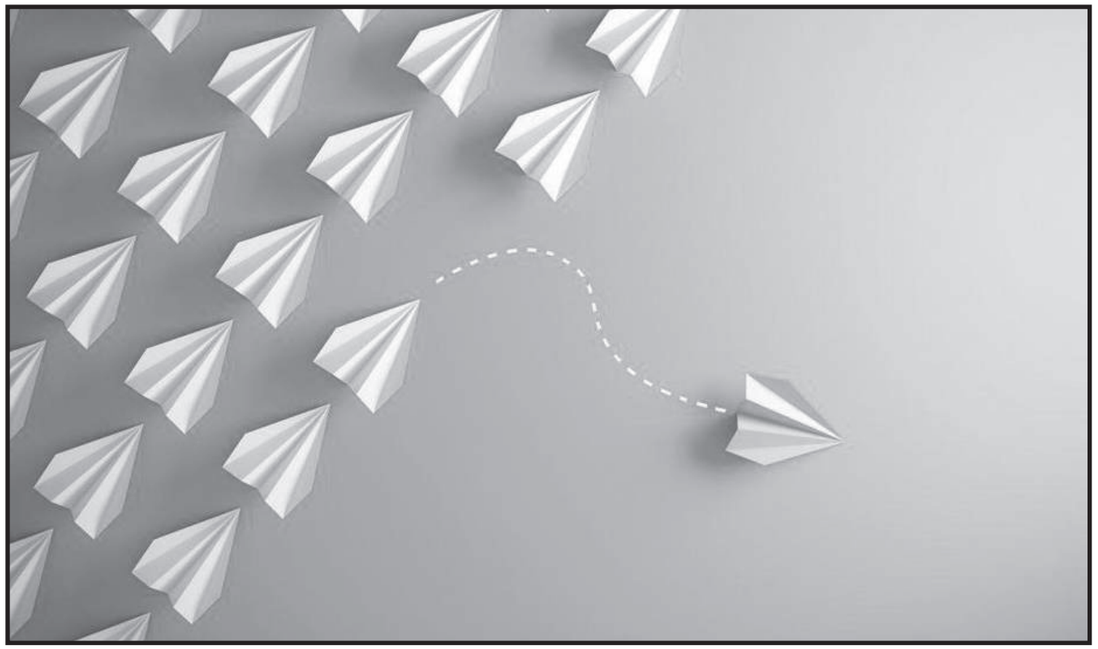

ليست منغمسة في ذاتها ولا في غيرها ، بل في منزلة بينهما . إنها في منزلة بين المنزلتين : بين كونية السوسيولوجيا وخصوصيتها ، في علاقتها بموضوعها . يقول الخطيبي في هذا السياق محددا مهمة سوسيولوجيا العالم العربي ، أي مهمة النقد المزدوج : « نقصد إذن حركة مزدوجة منسقة نرى أنها وحدها قادرة على تجاوز التكرار وتفتح أمام السوسيولوجيين إمكانية معرفة علمية أقل استلابا وأكثر تكيفا مع خصوصية الموضوع المطروح »[25].

ينبغي إذا ، أن نميز في النقد المزدوج بين مستويين : نقد العالم العربي ونقد سوسيوجيا العالم العربي . أما بالنسبة للمستوى لأول فهو يتعلق بتحليل وتفكيك المجتمعات العربية وما تطرح من قضايا اجتماعية ، ثقافية ، وسياسية . أما المستوى الثاني فهو يتجاوز الأول إلى اعتباره ما يمكن أن ننعته بسوسيولوجيا من الدرجة الثانية ، أي سوسيولوجيا السوسيولوجيا . أي أن المستوى الأول أقل تجريدا من المستوى الثاني . وأن الاشتغال في سوسيولوجيا العالم العربي يفرض علينا الوقوف أولا وقبل أي شيء على سوسيولوجيا تلك السوسيولوجيا .لأن النقد المـزدوج ، في نهاية المطاف يؤدي إلى إعـادة تشييد بنيان العلوم الاجتماعية،[26]من ضمنها السوسيولوجيا. تلك هي وظيفة المستوى الثاني ، لكن في علاقة جدلية مع المستوى الأول ومع الموضوع.

إذا كان النقد المـزوج كاستراتيجية يقوم على تفكيك المفاهيم ، فهذا يلقي بالسوسيولوجيا التي تقوم عليه إلى أن تكون سوسيولوجيا مغايرة . بأي معنى هي مغايرة ؟

لا يرجع ذلك إلى مفهوم التفكيك فحسب ، بل يرجع أيضا إلى مفهوم المفهوم ذاته ، أيضا . فالتركيز على المفاهيم له دلالته المعرفية ، التي تعكس تصور معين للمعرفة عموما . وهو التصور الذي يرمي بنا إلى مفكري الاختلاف والهامش من بينهم جيل دولوز Gilles Deleuze وفليكس غتاري Félix Guattari، اللذان يحددان للفلسفة مهمتها في إبداع و إنشاء وإحـداث وصنع المفاهيم[27]. فالمعرفة في نهاية التحليل هي معرفة مفهومية تتأسس على المفاهيم ، ينطبق ذلك على الفلسفة كما ينطبق على السوسيولوجيا . فنسيان اللحمة بين الفلسفة والعلم (السوسيولوجيا) يعني التمسك بالعمل في العماء[28].

إن الفلسفة فعالية سوسيولوجية والسوسيولوجيا فعالية فلسفية . وبالتالي فتقويض وخلخلة الإنتاج السوسيولوجي حول وعن العالم العربي ، سواء كان من إنتاجه هو أو من إنتاج غيره ، فهو تقويض وخلخلة لما أنتجه من مفاهيم حول العالم العربي وأسسها الفلسفية منها وغير الفلسفية.

بما أن السوسيولوجيا المغايرة كما حددناه سلفا ، تتغيا زحزحة مركزية السوسيولوجيا الغربية والنحو منحى الاستقلال النسبي وتقليص التبعية ، فإن الكتابة السوسيولوجية يجب أن تأخذ بعين الاعتبار مسألة اللغة . لقد صارت الكتابة باللغة العربية أمرا ملحا ولامناص منه لتحقيق نوع من الاستقلال الذاتي : « يصبح إذن من الضروري وفي أسرع وقت إنشاء أجهزة من المفهومات ندركها حسب النظام الاصطلاحي الخاص باللغة العربية. (...) وطالما لم يعمل العربي على تنمية بحث أساسي باللغة العربية فإنه سيظل منغمرا في آلية الترجمة . وهذا لايعني أبدا اهمال اللغات الأجنبية بل بالعكس نعتقد أن لغة علمية جديدة بالعربية لا يمكن أن تتقدم إذا لم تدمج في كتاباتها فروق السنن المتعلقة بلغات أخرى »[29]

خاتمة : نحو سوسيولوجيا مغايرة

هل هناك سوسيولوجيا في أعمال الخطيبي أو بمعنى آخـر، هل هناك مفعول (ومفعولات) سوسيولوجي في كتاباته؟ هل يمكن للنقد المزدوج مجاوزة قصور سوسيولوجيا العالم العربي وإنتاج سوسيولوجيا مغايرة ؟

يمكننا أن نجيب بالإثبات : نعم ، هناك سوسيولوجيا لـدى مفكرنا ؛ سوسيولوجيا فلسفية وتاريخية ، على هامش السوسيولوجيا والفلسفة والتاريخ : إنها سوسيولوجيا مغايرة .

إن النقد المـزدوج يجعل من سوسيولوجيا العالم العربي سوسيولوجيا مغايرة . تفسح المجال للسوسيولوجيا في العالم العربي للقطع مع كل ذاتية حمقاء والتمسك بالاختلاف والانفتاح على الأفق . تقوم ، بما هي استراتيجية تفكيكية على تفكيك مـزدوج : تفكيك الأسس الميتافزيقية للمفاهيم السوسيولوجية ومنها للمعرفة السوسيولوجية التي صيغت وتصاغ عن المجتمعات العربية ، سواء كانت من نتاج هذه الأخيرة أو من نتاج المجتمعات الغربية . وإعطاء أولوية للتاريخ(الحس التاريخي) في كل كتابة سوسيولوجية ، مع الأخذ في الاعتبار بأن كل كتابة سوسيولوجية هي كتابة للتاريخ ، والعلم والإيديولوجيا .كما أن إنتاج مفاهيم سوسيولوجية من داخل اللغة العربية وسننها بإمكانه أن يساهم في تطوير سوسيولوجيا مخصوصة من ناحية ويساهم في تقليص التبعية لسوسيولوجيا المركز من ناحية أخرى. بالإضافة إلى ضرورة الانفتاح على السيميولوجيا والأدب، وعلى الفلسفة عموما(خاصة الفلسفة المعاصرة) وعلى فكر الاختلاف بشكل خاص .

هكذا تتبين لنا أهمية النقد المزدوج ، بل ضرورته الاستراتيجية كاستراتيجية في تنمية و تطوير سوسيولوجيا العالم العـربي(المـعـهـودة) بصفة عـامـة و سوسيولوجيا المـغـارب بصفة خاصة وسوسيولوجيا المغرب بصفة أخص، إن لم نقل مجاوزتها لذاتها . كسوسيولوجيا مغايرة تقوم على الاختلاف والتعدد . تلك هي نفس السوسيولوجيا التي يمكنها أن تتفكر في هذا الاختلاف والتعدد الذي صارت عليه مجتمعاتنا العربية ومختلف كيانات المعمورة ، من خلال أولا وقبل كل

الهوامش

25 - نفسه ، ص.188.

26 - نفسه ، ص.197.

27 - أنظر(ي) :

Qu'est-ce que la philosophie ? Les Éditions de Minuit (coll. « Critique »), Paris, 1991.

28 - النقد المزدوج ، ص. 194.

29 - نفسه، ص.198.

شيء النظر وإعادة النظر في سوسيولجيا العالم العربي الحالية ، لا من حيث علاقتها بالسوسيولوجيا الغربية كسوسيولوجيا المركز فحسب ، وإنما من حيث علاقتها بذاتها(كهامش) أيضا .

إن سـيرورة العلاقة بين كل من النقد المزدوج وسوسيولوجيا العالم العربي تنتج في نظرنا : سوسيولوجيا مغايرة . تلك السوسيولوجيا التي تقوم على النقد المزدوج وفكر الاختلاف عموما ؛ تعمل على خلخلة المعاني، حفر المعارف، تقويض التراث، ضرب الأوثان، وتفكيك البنيات. ذلك هو الكفيل بمجاوزة السوسيولوجيا لذاتها .

إننا نرى في النقد المزدوج فعالية سوسيولوجية . إنه بمثابة مطرقة فكر الاختلاف، التي يمكنها أن تخلخل جملة من الإشكالات التي تجذرت في سوسيولوجيا العالم العربي : التأخر التاريخي والمجتمعي ، الهوية والغيرية، ، العلاقة مع الغرب ، الخصوصية والكونية ، التراث والحداثة.. وغيرها من الإشكالات النظرية والمجتمعية التي طالما أعاقت وتعيق إنتاج إن لم نقل إبـداع فعالية سوسيولوجية هامشية . هامشية بالمعنى الذي تحول فيه لأن لا تكون المركز ولا هامشا للمركز إلا فيما يجعلها تخلخله عن مركزيته تلك ، و أن تكون هامشا للهامش نفسه في نفس الآن: تلك هي استراتيجية النقد المزدوج . إنها حركة مزدوجة من الداخل إلى الخارج ومن الخارج إلى الداخل ، من الهامش إلى المركز ومن المركز إلى الهامش : تكون كلاهما ولا تكون أحدهما . إنها ترحال . من هنا والآن ، وباستراتيجية النقد المزدوج ، إلى سوسيولوجيا مغايرة . ■

المراجع

- بالعربية :

- بنعبد العالي عبد السلام، بين الاتصال والانفصال .دراسات في الفكر الفلسفي بالمغرب ، دار تبقال للنشر، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى 2002.
- الخطيبي عبد الكبير ، النقد المزدوج ، تعريب : محمد برادة ، زبيدة بورحيل ، عبد السلام بنعبد العالي ، أدونيس ، عز الدين الكتاني الإدريسي . منشورات عكاظ ، الرباط ، 2000 .
- الخطيبي عبد الكبير، الاسم العربي الجريح، ترجمة محمد بنيس، منشورات الجمل، بغداد-بيروت،2009.
- فوكو ميشال، حفريات المعرفة ، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1986.
- لكعشمي عثمان، النقد المزدوج نحو سوسيولوجيا مغايرة، مجلة الجديد، العدد 38، مارس 2018.

- بالفرنسية:

- Derrida Jaques , Point de suspension, entretien avec Didier Cahen,Galilée,1992.
- Derrida Jaques, Mémoires pour Paul de Man,Ed Galilée,1988.
- Foucault Michel, L'Archéologie du savoir, Edition Gallimard,Paris,1969.

الخطيبي و النقد المزدوج
التأسيس المعرفي السوسيولوجي لخطاب المغايرة

حوسى أزارو
باحث في علم الاجتماع

ننشغل في هذه الورقة التعريفية بـالـقـراءة التجريبية في إسهامات "الفيلسوف" و"الإبيستيمولوجيي" المعاصر عبد الكبير الخطيبي، بغية الكشف عن جهة من جهات النظر والتفكير النقديين لإسهامات الرجل، والفحص المعرفي الذي رام من خلاله نحت فكر مغاير، واجـتراح أسلوب مختلف، ينهل من مسالك التفكيك والاختلاف، ويسعى لاستكشاف طبيعة الأفـكـار وحقيقتها، وجوهر الأشياء وبنيتها، ومولداتها النظرية والتاريخية، ومخيالها اللاهوتي والثقافي، وامتداداتها الأنثولوجية وما تخفيه وتستبطنه.

لقد ابتدع الرجل لنفسه منهجا أو مسلكا يقتفي به دروب المذاهب المعرفية والعلمية واتجاهاتها، كاشفا ومحققا للمفاهيم، ومدققا التفكير في حدودها والمسافات التي تشغلها، دون تموقع إيديولوجي أو انخراط ثقافي أو اجتماعي قد يحد من انطلاقة التأمل واليقظة المعرفية وديمـومـة السؤال دون هوادة، وهو الباحث اليقظ الذي لا يستكين له بال، ولا يهدأ له قرار. " فالجميع –يقول الخطيبي- يريد أن يؤطرني في خانة بعينها، والحال أني ممتهن لقياس المسافات"، وتحديد مداها في كل صنوف الإنتاجات الإبداعية والفكرية والمعرفية.

كان الرجل شغوفا بلعبة الانفلات من قبضة "الأقانيم" المعرفية واختياراتها النظرية، وميالا لمساءلة المفاهيم والفهوم التي يراد لها أن تشير لطبائع الأشياء وتوصيف البنيات. مما يزيد من شدة حذرنا لحظة قراءة المتن المعرفي للرجل، أو عند تحديد معالم النقد المزدوج بما هو، وبما ليس كذلك. والمفعول الفلسفي للكتابة في كل الحقول المعرفية التي طرقها الرجل، السوسيولوجية منها، أو السيميولوجية والأدبية وغيرها. بحيث اتـخـذت روحـه الفلسفية في مجال الكتابة بعدا استراتيجيا، " يتجلى ذلك أساسا في تشككه السقراطي اليقظ، وحذره الشديد من أن ينجر للخطابات الإيديولوجية، والتحليلات التاريخية المبسطة" [1]؛ استراتيجية تبتغي تقديم قـراءات مفتوحة تراجع وتفحص كل التصورات واليقينيات والمذاهب، بحثا عن الحدود وقياسا لمسافاتها. فالمدخل الفلسفي استراتيجية في النظر والعمل معا، براكسيس نقدي، في التفكير مثلما في النضال. مما جعل " فكر الخطيبي – يقول بنعبد العالي- ينمو خارج الفلسفة وعلى هامشها، لكن أيضا على هامش العلوم" [2].

فالممارسة النقدية ما هي بالنقدية بالمعنى المألوف، والتفكير الفلسفي لم يعد يتخذ دلالته المعرفية الفلسفية المعهودة، والسوسيولوجيا استحالت رؤية في الكشف عن الشروط الجذرية لولادة المفاهيم، والسيرورات التداولية لها، ومدارها التاريخي الذي يحدها ، ورهاناتها التي تغذيها البراغماتية السياسية في المـاضي والحاضر معا ، بما هي آلية لغواية الفاعلين في مجال

الهوامش

1 - عبد السلام بنعبد العالي، الهوية والتراث،دار تبقال ، الطبعة الأولى 1987، ص 8.
2 - عبد السلام بنعبد العالي، الهوية والتراث، ص9.

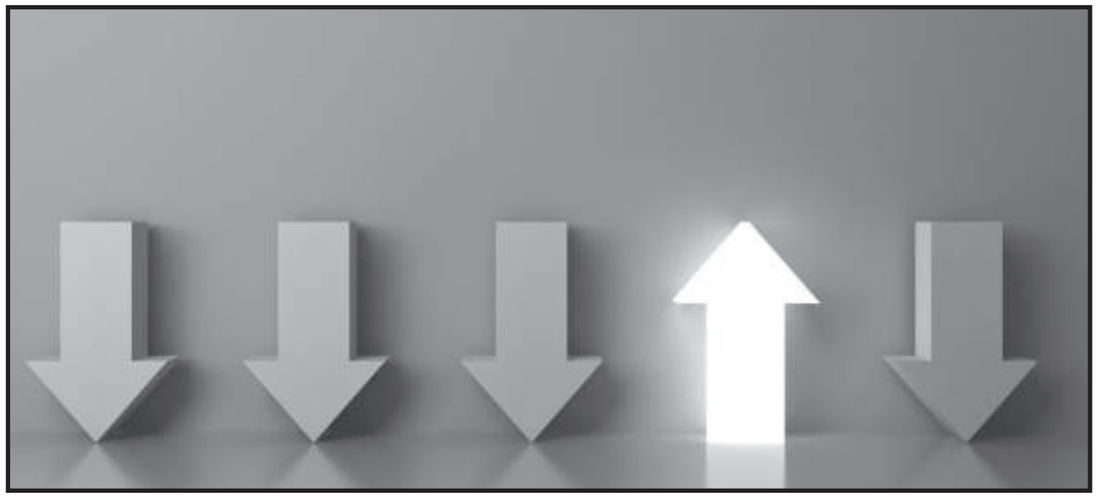

السياسة والثقافة والفكر والبحث العلمي وغيره.

حق لنا بذلك أن نعتبر الرجل، أحد السوسيولوجيين الكبار في المغرب المعاصر، وإن لم يكن يرى نفسه سوسيولوجيا بالمعنى الحرفي والتداولي للفظ، فإنه اجتهد ما أمكن لاجتراح منهج مغاير نقديا، يسائل من خلاله الأسس الفلسفية للعلوم، و يكشف عن المنسي والمسكوت عنه واللاشعوري بين ثناياها، وكل ما تتغافل عنه الإنتاجات والأطروحات الفلسفية والعلمية على حد سواء. بهذا المعنى تمكن من توليد رؤية نقدية مغايرة ، وشكل من أشكال التصدع الإبيستيمولوجي ، منهجا ومعرفة، شكلا ومضمونا،

1. الممارسة النقدية المزدوجة:

يقتضي النظر المعرفي السوسيولوجي، حسب الخطيبي، الوعي بكيفيات انبلاجه وتجليه، وتأطيره ضمن وضعيات إبيستيمولوجية محكومة بهاجس النجاعة والفاعلية وسؤال الحقيقة، والفحص اليقظ لمجمل الأدبيات السوسيولوجية عن العالم العربي، إنها لحظة التأسيس لخطاب أصيل يتجاوز التواطؤ المعرفي مع مختلف التصورات والمعارف التي صارت تتملك مشروعية الحديث عن المجتمعات العربية. لذا ينطلق الخطيبي من تساؤل ذي طبيعة إبيستيمولوجية بامتياز، ومن ممارسة نقدية لا تستسلم للمهادنة المعرفية أو المنهجية عبر تبني خيار دون آخر،أو نظرية في مقابل غيرها. تساؤل يهلهل منطق الثنائيات بين الأنا والغير، بين الشرق والغرب. ويدرأ كل مداخل الاستلاب والتبسيط المعرفيين، ويتخطى جملة الشروط الواقعية والملابسات التاريخية في إنتاج المعرفة وآليات الكتابة السوسيولوجية . فالنقد المزدوج بمثابة سيرورة دينامية واستراتيجية معرفية، تستهدف تفكيك الخلفيات التاريخية والفلسفية واللاهوتية، و تبتغي تعرية النزعات الاستعمارية التوسعية للغرب الرأسمالي. وسبر أغوار المجموع التحولي لهذه المرجعيات ،وتناصها المعرفي وما يتعالق به،

تندرج سيرورة النقد المزدوج ضمن آلية معرفية تروم تفكيك المفاهيم وتحريرها، الكشف عن سياقها التاريخي المولد لها، وفحص المرجعيات الإثنولوجية المتمركز حول الذات وأثرها على الإنتاج العلمي ، والمراهنة على عقلانية متعددة المتغيرات بدل عقلانية توحيدية، وتجاوز التصنيفات والتوصيفات الاجتماعية التنميطية التي لا تأخذ بعين الاعتبار الواقع السوسيولوجي للمجتمع، من قبيل سحب نمط الإنتاج الآسيوي على المجتمع المغربي ما قبل الاستعمار ،مفهوم

"الصراع الطبقي" في مقابل طبيعة الصراع الذي كان مهيمنا في تاريخ المجتمع المغربي، حيث نميز فيه - يقول الخطيبي - بين عدة أنساق من الصراع،" النسق الأبوي، القبلي، الرأسمالية الحرفية،نسق الأسياد، النسق المخزني" . شريطة أن يفضي هذا الوعي النقدي للمفاهيم إلى إقدار الذات السوسيولوجية على تحليل الموروث العلمي واستيعابه وتجاوزه، والتأسيس للمغايرة المعرفية بما هي انفصال مزدوج عن التكوين التاريخي للمعرفة وإثنولوجية الحقيقة. وإلا سيتم ترسيخ تنميط ثقافي مخل معرفيا يعزز هذه النزعة الميتافيزيقية الكلية المغذية للمركزية الغربية التي تبغي اختلاف الأوهام كلما سعت إلى نمذجة سؤال المعرفة السوسيولوجية ضمن رؤية توحيدية لا مناص منها.

فالنقد المزدوج بذلك ، قطيعة عنيفة وليس مجرد فحص مهادن للأطر المحددة للصراع المجتمعي. نقد ينبني على اليقظة الإبيستيمولوجية للذات إزاء الشروط المؤسسة للمعرفة ولسياقها الثقافي والتاريخي والنظريات الصادرة عنها، لأجل أن نتمكن من تخطي الصورة الضيقة المشكّلة عن الذات والغير معا، وفق رؤية استراتيجيّة متعدد الأبعاد، يتخذ خلالها النقد العديد من الدلالات والملامح الموجبة والسالبة ،يمكن تحديدها على النحو الآتي:

- النقد المزدوج بما هو إستراتجية محرِّرة ومؤسسة للمعرفة : فالمعرفة وفق هذا المنظور المنهجي نتاج ينتهي إليه العمل النقد الواعي بذاته بما هو آلية للفهم ، وبما هو مؤسس للحقيقة وكاشف عن الأوهام وما تستبطنه من رهانات تبغي إخضاع الغير والسيطرة عليه. إستراتيجية تمتد لتشمل كل الأبعاد والإنتاجات والأحداث والوقائع، وكل ما يعتمل في كيان الفاعلية البشرية من فنون وثقافة ورموز وقيم وآداب وتصوف، بذلك يلتقي الخطيبي على سبيل المثال " بالخيال الإسلامي، لا ليسجنه داخل دائرة العقل، وإنما ليرصد منطقه الخاص، والقوانين المتحكمة فيه، ويلتقي أخيرا بالثقافة الشعبية ليهدم الحاجز بين المكتوب والشفوي، بين الصورة المرسومة والنص، بين الاجتماعي والذهني" [4]
- النقد بما هو تفكيك: وحل للبنيات، وتحييد لرواسبها، اللغوية والعقلية والثقافية،
- النقد بما هو انفصال: عن المألوف والسائد، قطيعة معرفية مع كل الخطابات المتداولة عن العالم العربي (التراثية والسلفية والعقلانية) وكشف عن رهاناتها .
- النقد بوصفه قرار وئيدا، بطيئا ومتمهلا وحثيثا، يحيل على الاستغراق في عملية الفحص والكشف، يتجنب العجلة وإطلاق الأحكام على عواهنها،
- النقد المزدوج بوصفه خلخلة للذات وهلهلة لوحدتها- وتقويض لتماسكها الوهمي، بهذا المعنى لا يعني النقد معارضة موقف بآخر، أساسه التضاد والتناقض بقدر ما هو تباعد عن المطابقة وتأسيس لشروط الاختلاف، إنه بمثابة " قيام داخل الموقف لتفجيره وتقويضه" [5]، وتأزيم له لشدة الإقحام "العنيف" للسلب فيه.
- ليس نقدا إيديولوجيا، يخفي التناقضات ويتغافل عنها، ويجوهر الهويات بالرغم من التعدد والاختلاف الذي يعبرها ويباعدها عن انكماشها ووحدتها المصطنعة.
- النقد المزدوج ، رؤية مرحة وجذلة ، تنتهج أسلوب الكتابة الساخرة، باعتباره سلاحا نقديا في غاية الهُزؤ والاختيال ،يهلهل الوثوقيات، وتمرين ماتع في غزو الوثوقيات واليقينيات أينما بدت، وإلى أي مجال ارتحلت، وفي أي زمان أو مكان تلمست طريقها إلى الحضور.

2. تحرير المفاهيم

تتمثل هذه المهمة الشاقة لدى الخطيبي في تفكيك المفاهيم و تحريرها من سلطان الإيديولوجيا والتاريخ، واللذين يفضيان بمجمل الباحثين في

الهوامش

3 - الخطيبي ، النقد المزدوج ، ترجمة جماعية، منشورات عكاظ ، 2000، ص 190-189.

4 - الخطيبي ، نحو فكر مغاير، مقدمة بنعبد العالي، ص14.

5 - عبد السلام بنعبد العالي، التراث والهوية، ص 12.

العلوم الاجتماعية إلى تقديس التراث وبالتالي تعمية الوعي النقدي. حيث لا تتأتى للعديد منهم فرصة الاحتياط المنهجي لحظة أجرأة المفاهيم ونقلها من سياق ثقافي لآخر. مما يحد فعليا من عملية تحليل الذهنية اللاشعورية المنتجة للمعرفة. وتحرير الفهوم من الأثر الثقافي الاستعماري في المغرب ، والقدرة على التخلص من عبئه المعرفي والإيديولوجي وفي كل ما يعيق عملية التطور والتنمية بأبعادها المختلفة.

بهذا المعنى، يدعو الخطيبي إلى تحرير مفهوم التخلف الاجتماعي الذي صاحب جل المجتمعات العربية من دلالة الضعف الحضاري المتداولة والتي هيمنت على العقول والنفوس، في حين أن الأمـر يتعلق حقيقة بالانسحاب الفكري الـذي حصل للعالم العربي بفعل الانهيار الاقتصادي والسياسي [6] خلال القرن الخامس عشر والسادس عشر. فالانسحاب عادة ما يولد البطء الحضاري، والانكماش الثقافي، والانحصار داخل نطاق اللاهوت والتصوف واللغة. فخلال عـدة قـرون مضت، لم يتمكن العربي من تبني فكرة المدافعة الحضارية والقيمية، وانكب على اجـترار ذاته مستسلما للخطابات الروحية والثقافية المتهاوية. صحيح أنها تراوحت في العديد من الأحيان القوة والضعف الحضاريين، إلا أن الأصح هو غيابها المثير عن مجاراة الغرب في إنتاجاته المعرفية، وكشف مكامن الأزمة في الخطابات الاستشراقية، فلسفية كانت أو أدبية أو فنية،

فدلالة التحرير إذن مركبة ومعقدة ، لا تقتضي الاكتفاء بالانفلات الوجودي من قبضة الغير، وإنما السعي الحثيث نحو تأسيس منظور مغاير يتخطى عتبة المجانسة التبسيطية بين المجتمعات التي وقع ضحيتها العديد من المفكرين، والتي انبنت غالبا على منطق الهوية والتطابق الـذاتي كآلية للاحتماء من كل أشكال تعريضها للإلغاء والتشظي الناجم عن علاقتها بالغير ، في مقابل ضرورة تثمين الاختلاف والمغايرة لا من حيث الوجود الاجتماعي والسياسي أو من حيث آليات التعبير والتوصيف المفهوميين عن الذات ، بشكل مستقل عن مستلزمات التاريخ وإكراهات الغلبة العسكرية والحضارية للغرب.

من الواضح أن المقاربة الخلدونية تنشد توصيف طبائع الاتباع والإخضاع بناء على مفعولاته الوجدانية، فالمغلوب كما يقول ابن خلدون " مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيـه و نحلته و سائر أحواله و عوائده والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه أولما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب "[7]. وبالرغم من ذلك نلحظ في التاريخ المعاصر كيف أن الغالب لا يكتفي بصناعة فكرة التمام الحضاري وكماله بل ببث شروط الخضوع وانغراسه الثقافي والإيديولوجي بناء على إكراه المغلوب، ماديا وروحيا، معرفيا وحضاريا. ولعل ذلك ما يمنح للنقد وجاهته المعرفية، وصرامته المنهجية، بغية إعادة تحديد السيرورة الواقعية للأحداث والوقائع، مع بيان ما يدعمها ويلائمها من معارف أمبريقية تتحرر باستمرار من التعميمات الفضفاضة، ومن التصورات الميتافيزيقية بما هي أفكار تند عن ملامسة الواقع المعيش للأفـراد والمجتمعات. ومن أهم ما يعضد تلك الفكرة ويدعمها، ما نلحظه في نتائج الغلبة العسكرية للغرب وهيمنته التكنولوجية، وفكرة الإطلاقية الهيغلية، التي أضحت نموذجا للامتداد الإيديولوجي والسياسي ولو بأسماء واستعارات مختلفة، تنسلخ من صورة لتتدثر بأخرى، مخلفة وراءها بقايا وآثار لتسويغ الاستيلاب والهيمنة المعرفية التي تعد أحد آليات التبعية وتملك السلطة على العقول، لأن "أقوى سيطرة (على مستوى المعرفة) هي التي تجعل المسيطر عليه يصل إلى الاعتقاد أو التفكير بأن نقطة ومركز كلامه هو نفسه نقطة ومركز وصل المسيطر"[7]. الأمر الذي يدع رسوخ النماذج الغربية في الأذهان والنفوس. ولعل ذلك ما يبرر أهمية الوقوف عند مفهوم النموذج الغربي تعريفا وتحليلا.

يعرّف النموذج بما هو تصميم مصغر ومبسط لحقيقة معقدة وعادة ما يكون مصطنعا ومبتسرا. بما يجعلنا نفاضل بين النماذج حسب قوتها وعجزها عن تمثيل الواقع المقصود بالمعرفة. كما قد يحيل مصطلح نموذج على براديغم أو نسق جذري سائد ، أو مجموعة من المركبات النظرية التي تنطبق على عدد كبير من جوانب الحقيقة أو على كل هذه الجوانب كما يتمثلها الأفراد أو الجماعة. وإذا كان النموذج هو صنف أو نوع يطلق على "فكرة مثالي" لأي شيء تجتمع فيها أكمل الصفات الذاتية لنوع من الأشياء ، فإن النمذجة بمعناها الإيديولوجي برمجة لغوية وفكرية وثقافية يصبو الباحثون عبرها إلى تنميط الأفكار والتصورات وإشاعتها بين الناس ، تنبني أساسا على اختيار مفاهيم وعبارات قـادرة على خلق قوالب لسانية ومعرفية مسكوكة وفق رؤية إيديولوجية واضحة تعتمد الإقناع والتبرير والتبسيط. مما يؤكد على أن هذه النمذجة لا تنهض على أساس سليم.

ترتيبا على ما سبق، يبدو من المشروع أن نسائل مفهوم "الغرب" و نتحرى ملابساته التاريخية قصد تحديد مجمل التباسات المفهوم والرؤية الكلية له والموزعة بين مجالات مختلفة جغرافية فكرية ودينية وسياسية وغيرها. مع الإشارة إلى أن أي تشريح لمفهوم الغرب من شأنه كشف عرى ثنائيات هيمنت على سـيرورات التفاعل الحضاري عبر التاريخ منها: شرق/غـرب ، الإسـلام / المسيحية ، الدين / الوثنية، الهمجية / التحضر والمدنية ، المستعمَر /المستعمر وغيرها، يقول جـورج سارتون " لقد جرينا على أن ننظر إلى حضارتنا على أنها حضارة غربية ، ومضينا نعارض أساليبنا الغربية بالأساليب الشرقية ، حتى بلغنا من ذلك مبلغ الإعتقاد بأن ذلك التعارض لايرتفع ولا يتخلف، الشرق شرق والغرب غرب، ولن يلتقي الطرفان ، ولا شك أن هذا الاعتقاد فاحش الضلال.[9]

وحسبنا هنا –لضيق المجال – التأكيد على أن لفظ "الغرب" قد حمل عددا كبيرا من التعريفات التي خدمت قضايا مشبوهة في تقسيم العالم، وقد أكد بول فاليري على أن أوربا وليدة تقاليد ثلاثة:

- في المجال الأخلاقي : الاستناد الى المسيحية وبوجه أدق الكاثوليكية.
- في مضمار الحقوق والسياسة والـدولـة : التأثر الموصول بالقانون الروماني.
- في حقل الفكر والـفـنـون: الاحتكام إلى التقليد الإغريقي [10].

والناظر في تاريخ تشكل اللفظ والمتحري لدلالته يجد أن المؤرخين قاموا بتحريف مفهوم الغرب عن معناه الجغرافي ليتخذ معنى جديدا ثقافيا وإيديولوجيا، أي غير مرتبط كليا بمنطقة جغرافية معينة كما كان عليه الحال في السابق [11]. بل إن الجميع يخلق وهما مفاده أن الغرب بدء مطلق، انبجس مثلما ينبجس نبات نمتنع عن تتبع جذوره ،انبجاس كائن فريد وحيد من معجزة تاريخية مما يخفي حقيقة جوهرية وأساسية وهي أن ما اصطلح الباحثون على تسميته باسم "الغرب" إنما ولد فيما بين النهرين وفي مصر ، أي في آسية وافريقية [12]. لذلك فالغرب ما هو إلا ماهية جغرافية مستترة خلف لبوس الثقافة والفكر والعلم ،وتكد للسيطرة على الطبيعة والناس معا.

لـذا فـإن الإشكال الحاصل نتيجة الامتداد الحضاري والانبجاس الفريد المزعوم يَمثُل بجلاء في آليات الإبعاد والإخفاء النسقية لجل الثقافات الشرقية من كل أنمـاط الـتأريخ لإرث السلف الإنساني عموما وإحصاء علومه واستقراء عطائه والبحث فيه، والذي أكدت حركة التاريخ الحقيقية رجحان مساهمته

الهوامش

6 - الخطيبي، النقد المزدوج، ص 44.

7 - ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، طبيعة جديدة منقحة، 2002، ص 137.

8 - الخطيبي ، النقد المزدوج ، ص 189.

9 - جورج سارتون، تاريخ العلم والإنسية الجديدة، ترجمة اسماعيل مظهر ، دار النهضة العربية ،1961،ص136.

10 - روجيه جارودي، في سبيل حوار الحضارات، تعريب عادل العوا، مطبعة عويدات للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة 1999، ص17 .

11 - محمد أركون ، الاسلام أوروبا والغرب، دار الساقي الطبعة الثانية ، 2001، ص،31.

12 - روجيه جارودي، حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا، الطبعة الرابعة ، 1999، ص17.

وأصالته الفعلية المبدعة لأنماط فكرية وثقافية تنم عن تجربة بشرية معطاءة ومثمرة لفلسفات وعلوم شتى. فكيف نتمكن من تجاوز نقطة القصور الأساسية التي تعاني منها تواريخ الحضارة المكتوبة في الغرب؟ والتي عادة ما تركز على العالم الغربي وحده وعلى إنجازاته الحضارية إقرارا بمركزيته المزعومة . ولا شك أن هذا الاعتقاد قد أفضى بالمؤرخين الغربيين ، في أحايين كثيرة، إلى النظر لتاريخ العالم نظرة تطورية عادية ، وذلك بجعل تاريخ الإنسانية ككل مجرد لحظة إعداد و تهيؤ لظهور الإنسان الحديث في الغرب . وبهذا المعنى لم ينظر للحضارات غير الغربية إلا من زاوية خدمتها ومساهمتها في حلقات سلم التطور، مما ينفي قيمتها الذاتية .

فالتحرير الحقيقي إذن، انفصال وتجاوز لكل النماذج والقيم السائدة، لا يتوقف عند حدودها السياسية والمجالية بمضامينها الجغرافية والسياسية والبشرية، بل يمتد ليشمل فك الارتباط مع كل آليات الهيمنة الغربية ، وسلطة الأسلاف ، خاصة على المستوى المفهومي. بوصفه موقفا للعقل إزاء الإيديولوجيا والتاريخ، وكشفا لسيرورات تشكل المفاهيم وحدودها الإجرائية، التي تتخذ أبعادا مجالية وثقافية تحيل على طابعها المحلي و يحذوها الطموح الإيديولوجي الكوني .

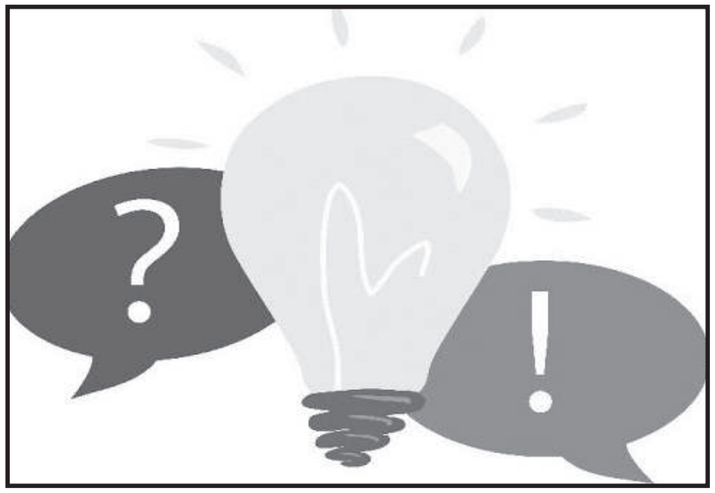

3. تجاوز الثنائيات :

يتعلق الأمر بمساءلة المنطلق المنهجي المرجعي الناظم للتفكير السوسيولوجي النقدي وتطبيقاته المختلفة والمتمايزة حول مسألة الثنائيات ومدى معياريتها التبسيطية للواقع المدروس، وإن كان لا يقبل بإمكانية ارتداده إلى مجرد رؤية مانوية تقابل بين الخير والشر أو تتخطى بوعيها النقدي عتبة التموقع والانتصار للذات أو للغير، داعية إلى ضرورة فك الارتباط عن الممارسات المنشغلة باستحسان الحاجة إلى التوفيق بما هو تلفيق وترسيخ لمنطق الهوية على الاختلاف، وإذكاء لروح الإيديولوجيا المشوه للواقع والمبرر له، بدل تقرير حقائق العلم من مدخل نقائصه ونسبية أحكامه وتصوراته.

فالنقد المزدوج ليس مجرد مراجعة معرفية مركبة لقطبي الثنائيات، أو مقابلة الأنطولوجيا الدينية ذات الأساس اللاهوتي بالأنطولوجيا الغربية ذات المنشأ التاريخي، بقدر ما هو نفاذ نحو ترسيم حدود الاختلاف في الذات، وجعل الغيرية مغايرةً أصلية للذات عن كينونتها الثقافية والحضارية، تقلع عن أن تصير مجرد آخر للذات ، وتنهل من هوية مطلقة متناسية "الغريب الذي يسكننا على نحو غريب" مثلما نلفي في العبارة الدالة لجوليا كريستيفا .

من هنا تتولد شروط المغايرة عند الخطيبي، والتي تستلزم الاشتغال في الحدود البينية للمفاهيم، والتصورات والاختيارات المعرفية، والتأسيس لعالم معرفي جديد ، قد يكون "عالما ثالثا" كما يؤكد بنعبد العالي، يتراوح بين عالم العقل وعالم اللاعقل، يتخذ لنفسه هامشا يجد فيه موطئ قدم للمغايرة والاختلاف، ويعد بمثابة " ابتداع هامش جديد لا يكون» هامشا أعمى« تابعا للمركزية الأوروبية" [13]. ويتيح إمكانية تخطي عتبة الانغلاق على الذات ، وتفعيل مناشط التجاوز واللامركز.

ينبغي إذن تخطبي عقبة الثنائيات الماثلة في الشمولية والخصوصية، الانطولوجيا الدينية (ذات أساس ايديولوجي لاهوتي) والانطولوجيا التاريخية (ايديولوجيا ترى الطبقات المجتمعية موضوعا للتاريخ)، السياسة والمعرفة، الأصولية القائمة على ثقافة الطاعة، وقيم الزبونية العائلية والقبلية في مقابل الديمقراطية التي تفتقر لمشروع مجتمعي وتنموي، المركز والهامش، المستعمر والمستعمر، الهوية والاختلاف، المعرفة الموروثة و المعرفة الغربية، اللاهوت والتقنية.. كلها ثنائيات تحد من الحركية الدينامية للمعرفة ، و من تجاوز النزعة التوفيقية المهيمنة على الفكر العربي المعاصر، كما يبدو ذلك من خلال مثالي: مفهوم العصبية(المفهوم الدوري للتاريخ) ومفهوم الصراع الطبقي (المفهوم الجدلي للتاريخ). ولعل الخروج من مأزق الثنائيات سيمنحنا الفرصة للانسلاخ من الميتافيزيقا الكلية المتمركزة حول ذاتها، والتأسيس لمعرفة سوسيولوجيا نقدية ذات نفس أمبريقي، كفيلة بالفرز بين المعرفة التاريخية والمعرفية القابلة للتطور وإعادة التأسيس.

4. سوسيولوجيا المعرفة:

تتمثل في إرساء تقليد علمي يملك الآليات المنهجية والنظرية بدرس حول الدرس، وتخطي عتبة المعرفية الموروثة والدوغمائية ، لأجل التأسيس للمعرفة النقدية، والانتقال من المعرفة السوسيولوجية المتداولة إلى البحث في شروط إنتاجها، وآليات اشتغالها. فمثلما نتمكن من تدبير الاقتصاد السياسي لإنتاج الحقيقة عن فوكو ، نتمكن من عقلنة الاقتصاد الاستراتيجي للكتابة السوسيولوجية عند الخطيبي، بغية إعادة بناء علاقتها بالتاريخ والعلم والأديولوجيا كآليات مولدة لها. " ففي كل سوسيولوجيا نجد إيديولوجيا موازية لها، تعبيرا مقنعا من عدة كتابات، ونقلا غامضا للمفهومات من تراث معرفي إلى آخر" [14]. فالكتابة بيان للخلفيات ووعي بالنزعة الذاتية الغربية نحو الهيمنة والتمركز، ومحاولة وضع المؤلف أمام مسؤولية ما يؤلفه، بهذا المعنى ينقل الخطيبي عن دريدا نصا في غاية الدقة والتوصيف لمقومات الكتابة النقدية بما هي فحص وتفكيك وممارسة النقد، إن " نوعية وخصوبة كتابة ما تقاس بالنقد الدقيق الذي يتناول به الفكر علاقة الإثنولوجيا بتاريخ الميتافيزيقا والمفاهيم الموروثة. نقصد هنا علاقة نقدية للغة العلوم الإنسانية، ومسؤولية نقدية للكتابة"، تروم بالضرورة نزع رواسب البنيات وفكها. ليست الكتابة ممارسة معرفية سطحية ، بقدر ما هي مساءلة للأسس تتخطى عتبة التوفيق بين المفاهيم والنظريات نحو الكشف عن استحالاتها المعرفية والأنطولوجية.

تتمثل مهمة الباحث في القضايا السوسيولوجية في العالم الثالث الامتثال لرؤية منهجية محددة تبتغي الكشف عن طبيعة المفاهيم والتصورات وعيا منه بضرورة الاحتياط المنهجي إزاء كل المذاهب المعرفية والمنهجية ، والمحددات الثقافية و مرجعياتها الإديولوجية والشروط التاريخية ، لمجمل المعارف والكتابات السوسيولوجية عن العالم العربي، الغربية منها والعربية، بهدف القيام بممارسة دينامية " تتجاوز مجرد الإعادة والتكرار، وتفتح أمام علماء الاجتماع معرفة علمية أقل استلابا، وأكثر تكيفا مع خصوصية الموضوع المطروح"[15]. تسائل المجموع التركيبي ، والتناص المعرفي السيوسيولوجي الذي يحكمها، اعتمادا على استراتيجية نقدية، تروم خلخلة الأنظمة والأنساق الفكرية الموروثة.

الكتابة السوسيولوجية التفكيكية هي بحق تلك الحركة الدينامية الكفيلة بالكشف عن مركب المفاهيم والرؤى

الهوامش

13 - الخطيبي، نحو فكر مغاير، مقدمة عبد السلام بنعبد العالي، ص 12.

14 - الخطيبي، النقد المزدوج، ص 190.

15 - الخطيبي ، النقد المزدوج، ص 187.

وإدماجها وتجاوزها، هكذا نكون أمام ثورة منهجية ومعرفية، لا تدعو لنزعة فوضوية ، ضد المنهج بل إلى منهج متعدد مساوق للتركيب والمجموع التحولي للمعارف من حقل لآخر، من مجال ثقافي لغيره، من المفهوم إلى الاستعارة، ومن المعرفة إلى السلطة والهيمنة، كما يلحظ الخطيبي ذلك في طبيعة العلاقة المركبة بين التاريخ والعلم والإيديولوجيا. والتي تقتضي إعمالا لاستراتيجية تفكيكية تحرر المفاهيم من هيمنة التوافقات المعرفية السائدة، وتحرير العلم من المنظور الاستبدادي الذي يستلهم وجاهته من ميتافيزيقا كلية متمركزة إثنولوجيا حول الذات.

حسب الخطيبي، لا تنطلق الكتابة السوسيولوجية من فكرة المطابقة للواقع، والتأسيس لمعرفة انعكاسية، بل من تفكيك المقومات العلمية، و من القدرة على الانفلات من سطوة النظريات والمفاهيم. بذلك ليست الكتابة المعرفية السوسيولوجية مجرد فحص وشك هادئين، بل ممارسة تُجرّ ح وتعنّف لتقطع مع كل ألوان السيطرة والتبعية، ابتغاء تحقيق " قطيعة عنيفة مع السيطرة الثقافية الغربية، وتجاوز قوتنا القاصرة" [16].

فالنقد المـزدوج في مجال الكتابة الـسـوسـيـولـوجـيـة اقـتـصـاد معرفي وإستراتيجية نقدية، تعيد تكوين المعرفة المنتجة حول العالم العربي من الداخل، وتفك عقالها من كل التقاليد الثقافية والفكرية العربية والغربية، من الأرضية اللاهوتية العربية، ومن الأرضية الفلسفية والميتافيزيقية الغربية. وهي بذلك تنشغل بثلاث فرضيات أساسية:

- تفكيك المفاهيم الناتجة عن المعارف والكتابة السوسيولوجية.
- الكتابة السوسيولوجية بما هي اقتصاد وإستراتيجية .
- إعـادة تشييد بنيان العلوم الاجتماعية.

بـنـاء عـلـى ذلـك سـيـكـون النقد المزدوج بمثابة نوع من أنواع الكشف والفضح ، والخلخلة للعلائق القائمة بين المعارف ومفعولاتها وأصولها ورهاناتها، وتخطٍّ لعتبة الرؤية الوضعية الساذجة عبر تحليل أشكال الهيمنة الماثلة في المرجعيات الفكرية المتداولة والقوى الاجتماعية المدعمة لها، ولإن المهمة الراهنة لعلم الاجتماع ، في المجتمع المغربي على الخصوص ، تتمثل في فحص الشروط الممكنة لانطلاقة نقدية للمعرفة السوسيولوجية، تتحرر على إثره من استيلاب مزدوج، ومن التكرار الساذج للأنماط المعرفية السائدة أو المتداولة، بما فيها من عجز يمس التوصيف الدقيق للواقع بما هو، وبما تحويه من خلفيات إيديولوجية وثقافية إثنولوجية يغالبها النزوع نحو الهيمنة والتسلط، أو من مرجعيات تاريخية تأسرها ديمومة البدايات.

سواء تعلق الأمر بالنظرية الخلدونية أو الماركسية أو التجزيئية فنحن ملزمون معرفيا ومنهجيا بمساءلة عملية تكوين المفاهيم (العصبية، نمـط الإنتاج الأسيوي، القبيلة) والبناء الإيديولوجي لها. مساءلتها من جهة آليات المفهمة والتكوين والبناء للمفاهيم، و ومن جهة العمليات المتبعة في توصيف الواقع وتحديد طبيعته، وعلاقتها بالإسقاطات المعرفية الجاهزة على مجالات الفاعلية الإنسانية لقوى المجتمع بالرغم من تمايزها واختلافها. بذلك تتخذ عملية مساءلة المفاهيم مشروعيتها القصوى، عبر تنسيب تاريخي لمضامينها، وحدٍّ لإطلاقيتها وديمومة صلاحيتها، وانفصال عن خلفياتها الفلسفية الميتافيزيقية ، ميتافيزيقا الكليات وميتافيزيقا العود الأبـدي للأصول والتجارب التاريخية الممثلنة. فالنقد المزدوج إذن، هو بمثابة دعوة موجهة "لعلم الاجتماع العربي المعاصر من أجل بناء وصياغة المفاهيم التي تجعله قادرا على مواجهة موضوع معرفته" ،[17] وتفكيك للمفاهيم بغرض صياغة كتابة سوسيولوجية نوعية، لا يتأتى له أن ينجح إلا من خلال الإقبال على قطيعة عنيفة مع كل أشكال الهيمنة والسلطة حفاظا على وهـج الحياة والحق في الإبداع والاختلاف والتجديد المعرفي.

5. النقد المزدوج: سؤال الهوية والاختلاف

يتخذ سـؤال الهوية في الخطاب العربي المعاصر بالنسبة للخطيبي دلالة ثقافية تنتشي بالتراث والعودة للأصول بكيفية مستديمة، في حين أنها هوية تحبل بالتعدد أكثر مما تنتصر للوحدة والتطابق، وتنفتح على ماض عميق يستوعب كـل المقومات الحضارية للمجتمع المغربي، مادام الإنسان المغربي " يحمل في أعماقه كل ماضيه ما قبل الإسلامي والإسلامي والبربري والعربي والغربي" [18]. والمطالبة بالتعدد فيها إغناء للذات وتوصيف تاريخي لطبيعتها الواقعية، لأن التعدد يعزز مفهوم الاختلاف ويعضده بما هو تقرير للكيان ومدخل للانفتاح على المركب في الواحد وليس على الواحد في المركب ، ولعل ذلك ما قد يمارس نوعا من التهديد إزاء خطاب اللاهوت وتأزيم مشروعيته.

ينطلق الخطيبي من سؤال الهوية والأصل الذي تبني عليه : الأصول اللغوية والدينية والأبوية المحددة للعالم العربي، بوصفها قيما تقليدية مشتركة (الطابع القبلي العشائري، السلوكات الدينية، التلاحم الصوفي بين الأحياء والأمـوات ...) وهـي هوية ممزقة بفعل التناقضات الداخلية التي تتحول إلى معيقات فعلية (ضعف المجتمع المـدني، تدني قيمة النساء، استبدادية السلطة السياسية، غموض العلاقة بين الدين والسياسة، تفشي الفساد، الضعف التقني أو العصرنة الهجينة) تحولت إلى نمط للعيش ، ، ومقتضيات الانفتاح على الـعـالم. انفتاح يحكمه الـصراع بفعل النماذج التي تغذيه. وتصدع النظام المحدد للكيان العالم العربي تاريخيا من حيث أبعاده الحضارية، وأنماطه المتعددة مما يطرح بقوة سؤال الاضمحلال والمثاقفة،

فالنقد المزدوج إذن موجه للذات، ومساءلة مفهوم الـوحـدة القومية المطلقة، ومـراجـعـة لفكرة الكلية ولمختلف المرجعيات الثقافية والفكرية المغذية لها، الأمـر الـذي لا يتأتى لنا حسب الخطيبي إلا بتقويض اللاهوت، والقطع مع إيديولوجية الأصل الواحد. لأن مفهوم الوحدة مفهوم " ديني أكثر مما هو سياسي، باعتباره ينتمي إلى عالم السياسة" ،تم تحويله إلى " مثل أعلى ومبدأ شرعي للتجمع" [20]. مما يدعو إلى ضرورة تحديد المداخل الأساسية التي يجعلها الخطيبي مجالا للنظر والتطبيق الإجـرائي المعتمد لبيان نجاعة منهج التفكيك ووجاهته، وهي كالتالي:

- المدخل الـتراثي : وهو خطاب ماضوي ارتـدادي يروض الواقع الحالي لصالح تجارب تاريخية أخضعت للمثلنة ، قوامه سـؤال ديني لاهـوتي، وسؤال غيبي خضع لتأويلات تاريخية صار يشرط طبيعة الوجود بالنسبة للعالم العربي.
- المدخل السلفي: وهو خطاب توفيقي بين مرجعيتين مختلفتين، العلم والدين، والسعي إلى تحقيق إصلاحات متجاوزة.وهو بمثابة مدخل ارتجالي وتلفيقي ترقيعي (ترميقي).
- المدخل العقلاني: هو مدخل يـعـلي مـن شـأن الـعـقـل، ويتغافل عـن إشـكـالات الـلاشـعـور وفـراغـات وبياضاته.
- المدخل التاريخي: تتملكه نزعة ارتـدادية تجرف التفكير العربي نحو تعليل الانحطاط بالأحداث التاريخية، وبقوانين التاريخ ،

إن هذه المداخل لم تنفك من تبني هوية قائمة على المطابقة الوهمية، دون أن تتمكن من تملك الذات معرفيا وتكتسح الهوية وتغزوها، وكل ذلك أثر بشدة على تمثلها القاصر لحقيقة الغيرية وفلسفة الاختلاف ،فأضحى الغير لديها مجرد اختلاف حضاري ذي دلالة

الهوامش

16 - الخطيبي، النقد المزدوج، ص 192.
17 - محمد وقيدي، كتابة التاريخ الوطني، دار الأمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1990، ص 18.
18 - الخطيبي، النقد المزدوج، ص 50.
19 - الخطيبي، النقد المزدوج، ص 16.
20 - الخطيبي، النقد المزدوج، ص 16.

أنتروبولوجية عمياء، ومنغلقة أشد ما يكون الانغلاق على تجربتها التاريخية الممثلنة، كل ذلك أدى إلى صياغة اختلاف سمح يتخذ حسب الخطيبي وضعية "الاختلاف المتوحش" ملؤه الضلال والجنون الوجودي والمعرفي.

كل ذلك يدعونا إلى فحص المرجعيات الثقافية والاجتماعية والمعرفية المحددة لمنظومة المراتب الاجتماعية قبل الاستعمار ، ومنها:

- فحص معايير الأولوية والتفاضل: أولوية الطبيعة على الثقافة، والتفاوت بين المجتمع البدوي والحضري، وغلبة التجربة الإسلامية على علم التاريخ، مما أدى إلى انبناء نظام المراتب على الحسب والشرف والذي حكم أسس الشرعية والسيطرة في النظام التراتبي للمجتمع عبر التاريخ حسب ابن خلدون (العصبية، الشرف، " آل البيت"، القرابة أو الولاء أو الترتيب الإداري) باعتبارها واقعا طبيعيا وقيمة دينية، وآلية لتقسيم العمل.
- تجاوزالصنمية التاريخية سواء في المعرفة أو في التجربة التاريخية : نتيجة هيمنة المرجعيات الايديولوجية التي تحد من بناء معرفة نسبية ، ومنهجية منفتحة ومتعددة ، تتجاوز ثنائية المعرفة و الهوية ، والزمن التاريخي والزمن الأسطوري، والتقدم التاريخي والتكرار التاريخي المتدهور، منطق التاريخ والعود الأبدي لحفز الإنسان على تجاوز ذاته، والعصبية كمنهج للتحليل (يستعصي سحبه على تجربة الأدارسة الذين تمكنوا من تأسيس مملكة دون عصبية).
- الدعوة إلى إعادة التفكير في تاريخ المغرب بعيدا عن المنظومة الخلدونية وضدا على علم التاريخ الاستعماري. من أجل الإقبال على مهمة نقدية مزدوجة تمكننا من تحرير التاريخ من الاستعمار وجعل المنظومة الخلدونية مجرد إفراز تاريخي لا آلية منهجية لتحليل التاريخ. لأن جل الأدبيات التاريخية صارت عائقا يحد من فهم المجتمع المغربي بفعل ترسباتها الايديولوجية .
- غياب الوعي الشمولي بحركة التاريخ : يضيق من فهمنا للأسس التي تقوم عليها السلطة، أو الطبقة المسيطرة المزاوجة بين اللاهوت والعقل، والتي تعمد إلى قياس الرؤية التاريخية على مقاس "نظرية دائرية لا تكتسب معقوليتها إلا بوصفها نمطا متدهورا للتاريخ" ، إذ كلما غادر العمران الإسلامي أرضه التي نشأ فيها وإلا تحكمت فيه غائية التكرار المتدهور. وتحولت الصيرورة بذلك إلى مجرد تكرار يقوم على التماثل والتطابق.
- تحقيق الوعي النقدي بطبيعة التاريخ والمجتمع ورهاناتهما وأثرهما على نشأة المفاهيم الناظمة للمراتب التقليدية: بحيث يعتبره ابن خلدون تاريخ القبائل أو الأسر الحاكمة، في حين تراه الماركسية تاريخ صراع الطبقات الاجتماعية، في مقابل النظرية التجزيئية التي تربطه بالأنساب والمنظومة الأبوية. و هي المتراوحة على مستوى المقاربة بين المنطق الأرسطي والمنطق الجدلي والمنطق الكانطي. وعلى المستوى الزمني بين النمط الدائري والجدلي والمكرر.

وبهذا المنظور النقدي المرح سيعمد الخطيبي إلى الكشف عن الوهم الابيستيمولوجي بالتاريخ الملموس للمجتمعات، والسعي باستماتة نحو تحرير السوسيولوجيا من الأدبيات والتأويلات الموروثة، وطرح سؤال التأسيس من خلال سؤال النقد المعرفي اليقظ، والذي ينتصر باستمرار لدرس حول الدرس، كلما تعلق الأمر بالإجابة عن سؤال: كيف نجعل المجتمع المغربي موضوعا للتفكير؟

6. سؤال الاختلاف: أجرأة لسيرورة النقد المزدوج،

لا يقصد الخطيبي بالاختلاف التمايز عن الغير، بمعنى النقيض، أي ما يميز الذات عن غيرها، بل الاختلاف الذي به تتميز الذات عن نفسها، وتتباعد عن انسجامها ومطابقتها لذاته. لذلك لا يتخذ الاختلاف صفة جوهرية يكرر من خلالها مساوئ التماثل والثبات المحددة للهوية بل يتبنى استراتيجية دينامية وسيرورة تحتكم للمغايرة والتعدد والتجاوز . أي الاختلاف الأصيل في مقابل الاختلاف الوحشي الذرائعي ، اختلاف تحكمه المشاعر والوجدان أكثر مما ينضبط لمعايير المعرفة وأسئلة النقد، وهو مجرد انفصال زائف وساذج، يقذف بالآخر إلى وضع مطلق. يتسم بالتباعد والتمايز المصطنع ، بوصفه اختلافا يؤسس للهوية الضالة المجنونة ، أو الهوية العمياء، (القومية، التزمتية، العرقية، الثقافوية،...). ومن بين أهم ملامح الاختلاف التي يتوجب أن تكون موضوعا للتفكيك ما يلي :

الاختلاف الاجتماعي: بالعمل على تقويض التصورات المدعمة للتفاوت الاجتماعي وأسسها الأخلاقية الدينية.

الاختلاف الثقافي : بإعادة تقويم الثقافات التي نبذها العالم العربي وهجرها. وتطوير الثقافة العلمية من خلال نظام تربوي ملائم، وحل معضلة العربية والأمازيغية عبر الاحتكام للتسوية بينهما، لأن " السلم المدني والاجتماعي يمر عبر السلم اللغوي عن طريق حرية التواصل بين السكان ووسائل تعبيرهم" ص 22، فالاختلاف الثقافي واللغوي يؤسس للتسامح والهوية المتعددة لا المتكثرة ، ويحد من العنف .

الاختلاف السياسي : ويطرح سؤال التغيير السياسي والتأسيس لمجتمع ديمقراطي يفصل بين الزمن الدنيوي والزمن الديني، ويباعد بين السياسة والدين ، ويصل بين الديمقراطية والتنمية ، في علاقته بالسلطة المحلية وتعقد الوضعية الدولية.

اختلاف الوجود العربي : ويتخطى التمثلات التراثية والسلفية، ويتجاوز فكرة الكلية والوحدة ومنزعها الإيديولوجي التوحيدي نحو وحدة متعددة بشروخها ونقائضها تتخطى عتبة التوحيد الغيبي للأمة الذي يغذيه الخطاب الأصولي بمنحه مشروعية لاهوتية.

نستنتج من خلال الدلالات السالفة، أن الاختلاف لا يعدو أن يكون مجرد " تباين ساذج"، وتباعد خارجي وهمي بين الأنا والغير، لأنه اختلاف يضعنا حقيقة " أمام متخالفين مبعدا أحدهما عن الآخر، مقربا بينهما في الوقت ذاته، أما التباين الساذج فإنه يعرضهما منفصلين متباينين، بينهما تباين وبون. الاختلاف يقوم » في« الهوية ، أما التباين فيتم في بين» هويات « متباعدة وكيانات منفصلة" [21]

7. الإبداع والتجديد :

يتخذ النقد عند الخطيبي معنى الإبداع والتجديد، حيث النقد المزدوج يفيد إعادة بناء أطر المعرفة الناظمة للعلوم الاجتماعية، ليس من موقع الهامش بل من موقع الكشف عن الخلفيات التاريخية لظهورها مثل الإثنولوجيا، والمذاهب الفكرية الحاكمة، وإنتاج المعرفة باللغة الأصلية لتجاوز معضلة الترجمة. لأن أي تحرير للقول في السوسيولوجيا يقتضي تقويض دعائم السيطرة الثقافية المتعالقة بما هو سياسي و اقتصادي.

ومن الواضح أن السيرورات النقدية للخطيبي تنهل من وشائج الانقطاع والانفصال في مقابل الاتصال والكلية،والتي تبتغي تنميط الحياة الفكرية وفق نماذج غربية مهيمنة أو بناء على ديمومة استبدادية للثقافة التراثية وانطوائيتها،بمعالمها المتعددة وأساليبها المتنوعة. مما يبرر ضرورة الفحص التفكيكي للأسس التي يقوم عليها صنمها المعرفي المنمط في مقابل دينامية الواقع وغناه ، وسيميائية الحضور المسترسل لعلاماتها . ومع ذلك يبدو لبعض الدارسين أنه لم يستوف الشروط المطلوبة فكريا للتموقع ضمن الرموز الفلسفية، نظرا لغياب النفس الفلسفي التحليلي الذي نلفيه عند من جايله أو سبقه. يقول بنعبد العالي بهذا الصدد، إن " معظم الأفكار الفلسفية في كتابات الخطيبي لا تأتي نتيجة تحليل.. نتيجة تفكيك المفهومات وتقصي أصولها" [22]. ما يجعل " النقد المزدوج والتفكيك الذي يكثر الخطيبي من الحديث عنهما يظلان عنده مجرد شعار مقارنة مع ما عليه الأمر عند صديقه ديريدا" [23].

وبالرغم من ذلك، أعتقد أن الأحكام الخارجية لا يمكن أن تجدي نفعا إلا من جهة معياريتها المعرفية، في حين

الهوامش

21 - الخطيبي ، نحو فكر مغاير، تقديم عبد السلام بنعبد العالي، ، كتاب الدوحة، 2013ص 17.

22 - الخطيبي ، نحو فكر مغاير، ترجمة وتقديم عبد السلام بنعبد العالي، ص 8.

23 - الخطيبي ، نحو فكر مغاير، ص 8.

أن الرجل بحاجة لمن ينصفه نقديا دون محاباة أو مواربة، خاصة وأن تفكيره النقدي التغايري ينهل من معين الذكاءات المعرفية والعلمية المتعددة للفترة الحديثة والمعاصرة، سواء تعلق الأمر بفلسفة الاختلاف والسيميولوجيا، الإبيستيمولوجيا، كشكل من أشكال تداخل العلوم وتكاملها، وتساوق الأنظمة المعرفية وتآلفها، في محاولة حثيثة للكشف عن الطابع المركب للمجالات المبحوثة من جهة، ولآليات الاستقصاء والفحص والنقد من جهة أخرى.

ويتخذ مفهوم التجديد والإبداع المعرفي عند الخطيبي دلالة النقد والتحرير والتجاوز والخروج من الهيمنة، والذي يقتضي جرأة السؤال وحصافة اليقظة التفكيكية المؤسسة للانقطاعات النقدية بوصفها ممارسة إنسانية بامتياز لا مكان فيها للمعجزات، وتعي شروطها ومداها باستمرار.

كما يتخذ التجديد المفهومي دلالة التعدد ، وإدراك الواقع في تعدديته واختلافه ، لا مجرد وحدة مجوهرة، هكذا تتمكن المعرفة السوسيولوجية من البروز والولادة البعدية بما هي فك لرباط عقالها من كل ما يحد انطلاقتها النظرية. هي معرفة ينتهي إليها النقد المزدوج، ويفضي لها التفكيك، إنها ممارسة واعية بذاتها باختلافها وبمهامها الفكرية والعلمية المنذورة لها . ■

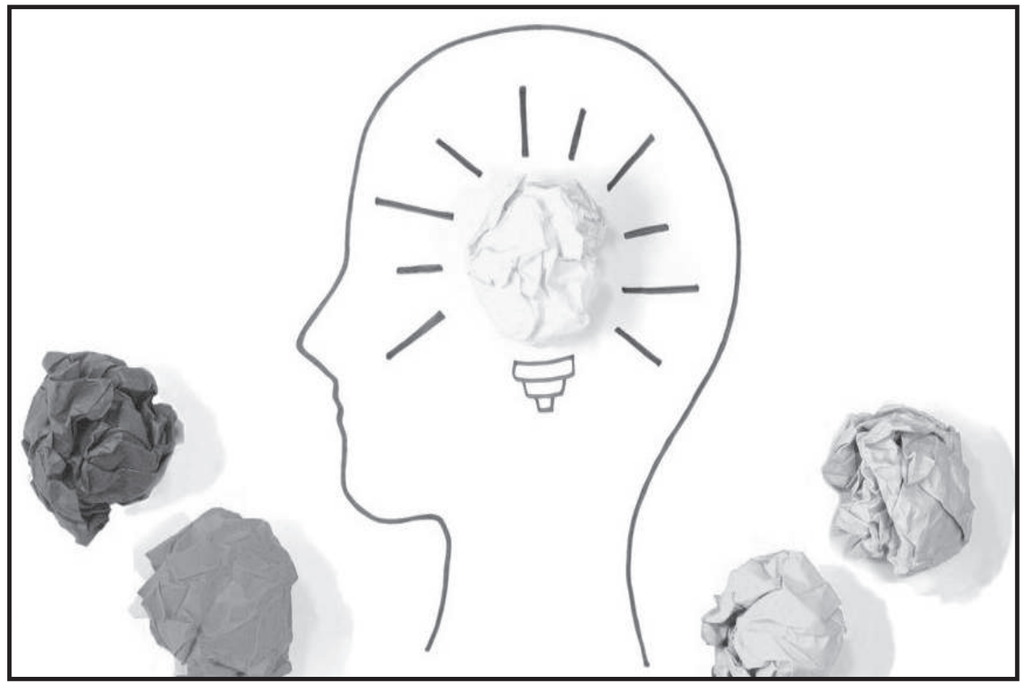

حوار مجلة رهانات

حوار مع الباحث مراد الخطيبي حول المشروع الفكري للسوسيولوجي عبد الكبير الخطيبي

مراد الخطيبي باحث وناقد مغربي، نشر العديد من النصوص في مجلات وطنية، وله مجموعة من الدواوين الشعرية، منها: «بهجة الصمت» سنة 2008 ، و«هسيس الذاكرة» سنة 2014 .

حاوره: زكرياء أكضيض و حياة الدرعي

زكرياء أكضيض: بناء على الاطلاع على المشروع الفكري لعبدالكبير الخطيبي، يتبين أن هذا المشروع لديه ميزة خاصة مقارنة بباقي المشاريع الفكرية الأخرى، مثلا مشروع الجابري أو مشروع العروي، في نظركم بحكم قربك من هذا المشروع الفكري، ما هي إضافته النوعية في الحقل الأكاديمي ؟

لابد من الإشارة إلى أن الخطيبي يمتلك مشروعا متماسكا، وفي اعتقادي هذا المشروع وضع لبناته الأساسية في سيرته الذاتية «الذاكرة الموشومة» التي صدرت سنة 1971 في طبعتها الأولى، طبعا يتمركز هذا المشروع حول إشكالية الهوية، وهي إشكالية تؤطر كل نصوص الخطيبي سواء الفكرية أو الإبداعية، لابد في هذا السياق من الإشارة إلى أن الخطيبي استفاد من المنهج التفكيكي للفيلسوف دريدا خاصة، صديقه الأبدي، وعلى ضوء المنهج التفكيكي ابتكر الخطيبي آليات النقد المزدوج التي تقوم بمهمتين أساسيتين، أولاهما تفكيك الميتافيزيقا العربية والإسلامية، وثانيهما نقد الميتافيزيقا والفكر الغربيين، واقترح الخطيبي، وهذا في نظري ما يميزه، فكرا ثالثا وهو كما أسماه «الفكر المغاير»، لا هو فكر يعبد بطريقة متحجرة وغير منطقية الأنا، بمعنى الفكر العربي والإسلامي الذي تم تكوينه عن طريق الترجمة، ترجمة الفكر اليوناني الخ، أو الاسلام إلى غيره، ولا هو فكر يرتمي في حضن الميتافيزيقا الغربية بشكل غير مدروس وبطريقة غير علمية، الفكر المغاير الذي يقترحه الخطيبي فكر لا يأخذ الأنا بصفة كلية ولا يلغي الآخر بطريقة متعصبة، كما نادى بذلك في وقت من الأوقات «فرانز فانون» الذي حاول من خلال خطابه المشهور بأن الجزائريين (أو المستعمرين حينذاك) لا حاجة لهم بالاستقلال عن الغرب، يقول مثلا الفيلسوف موليم لعروسي أن الخطيبي لم تتوقف تفكيكيته

أو نقده المـزدوج عند الأيديولوجيات الكبرى، بل سيخوض لاحقا ومعه نقدا مزدوجا في مجالات متعددة من حقول الفكر والفن والثقافة الشعبية والكتابة إلى غيرها، هناك مواضيع أساسية كانت للخطيبي جرأة معرفية في تناولها، مثلا الجسد في الإسـلام وتحليل الجنس في القرآن، والاشتغال على التشكيل والمتخيل الشعبي، بالإضافة إلى التطرق لبعض القضايا وبعض المواضيع التي كانت محسوبة على الهامش، وهذه في نظري جرأة تحسب للخطيبي في سياق تاريخي نعرف أنه كان مغلفا بالتقاليد وبالفكر التقليداني إلى غير إلى ذلك، هذا باختصار ما أريد الإشارة إليه بخصوص مشروع عبد الكبير الخطيبي كإجابة أولى.

حياة الدرعي : بخصوص مرحلة مهمة من السوسيولوجيا المغربية، وهي مرحلة معهد السوسيولوجا بالرباط، ما هي نظركم التيمات التي ميزت الممارسة السويولوجية في هذه الفترة ؟ وما هي القيمة المضافة التي لعبها معد السوسيولوجيا في سياق سياسي دولي يتسم بأحداث 1968 في فرنسا، وتأثيرها على ما يجري في المغرب ؟

بطبيعة الحال، شكرا الأستاذة حياة على هذا السؤال الجوهري في مشروع الخطيبي، بالصدفة هذا الأسبوع كنت أترجم مقالة للخطيبي، وهي تحت عنوان désir de la Sociologie وصدرت في كتاب Le Scribe et son ombre ، وهو آخر مؤلف للخطيبي سنة 2008، وأظن أنه لم يطلع عليه لأنه توفي بعد ذلك سنة 2009 ، يجيب الخطيبي من خلال قوله: «عند عودتي إلى المغرب سنة 1964 وجدت بسرعة نفسي أمام وضعية صعبة، حرجة، المشاركة في تأسيس مدرسة ما بعد كولونيالية جديدة لعلم الاجتماع بالمغرب، بعيدا عن أي نزعة استشراقية كانت غايتي الأولى غاية سياسية في الواقع، أما الغاية الثانية فكانت تكمن برفقة زمـلائي المغاربة والأوروبيين في بناء معرفة حقيقية حول المجتمع المغربي الذي كان يقاوم بشدة التحليل النقدي»، وهذا هو السياق التاريخي الذي أشـارت إليه الأستاذة حياة الدرعي. ويقول الخطيبي في هذا السياق أيضا : «في عام 1966 توليت إدارة معهد السوسيولوجيا، توليت إدارته بالتحدي، بدون أن أفكر جيدا بالمهمة الشاقة التي كانت تنتظرني بعد

أربع سنوات من النشاط المتواصل، ثم دمج المعهد بشكل تعسفي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط إلى غير ذلك. وبالنسبة للمواضيع التي تناولها عبد الكبير الخطيبي رفقة زملائه «لازاريف، بول باسكون وغيرهم»، فهنالك الصراع الطبقي، الطبقات الاجتماعية، ثم كذلك تشكيلات المجتمعات المحلية وأنظمة التصنيف والتسلسل الهرمي، ثم بعض البنيات والتقاليد، والتراث إلى غير ذلك، إضافة إلى التطرق إلى العلامات في بعض أشكال الحياة التي تنسج النسيج الاجتماعي، هذه باختصار بعض المواضيع التي تناولها الخطيبي رفقة زملائه في المعهد السوسيولوجي من بينهم بول باسكون، لازاريف وغيرهم.

حياة الدرعي: ذكرت في الحديث أنه تم فعلا إغلاق معهد السوسيولوجيا في الـربـاط، مـاذا كـان مصير السوسيولوجيا المغربية بعد الإغلاق السياسي للمعهد؟ وأين تم تصريف هذا الشغف الأكاديمي في البحث السوسيولوجي، وإبراز ذات مغربية في الممارسة السوسيولوجية؟

بطبيعة الحال هـذا الإغـلاق كان له تبعات سياسية، وأظن أن الخطيبي أشار أيضا إلى هذا المنحى في كتابه Le Scribe et son ombre من خلال رسالة سأقرأ بعض تفاصيلها، وهي شهادة لزكية داوود، تكلمت في شهادتها عن تبعات أو نتائج أو انعكاسات إغـلاق معهد السوسيولوجيا، حيث سيتم إغلاق معهد السوسيولوجيا سنة 1969، كما ذكرت، غير أن الخطيبي يرى أن إغلاق المعهد حدث سنة 1970، وليس 1969 ليتم تعويضه بداية بمعهد العلوم الاجتماعية التطبيقية، قبل أن يختفي نهائيا هذا المعهد، حيث اتهم من طرف النظام بأنه يقوم بتكوين الأرواح الشريرة، فالمغرب الجديد ليس بحاجة إلى طيور الفأل السيئ المتمثلة في علماء الاجتماع. فبعد إغلاق معهد السوسيولوجيا سيتم تعويضه بعلم اللاهوت أو الثيولوجيا، فنحن نغوص في التقليد والتقاليد الاجتماعية التي يتم تشجيعها بصورة كبيرة»، هذه شهادة زكية داود. بالنسبة للخطيبي هذه المرحلة أدت إلى تعطيل حركة تكوين سوسيولوجيا مغربية بعيدا عن الغطاء الأيديولوجي الذي كان يكسوا هذا الخطاب السوسيولوجي، ومن يتابع المشروع الفكري للخطيبي سيجد أنه في وقت من الأوقات سيبتعد بطريقة أو بأخرى عن الدراسات السوسيولوجيا، بالمعنى التخصصي، ولكنه سيوظف بعض آليات علم الاجتماع من خلال إبداعاته أو من خلال مشاريعه الفكرية الأخرى، بطبيعة الحال هذا ما يمكن أن أقول في هذا الجانب.

زكرياء أكضيض: المناخ الذي كان سائدا في مرحلة الإغلاق شكل نكسة للسوسيولوجيا لا على مستوى الإنتاج ولا على مستوى التكوين. لنعد إلى السوسيولوجيا المغايرة التي أراد عبد الكبير الخطيبي التأسيس لها، فإنها حاولت ما أمكن أن ترسم علاقة مع الإرث السوسيولوجي الاستعماري، وأنـت أشرت في البداية إلى هذه العلاقة، في نظرك كيف رسم الباحث عبد الكبير الخطيبي هذه العلاقة بين الأنـا (ذات الباحث المغربي) والآخر المختلف الذي أنتج ما يسمى بالسوسيولوجيا الاستعمارية؟

أظـن أن الخطيبي تعامل مع السوسيولوجيا الاستعمارية باعتبارها خطابا يسعى إلى أن يكون علميا، وكان مدركا أنه خطاب مغلف بالأيديولوجيا، كـان مدركا أيضا أن السوسيولوجيا الاستعمارية أو السوسيولوجيا بشكل عام لا تقترح أجوبة، وهي كما يقول عبد الفتاح الزين :»عنف أيديولوجي» مندرج ضمن صراع الطبقات الاجتماعية والمجموعات المحركة له»، فالخطيبي كما أشار إلى ذلك عبد الفتاح الزين كان يحترس من السوسيولوجيا الاستعمارية كإنتاج غربي، ولهذا فهو لا يقف عند النقد الابستمولوجي، بل هو يطعن في عقلانية السوسيولوجيا الاستعمارية، لهذا فكان الخطيبي يدعو إلى تأسيس سوسيولوجيا نقدية في خدمة الرأي العام لكي تتمكن السوسيولوجيا من ممارسة وظيفتها بعد تخليها عن التبعية الاستعمارية وعن الإيديولوجيا.

حياة الدرعي: أستاذي من خلال قربك واطلاعك على المشروع الفكري لعبد الكبير الخطيبي، ما هي في نظرك الإكراهات والعوائق التي حالت دون تقدم الحقل السوسيولوجـــي

المغربي كما رصدها عبد الكبير الخطيبي؟

كان الخطيبي يشير دائما في جميع مداخلاته وأيضا في بعض مقالاته، وفي بعض حواراته، بأن السوسيولوجيا تواجه صعوبات سياسية وأيديولوجية، وبالتالي يرى بأن السوسيولوجيا لا يجب أن تبقى محصورة في طابعها المحلي، هذه صعوبة أخرى، يجب عليها أن تنفتح على العالمية، ولكن بشرط أن لا تكون تابعة لها، ولتحقيق ذلك لا بد في نظر الخطيبي أن تتبنى هذه السوسيولوجيا سياسة نقدية أساسها التحليل المقارن، كما يؤكد على ذلك أيضا عبد الفتاح الزين، لابد كذلك من تحقيق القطيعة، وهذه صعوبة أخرى، القطيعة الابستمولوجية مع الغرب والاشتغال من أجل إنتاج ما يسميه الخطيبي بفكر مغاير، إذا فالخطيبي يلخص ذلك في عنصرين أساسيين، الصعوبات السياسية ثم الصعوبات الايدولوجية بما فيها التقاليد إلى غير ذلك، وأيضا كعنصر ثالث هي التبعية الغربية، التبعية للفكر الغربي، الذي هو مليء بمفاهيم إيديولوجية وغيرها.

زكرياء أكضيض : ما أشرت إليه الأستاذ مراد الخطيبي هي فعلا تحديات طرحها عبد الكبير الخطيبي ومازالت لحد الآن تؤرق ممارسة الباحثين، كيف يمكن الاستفادة من نظريات سوسيولوجية في فهم مجريات الواقع المغربي، وهي نظريات أنتجت خارج السياق المغربي ؟ هل يمكن تكييفها مع مجريات الواقع المغربي ؟ هل الأمر يتطلب إنتاج مفاهيم خاصة بالواقع المغربي ؟ فعلا أعتقد أنها تساؤلات ينبغي أن يطرحها كل باحث في علاقته بالظواهر الاجتماعية التي يدرسها. دعني أتوجه إليك بسؤال آخر يتعلق براهنية مشروع عبد الكبير الخطيبي. في نظرك، ما هي الأسئلة المجتمعية

أظن أن هنالك عدة مواضيع تناولها الخطيبي تكتسب راهنيتها اليوم، مثلا الازدواجية اللغوية، تحرير الجسد، الحريات الفردية، إضافة إلى إشارته إلى الوحدة المغاربية، ونحن نرى السياق الحالي الذي يتم بتجاذبات بين أشقاء تربطهم علاقات الدم والتاريخ والدين إلى غير ذلك، التسامح بين الأفراد

حوار العدد : المشروع الفكري السوسيولوجي عبد الكبير الخطيبي

والجماعات، حرية الاعتقاد، ونحن نرى كل يوم جماعات التنظيمات الإرهابية إلى غير ذلك، فوظيفة المثقف أن يكون المثقف يكون مؤسسا حسب الخطيبي، ونحن نشهد الآن تراجع مهول للمثقف العضوي. كان يرى الخطيبي أن المثقف ينبغي أن يكون مكونا وموجها للرأي العام، وأن يفتح إنتاجه الفكري على الخارج، وعلى المجتمع الواجب تغييره، وأن يقوم بممارسة قيم أساسية تتمثل في حرية الفكر في إطار مشروع البناء الحضاري، هذه باختصار بعض المواضيع التي أظن أنها لا زالت تكتسب راهنيتها، وبصفة خاصة مسألة ازدواجية اللغة ومسألة الحريات الفردية والجسد كمفتاح لتحرير الفرد والجماعات من التقاليد إلى غير ذلك.

حياة الدرعي : الدكتور عبد الكبير الخطيبي كان له أجناس أدبية أخرى يصرف من خلالها ميولاته الأدبية، فما مبررات انفتاحه على الأجناس الأدبية؟ هل يتعلق الأمر بهروب من احتباس للوضع السياسي في المغرب أم أن لديه أيضا ميولات عادية للمساهمة في حقول أدبية أخرى وإغنائها في المغرب ؟

بداية لا بد من الإشارة إلى أن الخطيبي كان يكتب الشعر باللغة العربية، وبالتالي كانت له موهبة أدبية منذ الطفولة، ولكن أظن في اعتقادي أن السياق السياسي أيضا جعل الخطيبي يبتعد قليلا عن تخصصه الأساسي، وهو التخصص السوسيولوجي، ولكنه وظف آليات علم الاجتماع والسيميائيات وغيرها في جميع الأجناس الأدبية التي تطرق إليها من شعر ومسرحية ورواية وغيرها، وبالتالي أتفق معك الأستاذة حياة بأن السياق السياسي بطريقة غير مباشرة دفع الخطيبي إلى مواصلة الكتابة أو مواصلة التواصل مع الموهبة الأدبية، وبالتالي من خلال الآليات التي استفاد فيها من علم الاجتماع ومن السيميائيات للتطرق لبعض الظواهر الاجتماعية، مثلا رواية ثلاثية الرباط التي حاول من خلالها أن يقوم بتفكيك المجتمع المغربي، واستند إلى مدينة الرباط كنموذج للبحث في بعض الظواهر الاجتماعية، مثل الرشوة والمحسوبية إلى غير ذلك، وأظن أنها كانت مواضيع تندرج في علم الاجتماع ولو أنها أعمال أدبية بالدرجة الأولى.

حياة الدرعي : بخصوص النشرات الخاصة التي صدرت عن دفاتر معهد السوسيولوجيا، هل هناك تفكير في إعادة إحيائها باعتبارها تشكل امتدادا للباحثين في محاولة معرفة ما وصلت إليه السوسولوجيا في بدايتها؟ وهل يمكن النظر إليها كإطار مرجعي للفعل السوسيولوجي المغربي؟

هناك هذه النشرات وهناك أيضا مكتبة الخطيبي وبعض مخطوطاته إلى غير ذلك، كما علمت السنة الماضية في إطار بعض أنشطة المعرض الدولي للكتاب من خلال زوجته بأن هناك مؤسسة باسم الخطيبي تضم زوجته وأبنائه بالإضافة إلى بعض الأساتذة، ستقوم بإعادة طبع كتبه، وأيضا محاولة البحث في هذه النشرات وتجميعها لتكون متاحة للباحثين وللشباب الذين يرغبون في تناول الإرث السوسيولوجي، ومشروع الخطيبي أيضا من خلال هذه النشرات. ■

دور البعد الأمني في تسريع المسلسل السياسي الأممي لحل النزاع حول الصحراء المغربية

عبد الله عشاش

باحث في الدراسات الدولية والدبلوماسية
جامعة محمد الخامس- الرباط

إذا كـان إيـقـاع التدبير القانوني والسياسي للنزاع حول الصحراء المغربية يتحمل أو يفترض نوعا من الـتروي في التدبير لكي يتم التوصل إلى تسوية دائمة و عملية فإن الوضع الأمني لا يبدو أنه يشجع على ذلك التروي و محاولة إرضاء جميع الأطراف على حساب أمن المنطقة و استقرارها.

لطالما نـادت مؤسسات و جهات عديدة بضرورة تجاوز التعثر الذي واجهه تدبير النزاع حول الصحراء المغربية طيلة عقود، وقد أدت إطالة أمد النزاع إلى تطور أبعاده و تفرع الخلافات الجانبية التي يثيرها، مما جعله يكاد يحيد عن جوهره الأسـاسي و طبيعته الأصيلة المتمثلة في كونه نزاعا إقليميا بين دولتين جارتين و معارضة لعملية استكمال المغرب لوحدته الترابية. لقد أصبح النزاع، أو أريد له أن يصبح، نزاعات حول قضايا خلافية جانبية عديدة قبل أن يفرض البعد الأمني نفسه ويصبح العنصر الأبرز مقاربة النزاع حول الصحراء المغربية و العامل الذي ساهم أكثر من غيره في مضاعفة الضغط على كل الأطـراف و على الأمم المتحدة من أجل الإسراع في البحث عن تسوية دائمة للنزاع عوض التأني الذي تفرضه الموازنات القانونية و السياسية بين الأطراف.

و سيتم على مستوى هذا البحث تناول البعد الأمني كعامل مستجد يتجاوز في أهميته المقاربتين القانونية و السياسية، الأولى ببعدها المعياري و تركيزها على ما يجب أن يكون طبقا لمبادئ العدالة و الإنصاف و الثانية ببعدها الموضوعي المؤسس على الواقع و الممارسة الدولية في تدبير النزاعات و التي تظل (أي المقاربة السياسية) أكثر انسجاما مع خلاصات التحليل الأمني للنزاع. و سيتم ذلك من خلال التطرق لإدراك الأمم المتحدة للبعد الإقليمي للنزاع في ظل التحولات الأمنية بالساحل و الصحراء (المطلب الأول) قبل تناول حتمية المقاربة السياسية لتسوية النزاع في ظل الأبعاد الأمنية الجديدة (المطلب الثاني).

البعد الأمـني للنزاع في ظل التحولات الأمنية بالساحل والصحراء

يستمد النزاع حول الصحراء المغربية بعده الإقليمي من كونه في الأساس خلافا بين دولتين جارتين تنتميان إلى نفس الإقليم و كونه ناتج عن تداخل مصالح أكثر من دولة من بينها الجزائر كطرف رئيسي اليوم في النزاع و ليبيا سابقا في السبعينيات من القرن العشرين، ثم تكرس بعده الإقليمي من خلال تداعياته التي تهم بشكل مباشر العلاقات بين دول المغرب الكبير بل و انعكاسه كذلك - أمنيا - على منطقة الساحل و الصحراء ككل. وسيتم خلال هذا المطلب التركيز على البعدين الإقليمي و الجيوسياسي للنزاع حول الصحراء المغربية (الفقرة الأولى) قبل تناول انعكاس الوضع الأمني بالساحل و الصحراء على النزاع (الفقرة الثانية).

1. البعدين الإقليمي و الجيوسياسي للنزاع حول الصحراء المغربية

إن كـان المتخصصون يـرون أنه من المهم أن يتحد القائد العسكري (الاستراتيجي) في التفكير مع رجل الدولة (السياسي)[1] مثلما جمع التعريف المشهور لكلوزوفيتش بين السياسة و الحرب عندما اعتبر أن هذه الأخيرة "استمرار للسياسة بوسائل أخرى"، إذا كان الأمر كذلك فمن الواضح أنه لابد للدراسات الدبلوماسية كذلك من الاستعانة بالجغرافيا السياسة ليكتمل تحليل الأوضاع و يتضح التقدير المناسب لتطور النزاعات و الخلافات بين الدول.

من بين الأسـس التي يقوم عليها التحليل الجيوبوليتيكي أنه، في دراسة النزاعات الدولية، يولي أولوية للإطار المكاني الذي يحتوي على مختلف القوى السياسية المتفاعلة والمتصارعة في النزاع[2]، و من ثمة كان من الـضروري أن يتم تسليط الضوء على المدى الجغرافي الذي

يؤثر عليه النزاع حول الصحراء المغربية و البعد الإقليمي لآثار استمراره و نتائج تسويته المنشودة. ذلك أنه لا يستقيم فهم النزاع حول الصحراء المغربية دون وضعه في سياقه الجيوسياسي الذي ينطلق من تحليل التأثيرات الجغرافية على موازين القوى في العلاقات بين الدول[3].

و من وجهة نظر جيوسياسية، يمكن اعتبار النزاع حول الصحراء المغربية "وضعية جيوبوليتيكية" بامتياز وفقا لتعريف "ايـف لاكـوسـت" للوضعية الجيوبوليتيكية[4]حيث يعتبرها متوفرة في حالة ما عندما تتحقق فيها عدد من العناصر من بينها:

1. وجود صراع في القوة بين فاعلَين أو أكثر على نطاق واسع؛

2. وجـود علاقات قـوّة بين دولتين بحيث يحاول الطرف (أ) الضغط على الطرف (ب) و يحاول (ب) الرد؛

3. يستهدف إقليما معينا. كما هو الشأن في حالة النزاع حول الصحراء المغربية.

كل دعوة للانفصال تساهم في بلقنة المغرب الكبير، وهو ما من شأنه تعقيد

الهوامش

1 - الأميرال بيير سيليريه، الجغرافية السياسية و الجغرافية الستراتيجية، ترجمة أحمد عبدالكريم، الأهالي للطباعة و النشر و التوزيع، الطبعة الأولى 1988، ص 10.

2 - تمت مراجعة الرابط بتاريخ 02/02/2020 على الساعة ،https://political-encyclopedia.org/dictionary/ :انظر الموسوعة السياسية، على الرابط التالي 18.30.

3 - Semra Ranâ Gökmen, geopolitics and the study of international relations, a thesis submitted to the graduate school of social sciences of middle east technical university (in partial fulfillment of the requirements for the degree of doctor of philosophy in the department of international relations), august 2010, p. 14.

4 - انظر الموسوعة السياسية، مرجع سابق.

مسلسل الوحدة العربية والمغاربية التي كان يطالب بها في كل وقت و حين[5].

و منه فالنزاع يستمد بعده الإقليمي من ارتباطه التاريخي و البنيوي بالجزائر، ويسهل فهم علاقة الجزائر بالنزاع أكثر إذا ما تم الاطلاع على تاريخ المواجهات و العداء الذي طبع العلاقة بينها و بين المغرب خلال فترة ما بعد الاستقلال، و بالتالي سيسهل فهم علاقتها الحالية بالمغرب و حقيقة لعبها الدول الأبرز في النزاع أكثر من البوليساريو.

وقد عرفت العلاقات الثنائية بين المغرب و الجزائر أبرز تعثر لها عندما نشب النزاع الحدودي بينهما بعد استقلال المغرب، و هي المشكلة التي تم تأجيلها في البداية إلى أن تحصل الجزائر على استقلالها سنة 1962 حتى لا تؤخذ على أنها طعنة للثورة الجزائرية، ليتم طرح المشكلة بعدها و تتسبب في مواجهات حادة بين البلدين الجارين بلغت حد المواجهة العسكرية سنة 1963 قبل أن يتم احتواء النزاع و يستمر الخلاف حول وضع الصحراء الشرقية عالقا لاسيما بعد اكتشاف الحديد بها.[6]

و اكتسى الخلاف بين البلدين طابعا دوليا عكس انقسام المجتمع الدولي خلال الحرب الباردة باصطفاف الجزائر الاشتراكية إلى جانب المعسكر الشرقي و دخل الطرفين في مواجهات عسكرية مجددا سنة 1967[7] أدت إلى سعي المغرب لطرح النزاع على أنظار منظمة الأمم المتحدة، و هو النزاع الذي غذته صعوبة استغلال الحديد المكتشف من دون نقله عبر الصحراء في اتجاه المحيط الأطلسي عبر الأراضي المغربية، فالكلفة الباهظة لنقله من تندوف إلى الساحل الشمالي للجزائر فرضت على البلدين دراسة إمكانية الاستغلال المشترك لمناجم الحديد في مقابل الاعـتراف المغربي بجزائرية منطقة تندوف، و هو النقاش الذي تمخضت عنه مفاوضات إفران في 15 يناير 1969 ثم مفاوضات 27 ماي 1970 و بعدها مفاوضات 15 يونيو 1972 التي قادت إلى توقيع معاهدة حول الحدود المغربية الجزائرية نصت على دعم الجزائر لمغربية الصحراء واعتراف المغرب بجزائرية تندوف و المشاركة في إنتاج و تسويق حديد تندوف [8].

وبعدها سستشهد المنطقة اشتداد المواجهة بين المغرب و الاستعمار الاسباني حول الصحراء و تغيُّر مجريات الأمور لصالح المغرب و هو ما سيعني إبعاد الجزائر عن لعب أي دور في المنطقة حيال النزاع و خروجها دون مكاسب مما جعلها تسعى لتوطيد علاقاتها مع إسبانيا بالموازاة مع دعمها للبوليساريو إلى جانب دعم ليبيا لهذه الأخير و هو ما رأت فيه الجزائر فرصة سانحة للحصول على مرور إلى للحصول على منفذ إلى المحيط الأطلسي إذا ما تحقق مشروعها الانفصالي جنوب المغرب[9].

يتضح مما سبق أن النزاع الحدودي بين المغرب و الجزائر شكل خلافا جديا بين البلدين، و هو الذي تمحور حول ادعـاء الجزائر أن حدودها يجب أن تبقى كما تركها الاستعمار، بينما يطالب المغرب بحدوده كما هي متعارف عليها قبل تدخل المستعمر[10]. إثر كل ذلك استمرت الجزائر في خلافها مع المغرب، ولاسيما وحدته الترابية من خلال عرقلة أي تسوية سياسية للنزاع الذي افتعلته حول الصحراء.

يفسر المفكر العربي الكبير عبدالله العروي ذلك العداء الدفين للجزائر تجاه المغرب بكونها عاشت أطول مدة خاضعة للهيمنة الخارجية حيث أنها عرفت مختلف أنواع طمس الشخصية و الميز و الاستغلال مما جعلها "قادرة على فرز رجال ينحازون دائما لجانب مصلحة الشعوب أكثر مما يعتبرون مصلحة دولة محددة الملامح تستجيب، فقط، وبمغالاة، للرغبات العميقة لأمة ما، (...) فالمسار الأكثر تلقائية للذي كان يخضع للسيطرة هو أن يصبح مسيطرا هو بدوره، إذن يصبح بالنسبة لنا أن نعي الآن هذا الأمر و أن نتصرف تبعا لذلك دون التياع أو أسى".[11]

مـن ثمـة فـعـداء الجزائر لجارها المغرب ظل ثابتا في سلوكها منذ استقلال البلدين فأنشأت و رعـت المـشروع الدعائي للجمهورية الانفصالية و مولت البوليساريو على جميع المستويات كما سخرت دبلوماسيتها للدعاية لها و أصبحت هي صوت البوليساريو في مختلف المحافل الدولية بالرغم من أنها لا تتوفر على أبسط المعايير المعروفة في القانون الدولي لتشكل دولة ذات سيادة، و بالرغم من ذلك فالجزائر لعبت دورا حاسما في حشد الـدول المتعاطفة أو المعترفة بالكيان الوهمي فجعلت من المواجهة بين المغرب و البوليساريو حلقة أساسية في استراتيجيتها العسكرية الموجهة ضد المغرب وجدت فيها لنفسها مبررا لتدخلاتها في الصحراء المغربية منذ إطلاق الحسن الثاني للمسيرة الخضراء سنة 1975. و دعمت الجزائر جماعة البوليساريو بأسلحة متقدمة مساهمة بكل ثقلها في الحرب ضد الوحدة الترابية للمغرب مستعملة أرباحها النفطية في دفع عدد من الـدول الإفريقية لدعم الموقف الانفصالي.[12]

إن كان الملاحظ الموضوعي لتحركات الدبلوماسية الجزائرية تجاه المغرب لا يحتاج إلى دليل على عدائها الاستراتيجي للمغرب فقد يكون من باب تاكيد المؤكد التذكير بأنها غير متسقة مع ذاتها عندما تدافع عن تقرير المصير بمعناه الانفصالي ضد المغرب و هي نفسها التي عارضته في حرب الفيتنام و كانت تستعمل في ذلك حجة أنه لا يمكن تقسيم الشعب الفيتنامي الشمالي عن الجنوبي، دون أن تتوانى في الدفاع عن تقسيم شمال المغرب عن جنوبه تطبيقا لمبدأ تقرير المصير الذي رفضته في حالات أخرى.[13]

إن وصف العداء الجزائري للمغرب بالاستراتيجي لا يرجع لكونه طويل الأمد فحسب و إنما لأن الجزائر تكاد تكون عاجزة هي نفسها عن تغيير موقفها و تعاطيها مع الملف رغم تغير الحكومات و الظروف الإقليمية و الدولية، و هو ما يعني أنه عداء عميق و دفين لطالما فشلت في التخلي عنه حتى عندما كانت لديها- أو أظهرت- رغبة في ذلك. وكلنا نذكر ماصرح به محمد بوضياف عندما كان رئيسا للمجلس الأعلى للدولة الجزائرية عندما قال: "يهمني أن أؤكد لكم هنا أن هناك إرادة في القمة الجزائرية لتسوية هذه المشكلة مع جميع صانعي القرار، و أجريتُ اتصالات و مشاورات واسعة مع كل الإخوان الذين لهم علاقة بالموضوع. و مع كافة الذين يملكون كلمة حول هذا الشأن، و بإمكاني أن أقول لكم بأنه أصبح لدينا اتفاق كامل على ضرورة الإسراع في حل هذه المشكلة التي تسمم علاقات المغرب و الجزائر، و تعرقل مسيرة السلام و الوئام بالشمال الإفريقي. قد لا تكون الأفكار العملية واضحة لدينا

الهوامش

5 - Antoni Segura I Mas (Université de Barcelone), la question du Sahara dans la dynamique géopolitique du Maghreb Confluences Méditerranée - N° 31 Automne 1999, p. 125

6 - مصطفى الخلفي، العلاقات المغربية الجزائرية و مشكلة الصحراء المغربية، مغربية الصحراء: مقالات، مرافعات و وثائق، إعداد عبدالصمد بلكبير، منشورات اتصالات سبو و ابن تاشفين، الطبعة الأولى نونبر 2018، ص 158.

7 - علي الشامي، الصحراء الغربية – عقدة التجزئة في المغرب العربي، دار الكلمة، بيروت، 1980، ص 223-222، نقلا عن مصطفى الخلفي، العلاقات المغربية الجزائرية و مشكلة الصحراء المغربية، مرجع سابق، ص 158.

8 - مصطفى الخلفي، العلاقات المغربية الجزائرية و مشكلة الصحراء المغربية، مرجع سابق، ص 158.

9 - Hodges, Tony Western Sahara-the Roots of Desert War Lawrence Hill and Company: Westport, Connecticut 1983, P162. نقلا عن مصطفى الخلفي، العلاقات المغربية الجزائرية و مشكلة الصحراء المغربية، مرجع سابق، ص 158 .

10 - تمثل معاهدة لالة مغنية التي وقعها المغرب مع فرنسا بتاريخ 18 مارس 1845 إطارا مرجعيا للحدود المغربية، و تم توقيعها بعد هزيمة المغرب في إيسلي بتاريخ 14 غشت 1844 بسبب دعمه لثورة الأمير عبدالقادر الجزائري، و تنص على استمرارية الحدود التي كانت مرسومة بين المغرب و تركيا لتضل معتمدة بين المغرب و الجزائر. انظر مصطفى الخلفي، العلاقات المغربية الجزائرية و مشكلة الصحراء المغربية، مرجع سابق، ص 157.

11 - عبدالله العروي، تأملات حول السياسة الخارجية للجزائر، مغربية الصحراء: مقالات، مرافعات و وثائق، إعداد عبدالصمد بلكبير، منشورات اتصالات سبو و (ابن تاشفين، الطبعة الأولى نونبر 2018، ص 164. (عن جريدة "المحرر" 24/04/1975

12 - مصطفى الخلفي، مغربية الصحراء... حقائق و أوهام حول النزاع، مغربية الصحراء: مقالات، مرافعات و وثائق، إعداد عبدالصمد بلكبير، منشورات اتصالات سبو و ابن تاشفين، الطبعة الأولى نونبر 2018، ص 39.

13 - انظر محمد لخصاصي، 4 مقاربات مترابطة لمقاربة نزاع الصحراء، جريدة الاتحاد الاشتراكي، 35 ماي 2016. نقلا عن مصطفى الخلفي، مغربية الصحراء... حقائق و أوهام حول النزاع، مرجع سابق، ص 39.

حتى الآن بما فيه الكفاية، لكننا متفقون في دوائر صنع القرار على ضرورة الحسم العاجل... ".[14]

لكن سواء في الماضي أو الحاضر، ما يهم المغرب هو أن خطاب الجزائر غير موجه للمغاربة لأنهم يعرفون التاريخ و الحقائق كما هي، لكن خطابها يبتغي إقناع من يقرأ في الصحف اليومية و هو ما يعتبر عبدالله العروي "استخفافا و استهزاء بالشعب المغربي" مؤكدا أنه لا دولة قريبة أو بعيدة يمكنها أن تستهزء بالمغرب أو بمصالحه[15]. لعل أقرب المنظمات الإقليمية إلى طرفي النزاع الرئيسيين هي منظمة اتحاد المغرب العربي التي تعتبر في الأساس منظمة اقتصادية وسياسية، لم يتبين أن لها تأثير ملحوظ على سياسة دولها الأعضاء الخمسة حتى بعد أزيد من ثلاثة عقود على تأسيسها، حيث ظلت معرقلة بسبب الخلافات القائمة بين الأعضاء وفي مقدمتها نزاع الصحراء المغربية و الأزمة الداخلية الليبية التي تطورت إلى نزاع مسلح يصعب التنبؤ بمستقبله هو الآخر. وتبين الدراسات أنه بسبب غياب التعاون و الاندماج الاقتصاديين اللازمين بين دول هذا التجمع المغاربي تخسر دول المغرب العربي سنويا حوالي 10 مليار دولار و 3 نقط على مستوى معدل نموها، علاوة على فقدان المنطقة للدور الذي يفترض أن تلعبه كقناة تعاون بين القارتين الإفريقية و الأوروبية. [16]و مستمرة في انقسامها، لا تكاد الدول المغاربية تتحدث بصوت واحد في المفاوضات الدولية ، لا سيما للدفاع عن مصالحها المشتركة في الحوار الأورومتوسطي ناهيك عن غياب أي تعاون وثيق بشأن القضايا الأمنية. [17]

هنالك من يرى [18] بأن التناقضات القائمة بين المغرب و الجزائر و الاستمرار في غلق الحدود بين البلدين يساهمان بشكل خاص في عرقلة عمل المنظمة، إضافة إلى الطبيعة الاستبدادية التي كانت تعرفها أنظمة سياسية معينة في المنطقة و التي لم تكن تبدو مهتمة بأي إصلاح لهذه لمنظمة المغرب العربي. بل إن هناك من يرى أن صعوبة تسوية النزاع حول الصحراء المغربية يرجع إلى عوامل ثلاثة، و كلها مرتبطة بشكل أو بآخر بالبعد الإقليمي و الجيوسياسي للنزاع، وهي كونه نزاع سيادة، و له ارتباط بالصراع حول الريادة بمنطقة المغرب العربي ثم لعمق ارتباطه بنزعات الحرب الباردة[19].

2 . انعكاس الوضع الأمني بالساحل و الصحراء على النزاع بشأن الصحراء المغربية

تشمل منطقة الساحل الإفريقي إثناعشر بلدا إفريقيا (سواء دولا كاملة أو أجزاء منها)، و هو منطقة استوائية شبه قاحلة،فيما تمتد الصحراء (أو الصحراء الكبرى) على الجزء الأكثر من شمال إفريقيا عابرة إحدى عشرة دولة. ويستمد موقع منطقة الساحل و الصحراء أهميته الخاصة من كونها محور ترابط و تفاعل بين كل من شمال إفريقيا و إفريقيا الاستوائية و بين إفريقيا والمشرق العربي وحوض البحر الأبيض المتوسط.[20]

و تزخر منطقة تجمع دول الساحل و الصحراء لوحدها بثروات وإمكانات مهمة حيث يتجاوز ناتجها الداخلي الإجمالي 1000 مليار دولار أمريكي، ويقدر عدد سكانها بحوالي 600 مليون نسمة كما أنها تتوفر على موارد طبيعية هائلة وفرص للتكامل وقدرات نمو واعدة. و كان التجمع قد شهد في سنة 2013 تحولاً من "تجمع لمكافحة التصحر والجفاف والتغيرات المناخية"، إلى مجموعة تركز على تشجيع التعاون والتنمية المستدامة وحفظ وتوطيد السلم والأمن والاستقرار، وتعزيز الحوار السياسي، ومكافحة الجريمة المنظَّمة العابرة للحدود و غيرها من القضايا ذات البعد الاستراتيجي و ذلك بهدف تكييف نشاط التجمع مع متطلبات التحديات التي باتت تواجهه اليوم أكثر من أي وقت مضى. [21]

بالنظر إلى مساحتها الشاسعة والعصية على المراقبة و التأمين فهناك عوامل عدة تُعمق الهشاشة الأمنية للمنطقة (الساحل و الصحراء) يمكن إجمالها في العناصر التالية : [22]

- شيوع أنشطة التهريب و الجريمة المنظمة؛

- الانتشار الواسع للأسلحة في المنطقة و الاتجار فيها؛

- تواتر أنشطة و تهديدات الجماعات الإرهابية بالمنطقة.

أصبح اليوم توفير الأمن و الاستقرار أحد أكبر التحديات التي تواجه دول منطقة الساحل و الصحراء، وفي هذا الإطار مافتئ المغرب يكرس جهوده من أجل بناء فضاء الساحل والصحراء، من خلال العلاقات الأخوية التي يقيمها مع كافة الدول الأعضاء، على أساس من التعاون والتضامن، واحترام سيادة الدول ووحدتها الترابية، كما أن المملكة المغربية، كما سبق لجلالة الملك محمد السادس أن أكد ذلك "انطلاقاً من ثوابتها وقناعاتها الراسخة، مستعدة لوضع تجربتها في مجال مكافحة الإرهاب والتطرف العنيف، رهن إشارة الدول الإفريقية الأعضاء في تجمع دول س -ص. وهي تجربة ترتكز على مقاربة ثلاثية الأبعاد، تجمع بين الجانب الأمني والمكون الديني ومحاربة الهشاشة والفقر. ولا سبيل إلى كسب هذه المعركة إلا بالتعاون الجاد و المسؤول بين كافة الفاعلين المعنيين". [23]

هناك من يعتبر[24] أن المواجهات المسلحة الخطيرة التي تعرفها ليبيا منذ فبراير 2011 إلى اليوم لابد أن تكون لها تداعيات كبيرة على مجموع الصحراء وليس فقط على ليبيا و ذلك مهما كان مآلها في المستقبل، سيما إذا تم انتشار المسلحين في أنحاء المنطقة بعد نهاية النزاع أو خلال نشوبه، و هذا ما يستدعي التعامل مع الصحراء في شموليتها من أجل فهم مسار تطور الأوضاع التي تبدو أنها تسير نحو التعقيد أكثر بشكل متزايد.

أكثر من ذلك، فتنظيم «الدولة الإسلامية في سوريا"، تبعا لديناميته في

الهوامش

محمد باهي، رئيس المجلس الاعلى للدولة الجزائرية في حديث خاص عن الصحراء المغربية (22/02/1992)، مغربية الصحراء: مقالات، مرافعات و وثائق، - 14 إعداد عبدالصمد بلكبير، منشورات اتصالات سبو و ابن تاشفين، الطبعة الأولى نونبر 2018، (عن كتاب محمد باهي رسالة باريس ج 1 ص 133، دار النشر المغربية، البيضاء 2016) ص 128.

15 - عبدالله العروي، حقوق المغرب في صحراءه بين مفهوم الحدود و منطق الجزائر المغالط، في مغربية الصحراء: مقالات، مرافعات و وثائق، إعداد عبدالصمد بلكبير، منشورات اتصالات سبو و ابن تاشفين، الطبعة الأولى نونبر 2018، عن المحرر الثقافي (3 غشت 1975)، ص 118.

16 - Ali Belhaj Zahi, le Maghreb arabe, d'une réalité de division vers un rêve d'union, in Rapport annuel sur la géopolitique de l'Afrique Sous la direction de Abdelhak Bassou, Policy Center for the New South 2019, p. 31.

17 - Sahara occidental : le coût du conflit, rapport Moyen-Orient/Afrique du nord n°65, (International Crisis Group) – 11 juin 2007, p. 19.

18 - Fathallah Oualalou, centralité de la méditerranée : la verticale Afrique-Europe dans le triangle Afrique-Europe-Amérique latine, in dialogues stratégiques l'Amérique Latine : crises et sorties de crises l'Union Africaine face à de nouveaux défi, HEC Paris & Policy Center for the New South, volume VI, avril 2019, p. 65.

19 - Antoni Segura I Mas, la question du Sahara dans la dynamique géopolitique du Maghreb Confluences Méditerranée - N° 31 Automne 1999, p. 120

20 - 18.20 سعد الدين العثماني، منطقة الساحل والصحراء.. التحديات والآفاق المستقبلية، تمت مراجعة الرابط بتاريخ 02/02/2020 على الساعة https://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2014/1/31/

21 - نص الرسالة التي وجهها الملك محمد السادس إلى القمة الاستثنائية لمجموعة دول الساحل والصحراء، المنعقدة في 13 أبريل 2019 بنجامينا.

22 - سعد الدين العثماني، منطقة الساحل والصحراء.. التحديات والآفاق المستقبلية، مرجع سابق.

23 - نص الرسالة التي وجهها الملك محمد السادس إلى القمة الاستثنائية لمجموعة دول الساحل والصحراء، مرجع سابق.

24 - Yves Lacoste, Sahara, perspectives et illusions géopolitique, in Hérodote, n° 142, La Découverte, 3ème trimestre 2011, p.12. Disponible sur : https://www.cairn.info/revue-herodote-2011-3-page-12.htm (consulté le 12/2/2020 à 23:00)

سوريا، شرع في إنشاء موطئ قدم له في ليبيا منذ أوائل عام 2013، وكما كان عليه الحال في سوريا، رفض خيار التعاون مع الجماعات السلفية الأخرى وحاول بدلاً من ذلك فرض أجندته وتنظيمه الخاص، فسعى إلى وقف تدفق المقاتلين الليبيين إلى سوريا و الاندماج مع بعض الميليشيات المحلية التي كانت متعاطفة مع أهدافها. ومنه فيمكن إجمال الأهداف الرئيسية للتنظيم بليبيا في ما يلي [25]:

- اعتبار ليبيا كإقليم جديد من أقاليم الخلافة؛

- توسيع نطاق أنشطة داعش لتشمل ليبيا و تخفف الضغط على سوريا والعراق قصد بلوغ الصحراء الإفريقية و ما هو أبعد منها؛

- السعي إلى استخدام ليبيا -نظرا لسهولة امتلاك الأسلحة بها- لتأجيج نزاعات أخرى في المناطق المجاورة.

و بالإضافة للتهديدات الإرهابية، عُرفت منطقة الصحراء الإفريقية كذلك بتهريب المخدرات و المتاجرة في تهريب المهاجرين من دول إفريقية عديدة نحو شمال إفريقيا من أجل المرور نحو أوروبا، لكن المنطقة تمثل كذلك أرضية خصبة لتهريب المخدرات القادمة إلى إفريقيا الغربية من أمريكا اللاتينية عبر البواخر أو الطائرات بغية نقلها إلى الدول المغاربية و أوروبا عبر الحافلات مرورا بالصحراء الغربية أو الوسطى [26] .

إن التداخل الكامن بين الأنشطة الإرهابية و انشطة تهريب المخدرات صعب عملية الفصل بين النشاطين لكنها في كل الأحوال تدل على هشاشة الوضع الأمني بمنطقة الساحل و الصحراء، وقد أظهرت عدد من الدراسات الارتباط المتزايد بين البوليساريو و تزايد الإرهاب بالساحل واستفادة أنشطة القاعدة من تواجد هذه الجماعة الانفصالية و هو ما يزرع مخاوف متعلقة بتحول البوليساريو نفسها إلى منظمة إرهابية، ويعد تورط عمر الصحراوي[27]و أعضاء آخرين من البوليساريو في عمليات اختطاف رهائن لصالح القاعدة مثالا واضحا في هذا الاتجاه[28].

فتنظيم القاعدة يعمل في منطقة الساحل على توسيع شراكاته مع المهربين من المخيمات وتجنيد عدد من الصحراويين المحبطين، كما سبق للقاعدة أن قامت بغزو صغير لقبائل العرب والطوارق في النيجر ومالي وموريتانيا و تمكنت من توسيع تحالفاتها مع عناصر من البوليساريو في معسكرات تندوف مما يشير إلى أن البوليساريو يمكن أن تتحول بالتدريج، إذا استمرت هذه العلاقة مع القاعدة في التطور، إلى منظمة إرهابية هي الأخرى. خصوصا و أن تلك المخيمات التي يسكنها الآلاف من المهجرين المحبطين و أعضاء شبكات التهريب تعتبر هدفا طبيعيا للأجنحة العسكرية والتهريبية للقاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، و لذلك لا يجب أن يشكل تزايد أعداد الصحراويين المحبطين المنضمين للجماعات المتشددة مفاجأة للمجتمع الدولي رغم أن مثل هذا التطور ينطوي على مخاطر هائلة على استقرار شمال إفريقيا ومنطقة الساحل، و من المعروف أن كلا من القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي و البوليساريو تتشاركان في عدد من الأهداف من بينها العداء للمغرب و الرغبة في المس باستقراره[29].

و في نفس السياق فقد سبق لتقارير الأمين العام للأمم المتحدة المقدمة إلى مجلس الأمن[30] أن أشارت إلى أن المنطقة الخاضعة لمراقبة بعثة المينورسو معرضة لتداعيات عدم الاستقرار الإقليمي، كما يقر الأمين العام للمنظمة بأن الوضع الأمني بالمنطقة يشكل تحديا للبعثة، وخصوصا شرقي الجدار الرملي. ويشير في تقاريره إلى عدد من الأنشطة الإجرامية و المتطرفة التي تُمارس في المناطق المتاخمة للإقليم و التي يصفها بالكبيرة، كما يشير "إلى أن الجماعات الإرهابية نشطة في عمليات تجنيد لتعزيز وجودها في المناطق المجاورة وتوسيع نطاق إمداداتها من الأسلحة وفي حين كثفت الجزائر وموريتانيا المجاورتان إلى حد كبير تدابيرهما الأمنية بالقرب من حدودهما، فقد ظلت جغرافية المنطقة دوما تشكل حائلا دون توفير الحماية الكاملة من العناصر المعادية"[31].

ولما كانت منطقة الساحل و الصحراء بهذا الوضع الأمني الخطير فلا يبدو أن تعقيد نزاع الصحراء أو انفجاره سيخدم المنطقة في شيء بل إن مجرد استمرار تواجد البوليساريو كجماعة انفصالية مسلحة محمية من قبل الدولة الجزائرية يشكل وضعية مولدة للخطر في أي لحظة، ولما كان الوضع كذلك فتجمع دول الساحل و الصحراء سيكون مطالبا بامتلاك استراتيجية واضحة توجه التعاون الإقليمي و تؤطره و تزيد من فعاليته. و في هذا الإطار سبق لملك المغرب، محمد السادس، أن اقترح في أحد رسائله الموجهة إلى القمة الاستثنائية لمجموعة دول الساحل والصحراء، (أبريل 2019) عددا من العناصر التي من شأن تنزيلها أن يجعل من التجمع أكثر نجاعة و فعالية هي كالتالي[32]:

- إعداد سياسة مشتركة حول أمن الحدود واعتماد خطة عمل تنفيذية؛

- التنزيل الفعلي لاستراتيجية مكافحة الإرهاب والتطرف العنيف ؛

- تعزيز فعالية وكفاءة الأجهزة التنفيذية للتجمع؛

- إرساء مختلف الهياكل المؤسساتية المنصوص عليها في المعاهدة المنقحة لتجمع دول س -ص، لاسيما المجلس الدائم للسلم والأمن، والمجلس الدائم المكلف بالتنمية المستدامة ؛

- إعداد استراتيجية للتنمية البشرية في فضاء الساحل والصحراء، وبرامج

الهوامش

25 - Azeem Ibrahim, Strategic Insights: ISIS in Libya: A Threat or a Dead-End? September 26, 2018, https://ssi.armywarcollege.edu/articles/articles-2018/isis-in-libya/, (consulted on2/2/ 2020 at 20:00)

26 - Yves Lacoste, Sahara, perspectives et illusions géopolitique, op. cit. p. 12.

27 - عمر الصحراوي (عمر ولد سيد أحمد ولد همة Omar Ould Sid'Ahmed Ould Hamma) عنصر سابق بجماعة البوليساريو و أحد واضعي هيكلتها، و سبق أن تورط في عملية اختطاف ثلاثة رهائن إسبان و رهينة فرنسي (29 نونبر 2009) في الشمال الغربي لموريتانيا و هي العملية التي تبناها تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي بقيادة "أميرها" مختار بلمختار. انظر :

Claude Moniquet, le front polisario et le développement du terrorisme au Sahel, op.cit, p. 1718-

28 - Claude Moniquet, le front polisario et le développement du terrorisme au Sahel, l'ESISC (European Strategic Intelligence and Security Center) Mai 2010, p. 20

29 - Claude Moniquet, front polisario : une force de déstabilisation régionale toujours active, l'ESISC (European Strategic Intelligence and Security Center), octobre 2008, p. 5-6.

30 - انظر على سبيل المثال تقرير الأمين العام (الفقرة 39) عن الحالة فيما يتعلق بالصحراء الغربية، صادر عن مجلس الأمن تحت رمز S/2014/258 بتاريخ 10 أبريل 2014.

31 - تقرير الأمين العام عن الحالة فيما يتعلق بالصحراء الغربية، المرجع السابق.

32 - نص الرسالة التي وجهها الملك محمد السادس إلى القمة الاستثنائية لمجموعة دول الساحل والصحراء، مرجع سابق.

لإدماج الشباب ؛

- تفعيل استراتيجية الأمن والتنمية لتجمع دول س -ص (2015-2050).

و من خلال كل ماسبق يتضح أن بروز التهديدات الإرهابية بالساحل و الصحراء و بشمال إفريقيا من ضمن العوامل التي تعطي للنزاع حول الصحراء المغربية، بكل نتائجه و تداعياته، بعدا خاصا و جديدا و يجعل منه تحديا أمنيا كبيرا[33] ومن شأن ذلك أن يجعل المجتمع الدولي يعي مسؤوليته في نقل وإعادة تصنيف مقاتلي البوليساريو السابقين من أجل منعهم من اللجوء إلى الإرهاب. هذا دون الحديث عن أهمية تحديد هوية المسؤولين عن الجرائم وعمليات الاختطاف المرتكبة باسم البوليساريو ومثولهم أمام المحاكم[34]،و عن أهمية استعجال إيجاد مخرج للتوتر العميق في العلاقات المغربية الجزائرية المعرقلة لأي تعاون إقليمي في المجال الأمني الذي يعتبر كذلك من بين أسباب تنامي الإرهاب في منطقة الساحل[35].

حتمية المقاربة السياسية لتسوية الـنزاع في ظل الأبعاد الأمنية الجديدة

بعد التطرق باختصار للبعدين الإقليمي و الجيوسياسي للنزاع حول الصحراء المغربية و مـدى انعكاس و ارتباط الوضع الأمني بالساحل و الصحراء بالنزاع ، سيكون من المهم دراسة إمكانية حدوث انعطاف هام في تدبير النزاع في ظل علاقة البوليساريو بالإرهاب (الفقرة الأولى) نظرا للأهمية المتزايدة للمقاربة الأمنية في التعامل الجدي و المستعجل مع النزاع أكثر من أي وقت مضى. و سيتم كذلك التطرق لاتجاه منظمة الأمم المتحدة نحو تجاوز إيقاع المقاربة القانونية المتأنية في ظل ذلك البعد الأمني الذي يفرض نفسه في النزاع.

1. احتمالات انعطاف النزاع في ظل علاقة البوليساريو بالإرهاب

تم التطرق أعلاه إلى ما يجعل النزاع حـول الصحراء المغربية ذي بعدين أساسيين، إقليمي و أمني، و إلى تداعياته التي تهم بشكل مباشر العلاقات بين دول المغرب الكبير و انعكاسها على منطقة الساحل و الصحراء. و إن كانت المنطقة عموما تعيش وضعا أمنيا خاصا فإن ما يجعل نزاع الصحراء يزيدها حساسية أكثر هو ارتباط البوليساريو بالأعمال الإرهابية و هو بدوره ما قد يساهم في تحقيق انعطافات في تدبير النزاع تجعل المتدخلين فيه يغيرون تقديرهم للأمور و يدفعون نحو تسوية عملية عاجلة للنزاع.

لقد عرف تطور الإرهـاب في شمال إفريقيا منعطفا كبيرا حينما قرر تنظيم "الجماعة السلفية للدعوة و القتال" الجزائري، الاندماج في مشروع الجهاد الشامل ليصبح "الـقـاعـدة بالمغرب

الإسلامي" (2007)، وقد ساهم هذا الالتحاق بتنظيم أسامة بن لادن في بروز عدد من العمليات الانتحارية الكبيرة بالجزائر شبيهة بتلك المرتكبة من طرف التنظيم بالعراق و أفغانستان. وهذا ما لم تعرفه الجزائر قبل ذلك التحول المشار إليه، ففي نفس العام (2007) كانت الجزائر قد عرفت حدوث ثلاث تفجيرات شبه متزامنة لسيارات مفخخة بالعاصمة الجزائرية أودت بحياة 30 شخص و جرح جراءها المئات (11 أبريل). ثم بتاريخ 11 يوليوز لقي 10 أشخاص حتفهم إثـر عملة انتحارية بحافلة مفخخة داخل تكنة في مدينة الأخضرية، ثم في يوم 11 دجنبر من نفس السنة وُجهت عمليات إرهابية انتحارية ضد تمثيلية الأمم المتحدة و مقر المحكمة العليا بالجزائر العاصمة راح ضحيتها 60 شخصا على الأقل من بينهم العديد من الأجانب[36].

و من بين المـؤشرات الواضحة على الترابط بين البوليساريو و التنظيمات و العمليات الإرهابية هناك ما أسفرت عنه التحريات حول الهجوم الذي قادته "الجماعة السلفية للدعوة والقتال" في 4 يونيو 2005 ضد ثكنة لقوات الأمن الموريتانية في لمغيطي Lamghiti و هي العملية التي قادها مختار بلمختار، المسؤول التنفيذي للجماعة المذكورة و شارك فيها أكثر من 100 عنصر لتسفر عن مقتل 15 شخصا و جرح 17. وقد أكدت التحريات مشاركة عناصر من البوليساريو في هـذا الهجوم تحت قيادة زعيم ينتمي لتنظيم القاعدة، فحتى اللغة التي كان يتواصل بها عدد من الإرهابيين حينها، حسب الشهود، كانت هي الحسانية المستعملة من قبل البوليساريو و موريتانيا[37]. و إذا كان عدد عناصر البوليساريو الذين التحقوا بتنظيم القاعدة إلى حدود سنة 2010 يبلغ 265 فـرد[38] فلنا أن نتوقع حجم الخطورة الـذي يمكن أن يكون عليه الوضع اليوم بعد عشرة سنوات من ذلك التاريخ في ضل التطورات التي عرفتها حالة الأمن بالمنطقة إثر الأزمة الليبية و غيرها.

و تعود إحدى الحجج الواضحة على ضلوع عناصر البوليساريو في العمليات الإرهـابيـة إلى دجنبر 2003 عندما اعتقلت أجهزة الأمن الموريتانية المدعو بابا ولد محمد باخيليBaba Ould Mohammed Bakhili ،أحد زعماء البوليساريو، رفقة العديد من مساعديه المتعاطفين مع حركه استقلال الصحراويين، لضلوعهم في سرقه المتفجرات من مقرات الشركة الوطنية الموريتانية للتعدين بل يمكن الرجوع بتلك المؤشرات إلى سنة 1994 عندما تم العثور على الأسلحة التي زودت بها الجزائر البوليساريو عند عناصر "الجماعة الإسلامية المسلحة" و لم يتم الكشف أو الإعلان عن الطريقة التي وصلت بها تلك الأسلحة إلى هذه الجماعة و ما إذا كانت قد وصلتها عن طريق تزويد مقصود أو تهريب من قبل عناصر البوليساريو.

و مما يعطي بعدا أكثر خطورة و جدية لارتباط البوليساريو بالجماعات الإرهابية أن تلك العلاقة لا تقتصر على العناصر العسكرية للبوليساريو فقط

الهوامش

33 - Claude MONIQUET, le front polisario et le développement du terrorisme au Sahel, op.cit, p. 3

34 - Le front polisario, partenaire crédible de négociations ou séquelle de la guerre froide et obstacle à une solution politique au Sahara occidental ? ESISC, sous la direction de Claude MONIQUET, Novembre 2005, p. 4

35 - Claude MONIQUET, le front polisario et le développement du terrorisme au Sahelop.cit, p. 21

36 - نفس المرجع، ص 14.

37 - Claude Moniquet, le front polisario et le développement du terrorisme au Sahel, op.cit, p. 16

38 - L'organisation d'al-Qaïda recrute des Sahraouis dans les camps de Tindouf, Al-ahdath Almaghribia, numéro 3468, 6 août 2008. cité par Claude Moniquet, le front polisario et le développement du terrorisme au Sahel, op. cit, p. 17.

و إنما يهم كذلك عناصر من قيادتها، و تكمن خطورة هذا الأمر في قدرة هؤلاء على إعطاء المثل لبقية عناصر الجماعة و التأثير عليهم[39]وحتى جذبهم إلى التنظيمات الإرهابية التي يلتحقون بها. و في هذا السياق سبق لزعيم البوليساريو السابق محمد عبدالعزيز أن قال إن البوليساريو لا تعيش في جزيرة معزولة و أن "كل شيء يؤثر على إفريقيا والعالم العربي والمغرب الكبير بمسنا، قد يكون من الممكن أن تؤثر الانتظارات و خيبات الأمل والأفكار الرائجة في المغرب الكبير على الشباب إلى حد ما، و قد يكون هناك شباب صحراويون مهتمون بالإسلام الراديكالي"[40].

وسبق لمنشور صادر عن "معهد الدفاع لحلف الشمال الأطلسي" أن أشار إلى أن "مخيمات اللاجئين الصحراويين للبوليساريو في جنوب غرب الجزائر، جنوب ليبيا أو شمال مالي تمثل مناطق عبور لتهريب الأسلحه بالنظر لموقعها الاستراتيجي، فمدينه تندوف هي نقطه العبور المثالية بين الساحل الشرقي والساحل الغربي.[41]

قد تكون العلاقة بين القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي وعناصر من جبهة البوليساريو غير قائمة على أساس إيديولوجي أو غير شاملة ولكنها موجودة، و هذا في حد ذاته يشكل تهديدا أمنيا رئيسيا لمنطقتي المغرب الكبير والساحل. و لطالما اتضح أن الإحباط العام في صفوف عناصر البوليساريو الذي يؤدي إلى انخراطهم في أعمال إجرام قد يقودهم أيضا إلى التشدد والإرهاب، خصوصا و أن المنظمات الإرهابية المتمرسة مثل القاعدة، كما أكد ذلك "مايكل براون" Michael Braun، المدير السابق للوكالة الأمريكية لمكافحه المخدرات، "تُعد خبيرة في كشف الأشخاص الذين يُظهرون علامات الضعف" و القابلية للانجذاب للمنظمات الإرهابية و أن "معسكرات تندوف تمثل منجم ذهب محتمل للمجندين في الجماعات الإرهابية مثل القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي".[42] و إذا أضفنا إلى وجود البوليساريو انتشار كميات كبيرة من الأسلحة الليبية السائبة بالمنطقة فإن احتمال زعزعه الاستقرار يصبح أكثر جدية من أي وقت آخر.[43]

و في هذا السياق سيكون من السهل أن يترشح الوضع إلى اضطرابات أمنية أكثر، خصوصا في ظل الارتباط المتزايد للبوسياريو بالجماعات الإرهابية نظرا لكون الشباب في مخيمات تندوف باتوا يعيشون خيبة أمل كبيرة في ضل فشل الأجندة القومية التي بيعت لهم طيلة سنوات و وقوفهم على خداع مسيري البوليساريو، فكل ذلك يدفع منطقة الصحراء لتصبح أكثر اندماجًا في الشبكات الإجرامية والإرهابية التي تهدد شمال إفريقيا والساحل و التي تقلق أيضا دولا أخرى مثل الولايات المتحدة و عددا من الدول الأوروبية بالنظر لتقويض النزاع للتعاون الأمني الإقليمي و إشاعته للعداء و الحذر بين دول الإقليم[44].

وحسب السيد مصطفى بوه Mustapha Bouh العضو السابق في "المكتب السياسي" للبوليساريو فالروابط بين أعضاء هذه الأخيرة و التيارات الإسلاموية المتطرفة ترجع إلى الثمانينات من القرن العشرين حيث صرح بأن " كل شيء بدأ في نهاية الثمانينيات حين التقى طلاب من مخيمات تندوف والموجودين في جامعات الجزائر العاصمة أو مدن أخرى في الشمال بأعضاء من الجبهة الإسلامية للإنقاذ (The Islamic Salvation Front) هناك، الذين كانت لهم الريادة في الكليات آنذاك، ليتم تغذيتهم بإيديولوجية الجبهة المذكورة" . إن ما تمت الإشارة إليه يؤكد بأن تطور السياق الجيوسياسي ونهاية الحرب الباردة كانا قد عززا انتشار التوجهات الدينية الراديكالية داخل ميليشيات البوليساريو على حساب التوجهات الماركسية كما يؤكد ذلك، الأكاديمي الفرنسي "أيمريك شوبراد" Aymeric Chauprade باعتباره أن هذا التحول الأيديولوجي في الحركة يرجع لـ "وصول جيل جديد من النشطاء المشبعين بالأصولية إثر تكوينهم بالجامعات الجزائرية ".[45]

وقد بينت الوقائع أن لجوء عناصر البوليساريو إلى الأعمال الإجرامية و الإرهابية يكون في حالات عديدة بدافع البحث عن دخل إضافي كما هو الحال بالنسبة للمرتزقة الذين يسعون إلى تقديم تجربتهم التي راكموها في الماضي، مقابل مبالغ مالية، للجماعات الإرهابية التي تحتاجها، وفي هذا مؤشر على اتجاه البوليساريو نحو الانحلال و التآكل من الداخل. و في هذا السياق، سبق لحمتي الرباني Hametti Rabani الذي كان يشغل مهمة ما يسمى وزير العدل والعبادات في الجمهورية المزعومة بأن صرح بأن: "البوليساريو في وضعية فشل و أن معظم قدماء المحاربين قد غادروا و تحولوا إلى ممارسة الأعمال التجارية في موريتانيا بما فيهم العديد من الزعماء التاريخيين. (...) و قد وصلت الحركة إلى الطريق المسدود. و إلى جانب الدوافع المالية، هناك من يعتبر بأن واحدا من الدوافع الرئيسية لالتحاق عناصر البوليساريو بتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي أو غيرها من التنظيمات المسلحة هو استهداف مصالح المغرب بطرق أخرى و هم الذين ترعرعوا داخل المخيمات على الشناءة والكره للمغرب منذ نعومة أظافرهم، وقد سبق للأجهزة الأمنية المغربية أن كشفت و اعتقلت خلايا إرهابية في مدن الجهات الجنوبية مثل العيون و بوجدور حيث كانت تحضر لأعمال إرهابية جنوب المغرب.[46]

و يعتبر العديد من المتخصصين بأن النزاع حول الصحراء المغربية يضاعف من انعدام الأمن الذي لا يمثل إلا عاملا واحدا من بين عوامل اضطراب أخرى، فأنشطة جماعة البوليساريو الانفصالية المدعومة من طرف جهات أخرى تشكل واحدة من أهم مصادر عدم الاستقرار في منطقة المغرب العربي و الساحل وهناك معلومات متطابقة تؤكد أن البوليساريو ليست فقط متورطة مع عصابات التهريب بل أن عناصر منها مرتبطين بجماعات إرهابية من القاعدة في المغرب الإسلامي و داعش و غيرهما. [47]

كل ذلك يضاف لتورط البوليساريو في عمليات الهجرة السرية بالمنطقة التي أدانتها تقارير عديدة للأمم المتحدة كما هناك اعتقالات عديدة لعناصر البوليساريو المتورطين في عملية تهريب السلاح و البنزين و السجائر و غيرها من المواد[48].

وقد استخدمت شبكات التهريب الصحراوية التابعة للبوليساريو نفوذها في شمال موريتانيا (خاصة في منطقتي أدرار وتيريس زمور، المتاخمتين للصحراء) لتوسيع تهريبهم غير المشروع وجعل المنطقة مركزًا رئيسيًا للسجائر والمخدرات والأسلحة والوقود و الاتجار

الهوامش

39 - Claude MONIQUET, le front polisario et le développement du terrorisme au Sahel, op.cit, P. 16-12-19

40 - Ibid, p. 4

41 - Laurence Ammour, « Evaluation des risques liés à la criminalité dans l'arc sahélien », NATO Research Paper N°53, Collège de Défense de l'OTAN, novembre 2009. http://www.scribd.com/doc/24077787/RP-NDC-Criminalite-Sahel novembre09, cité par Claude Moniquet, le front polisario et le développement du terrorisme au Sahel, op.cit, p.11.

42 - Claude MONIQUET, le front polisario et le développement du terrorisme au Sahel, l'ESISC, Mai 2010, P14, cité par : « Tindouf risque de devenir une pépinière de terroristes selon un expert américain », Aujourd'hui Le Maroc, 18 février 2010. http://www.aujourdhui.ma/couverture-details74196.html

43 - Anouar Boukhars, simmering discontent in the western Sahara, the Carnegie Papers - Middle East (Carnegie endowment for international peace) Washington, D.C. March 2012, P6

44 - Anouar Boukhars, simmering discontent in the western Sahara, op.cit, PP 3-4.

45 - Claude MONIQUET, le front polisario et le développement du terrorisme au Sahel, l'ESISC (European Strategic Intelligence and Security Center) Mai 2010, p. 12.

46 - Ibid, p. 18-8-19.

47 - Sahara Marocain, le dossier d'un conflit artificiel, Sous la direction de Charles Saint-Prot, Jean-Yves de Cara et Christophe Boutin, éditions Marsam, 2016, p. 42.

48 - Claude MONIQUET, le front polisario et le développement du terrorisme au Sahel, op. cit, P11

بالبشر، فبات واضحا أنه لولا تواجد البوليساريو بالمنطقة لما كان الوضع بهذه الخطورة، وهي التي استفادت من القرابة العرقية التي تربط الصحراويين في شمال موريتانيا بهؤلاء الموجودين في معسكراتها بتندوف و كذلك من بتواطؤ من الجيش الجزائري، لكن الخطير اليوم هو أن انتشار هذه الأنشطة غير المشروعة يحدث في سياق تواجد و توسع تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي و الارتباط المتزايد بين الشبكات الإجرامية المنظمة و مسؤولين نظاميين و تصاعد الصراعين الاجتماعي والعرقي. فالمزج بين هذه التطورات قد يؤدي لا محالة إلى زعزعة الاستقرار بشكل خطير، ليس فقط بالنسبة للدول الهشة في المنطقة، ولكن أيضًا بالنسبة للجزائر والمغرب[49].

تلازما مع كل ما سبق، لن يكون من المفاجئ توقع انحراف النزاع حول الصحراء المغربية إلى اتجاهات أخرى من حيث أساليب تدبيره أو إيقاع التعامل الأممي معه، بحيث أنه كلما تأكد ارتباط البوليساريو بـالإرهـاب سيكون ذلك مدعاة لمزيد من الضغط الدولي لسد هذه الثغرة الأمنية التي تمثلها الجماعة، ولا ينبغي في كل الأحوال السماح بوجود جماعة تمثل عاملا مُسهلا لتوليد و تشجيع الإرهاب و تيسير عمل المنظمات الإرهابية بالمنطقة بل و تصدر إرهابيين تكونوا داخل المخيمات كما هو الحال بالنسبة لعدنان أبو الوليد الصحراوي الذي ترعرع داخل شبيبة البوليساريو قبل أن يصير قائدا هاما بداعش كما تمت الإشارة إلى ذلك سابقا.

إن السماح لجماعة مثل البوليساريو بالتواجد على تراب دولة مستقلة مثل الجزائر من أجل ضرب مصالح دولة أخرى و التشويش على المنطقة ككل يلقي بمسؤولية دولية خاصة على عاتق الأمم المتحدة إذا لم تساعد على تجاوز الوضع قبل انفجاره و دق ناقوس الخطر لتفكيك البوليساريو و دعم الوحدة الترابية لدول المنطقة كأساس لاستتباب الاستقرار و الأمن بمنطقة لا تحتاج إلى مزيد من التمزيق و الفوضى.

2. أهمية الحل السياسي في ظل البعد الأمـني للنزاع حول الصحراء المغربية

مافتئت منظمة الأمـم المتحدة في قراراتها و تقاريرها حول نزاع الصحراء المغربية خلال السنوات الأخيرة، تشير للبعد الأمني و عنصر الاستقرار بمنطقة الساحل، و قد دأبت على الاعتراف بأن "التوصل إلى حل سياسي لهذا النزاع الذي طال أمده وتعزيز التعاون بين الدول الأعضاء في اتحاد المغرب العربي من شأنهما أن يسهما في تحقيق الاستقرار والأمن، وهو ما يؤدي بدوره إلى إيجاد فرص العمل، وتحقيق النمو، وإتاحة الفرص لجميع الشعوب في منطقة الساحل."[50]

وعندما تقول الأمـم المتحدة بأن التوصل إلى حل سياسي لنزاع الصحراء من شأنه أن يسهم في تحقيق الاستقرار والأمن في منطقة الساحل[51] فمعنى ذلك أن لديها كل الدوافع و المؤشرات على صحة هذا الترابط بين الموضوعين، وهي التي تعي جيدا حجم الخطورة المتزايد بمنطقة الساحل و الصحراء و تعي في نفس الوقت خطورة استمرار النزاع حول الصحراء و استمرار وجود مجموعة البوليساريو بالمنطقة.

و تؤكد تقارير الأمم المتحدة بأن منطقة غرب إفريقيا "شهدت زيادة ملفتة للأنظار في عمليات التجنيد لصالح تنظيم الدولة الإسلامية و تنظيم القاعدة و أعمال العنف التي يرتكبها أتباعهما" وبات من المعروف أن الحدود الوطنية في المنطقة مليئة بالثغرات و أن السلطات الوطنية غير مهيئة بما يكفي للتصدي للتهديد[52]، خصوصا و أن دول المنطقة لا تسير في نفس الاتجاه بل تتبنى أجندات إقليمية متضاربة و في مقابل إيمان المغرب بـضرورة إيجاد تعاون شمولي يدمج جميع الأطـراف، هناك مقاربة إقصائية لدى الجزائر في هذا الإطار تقوِض التعاون و تضاعف من الضعف الذي تشكله "الحدود الرخوة" بين الدول في المنطقة[53].

وحسب تقارير الأمين العام للأمم المتحدة المقدمة لمجلس الأمن[54] فإن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق و الشام (تنظيم الدولة الإسلامية المعروف كذلك باسم داعش) يواصل نشاطه في المناطق الصحراوية الشاسعة في ليبيا (جنوب سرت، معقله السابق) متوسعا نحو الجنوب و مستمرا في تشغيل خلايا أصغر من المناطق الساحلية في وسط وغرب ليبيا. وتشير تقارير الأمم المتحدة إلى عدد من الهجومات التي يقودها التنظيم بالمنطقة. و من الطبيعي أن يؤثر انعدام الاستقرار ببلد معين بالمنطقة على باقي الدول المجاورة مثلما تؤكد الأمم المتحدة بأن الحالة السياسية و الأمنية في منطقة الساحل و في ليبيا تنعكس سلبا على مـالي و البلدان المـجـاورة، "ولاسيما بوركينافاسو و النيجر وبشكل متزايد أيضا على الدول الإفريقية المطلة على خليج غينيا" بالإضافة إلى تسجيل "بلاغات عن وجود خلايا متطرفة عنيفة و تهديدات أو هجمات في التوغو و البنين و كوت دبيفوار و غانا" . [55]

أصبح الـوضـع الأمـنـي بالساحل ككل يتفاقم بفعل تزايد انعدام الأمن والغارات و عمليات الاختطاف التي ترتكبها الجماعات الإرهابية بالإضافة إلى أعمال اللصوصية و انتشار العنف القبلي، وكلها عوامل توفر نوعا من الـفـوضى التي تحتاجها التنظيمات الإرهابية و الجماعات المسلحة لتواصل شن الغارات على الأهداف العسكرية و الهياكل المدنية في عدد من دول المنطقة (خصوصا بوركينافاسو و مالي و النيجر و نيجيريا).[56] ففي مالي على سبيل المثال ظلت الحالة الأمنية معقدة في منطقتي شمال و وسط البلاد خلال سنة 2019 ، مع استمرت الهجمات التي تشنها الجماعات الإرهابية المستهدفة لقوات الدفاع و الأمن الوطنية و القوات الدولية باستخدام أجهزة متفجرة يديوية الصنع و صواريخ و قذائف الهاون و نيران الأسلحة الصغيرة[57].

و لعل ما يزيد من خطورة الوضع، حسب الأمم المتحدة، أن خسارة تنظيم الدولة الإسلامية لـلأراضي التي كان يسيطر عليها في الجمهورية العربية السورية و الـعـراق، وحالة الضعف التي يعاني منها فرعه في الصومال، "قد أعطتا زخما لجماعة التوحيد و الجهاد، و هـي جماعة نشأت في جمهورية الكونغو الديمقراطية في تشرين الثاني/ نونبر 2018 و رفعت راية تنظيم الدولة الإسلامية وبايعت البغدادي في قاعدتها في بلدة المدينة الواقعة بمنطقة "بيني"، في مقاطعة "كيفو" الشمالية، و رغم أن النواة الأساسية لتنظيم الدولة الإسلامية لم تقبل بعدُ رسميا بيعة هذه الجماعة فإنها تواصل محاولة الاتصال بالتنظيم و تعزيز صفوفها عن طريق اجتذاب

الهوامش

49 - Anouar Boukhars, simmering discontent in the western Sahara, op.cit, p. 7.

50 - قرار مجلس الأمن رقم 2494 المؤرخ في 30 أكتوبر 2019.

51 - قرار مجلس الأمن رقم 2351 المؤرخ في 28 أبريل 2017.

52 - الفقرة 19 من تقرير الأمين العام للأمم المتحدة (التقرير التاسع للأمين العام عن التهديد الذي يشكله تنظيم الدولة الإسلامية في العراق و الشام (داعش) للسلام و الأمن الدوليين و نطاق الجهود التي تبذلها الأمم المتحدة دعما للدول الأعضاء في مكافحة هذا التهديد) صادر عن مجلس الأمن بتاريخ 31 يوليوز 2019، تحت رمز S/2019/612.

53 - محمد بنحمو، تصريح ضمن برنامج ضيف اليوم على قناة Medi1، حول التهديدات والوضع الأمني بمنطقة الساحل والصحراء؛ متوفر على الرابط التالي (تمت مراجعته بتاريخ 10 نونبر 2019، على الساعة 18:10): https://www.youtube.com/watch?v=ISlPkHAclbE

54 - انظر على سبيل المثال تقرير الأمين العام للأمم المتحدة (بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا) رقم S/2019/19 بتاريخ 7 يناير 2019.

55 - تقرير الأمين العام للأمم المتحدة حول الحالة في مالي المقدم إلى مجلس الأمن بتاريخ 1 أكتوبر 2019 تحت رمز S/2019/782.

56 - تقرير الأمين العام للأمم المتحدة (أنشطة مكتب الأمم المتحدة لغرب إفريقيا و منطقة الساحل) صادر عن مجلس الأمن بتاريخ 5 يوليوز 2019 تحت رمز S/2019/549.

57 - تقرير الأمين العام للأمم المتحدة حول الحالة في مالي المقدم إلى مجلس الأمن بتاريخ 1 أكتوبر 2019 تحت رمز S/2019/782.

المقاتلين الإرهابيين الأجانب الساعين إلى الانتقال لمكان آخر[58].

إنـه في ضل تلك الأوضـاع الأمنية المضطربة و في خضم النقاشات حول النشاط الإجرامي المنظم في الساحل و بروز القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي تكاد تجمع استراتيجيات الدفاع الغربية و الجهوية على أن هناك حاجة ماسة إلى بذل جهود عاجلة لمعالجة النزاع المتجمد حول الصحراء خصوصا بالنظر لتوفير النزاع لبيئة مشجعة لتولد العنف و التهريب و شتى الأعـمال المهددة للاستقرار [59].

بل إن الأمم المتحدة نفسها سبق أن أكدت أن المنطقة ليست في مأمن من تداعيات عدم الاستقرار الإقليمي مشيرة إلى أنه منذ أوائل عام 2012 زاد القلق بشأن الأمن والسلامة نظرا لقيام عناصر مرتبطة بتنظيم القاعدة بالاستيلاء على شمال مالي[60].

و أكدت المنظمة الأممية في ذات التقرير بأن الطبيعة الجغرافية للمنطقة تجعل من الصعب دائما تشديد الرقابة على الحدود ومنع التسلل خصوصا بالنظر لحجم موريتانيا المجاورة وما تعرضت له من صعوبات و"انكشافها على المخاطر من احتمالات الاختراق من قبل عناصر معادية قد تنفذ هجماتها في العمق في الجانب الشرقي من الجدار الرملي". وفي نفس السياق كان المغرب قد أبلغ الأمم المتحدة عن قلقه إزاء تدهور الأمن في المنطقة والحاجة إلى إعادة تقييم الاتفاق العسكري رقم1 في ضوء ذلك[61].

و بإسقاط المعطيات السابقة على ملف الصحراء تحديدا، يمكن أن نفهم أكثر تأكيد الأمم المتحدة، على لسان كريستوفر روس، المبعوث الشخصي السابق لأمينها العام إلى الصحراء، على "خطورة الوضع الناتج عن المأزق الذي بلغه النزاع، ودعوته كل الأطـراف إلى التعامل مع القضية بجدية". و قد سبق لـ "روس" أن أكد أن "تطور الأوضاع في منطقة الساحل يجعل من حل نزاع الصحراء الغربية أمرا عاجلا (...) ذلك أن الاكتفاء بالوضع الحالي يشكل خطأ كبيرا و تواصل الانسداد الحالي سيؤدي إلى تضاعف حالة اليأس، مما سيفرز عنفا جديدا قد تكون له آثار مأساوية على المنطقة ككل"[62].

إن تخوفات المبعوث الشخصي السابق (الأمريكي) كريستوفر روس يمكن فهمها على أنها تعكس تخوفات أمريكية كذلك حيث أن الـولايـات المتحدة الأمريكية متوجسة مـن كـون عدم الإسراع بتسوية النزاع حول الصحراء المغربية قد يقود إلى ظهور تنظيمات إسلامية جهادية في الصحراء مثلما حدث في بلدان الساحل. وفي هذا السياق لا يمكن استبعاد إمكانية إقامة تعاون بين تنظيمات مسلحة في تلك المساحات الشاسعة من الصحراء، خصوصا و أن هناك حالات مشابهة لأشخاص تحولوا من المطالبة بحقوق جماعة معينة إلى زعماء تنظيمات إرهابية كما هو الحال بالنسبة لزعيم تنظيم أنصار الدين (إياد غالي) الذي كان في بداية الأمر يطالب بحقوق الطوارق قبل أن يتحول بالتدريج نحو تنظيم حليف لتنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي[63].

خاتمة:

تلازما مع كل المعطيات السابقة فإنه سيكون من السديد النظر إلى قضية الصحراء المغربية، إن لم تتم تسويتها، كعنصر انفجار سيؤثر سلبا على المغرب الكبير بأكمله و على جميع بلدان الساحل، مع ما يترتب على ذلك من آثار جانبية في جميع أنحاء جنوب أوروبا، ومن ثمة فمن المستعجل أن يتحمل المجتمع الـدولي مسؤوليته في تسوية النزاع و أخذه على محمل الجد و استثمار المقترح المغربي للحكم الذاتي الذي من شأنه أن يكون بمثابة صمام أمان يدعم استقرار دول المنطقة و يجنبـها فتح ثغرة أمنية جديدة في منطقة هي أحوج ما تكون إلى الاستقرار.

و كل ذلـك يؤكد أن بـروز البعد الأمني كعامل مستجد سيصبح العنصر الأهم في مقاربة النزاع و تسويته من خـلال الضغط على كل الأطـراف و على منظمة الأمم المتحدة للبحث على تسوية دائمة للنزاع تتوفر فيها العناصر التي يطالب بها مجلس الأمن (أن يكون أن يكون حلا سياسيا ، عادلا، عمليا و متوافق عليه) و تأخذ في عين الاعتبار أهمية استقرار الـدول و تلك الأبعاد الأمنية المتزايدة بالمنطقة اليوم أكثر من أي وقت مضى. ■

الهوامش

58 - تقرير الأمين العام للأمم المتحدة (التقرير التاسع للأمين العام عن التهديد الذي يشكله تنظيم الدولة الإسلامية في العراق و الشام (داعش) للسلام و الأمن الدوليين و نطاق الجهود التي تبذلها الأمم المتحدة دعما للدول الأعضاء في مكافحة هذا التهديد) صادر عن مجلس الأمن بتاريخ 31 يوليوز 2019، تحت رمز S/2019/612.

59 - Anouar Boukhars, simmering discontent in the western Sahara, op.cit, p. 3.

60 - تقرير الأمين العام عن الحالة فيما يتعلق بالصحراء الغربية، معتمد من قبل مجلس الأمن تحت رمز S/2013/220 بتاريخ 8 أبريل 2013.

61 - تقرير الأمين العام عن الحالة فيما يتعلق بالصحراء الغربية، معتمد من قبل مجلس الأمن تحت رمز S/2013/220 بتاريخ 8 أبريل 2013.

62 - عابد شارف، أزمة الصحراء الغربية: حلول غائبة و سياق أمني إقليمي متغير، مركز الجزيرة للدراسات (تقارير)، 18 أبريل 2013، ص 3.

63 - عابد شارف، أزمة الصحراء الغربية: حلول غائبة و سياق أمني إقليمي متغير، مرجع سابق، ص 3.

محمد عزيز الحبابي والأفكار الممتدة

عبد الصمد مرون

نحاول من خلال هذه المقالة تحقيق مجموعة من الأهـداف الإجرائية من بينها؛ الاقتراب من الانشغالات الكبرى لواحد من أبـرز المفكرين المغاربة والعرب والذين تركوا إسهاما قيما في التراث الفكري المعاصر، اقتراحا ونقدا ونضالا من أجل غد عربي مشرق، وثاني هذه الأهداف فتح حوار مع مفكر ما تـزال أفكاره تحتفظ بكامل أصالتها وكذلك براهنيتها المتجددة، ثالث هذه الأهداف هي أن الرجل يمثل مجالا نادرا لتلاقي خلفيات وحساسيات مختلفة، فهو الفيلسوف والناقد والمبدع وعليه فكل المهتمين بهذه الحقول سيجدون بين ثنايا كتب مفكرنا محمد عزيز الحبابي ما يشبع نهمهم المعرفي. سيجدون اقتراحات وإشكالات قابلة دائما للكشف وإعادة القراءة. من هنا تكمن أهمية فتح هذا الهامش الصغير للنقاش المفتوح.

من البديهي أن نقول باستحالة الإلمام بكامل التراث الفكري والإبداعي الذي خلفه الرجل، لتشعب قضاياه وتنوعها، بل الأكثر من ذلك يصعب حتى الإلمام بكتاب واحد لتميز هذا النوع من الكتابة بالتنوع والتشعب فنجد في كتاب واحد حضورا للإشكال الفلسفي والسياسي وكذلك النقدي والأدبي، كما تقدم لكن مع ذلك سنحاول فيما يتقدم صبر أغوار نمـوذج واحـد هو "مفاهيم مبهمة في الفكر العربي المعاصر" محاولين إثارة ولو القليل من الإشكالات التي توقف عندها فيلسوفنا.

بصفة عامة يمكن اعتبار الكتاب من المؤلفات التأسيسية إذ يحاول وضع تمهيد للتفكير المنهجي العلمي الموكول إليه وحده انتشال الفكر العربي المعاصر من الوضع الذي يعيشه، صدر المؤلف عن دار المعارف بالقاهرة سنة 1994، يقع في 215 صفحة من القطع المتوسط، يتجلى الوضوح المنهجي منذ البداية في تعبير عن رفضه للإبهام سواء المنهجي أو المفاهمي لذلك نجد الكاتب يعبر بوضوح عن ما يريده من هذا الكتاب، حيث ينطلق من أطروحة رئيسة مفادها أن الفكر العربي المعاصر ينبني على مفاهيم غير دقيقة أو مبهمة، والإبهام المفاهيمي حسب الحبابي يتمظهر في مفاهيم تغلق الباب أم التفكير[1]

يترتب على ذلك أن كثير من المفاهيم الأساسية تسبح في ضباب دامس. ينتج عن ذلك أن النسق الفكري عند أغلبية الكتاب بل حتى عند من يوصف بقادة التفكير يتصف بالغموض والالتباس. بهذه الـرؤيـا الشمولية والواضحة ينطلق المؤلف في تنقيبه عن تمظهرات هذا الإبهام من خلال قراءة المنظومة المفاهيمية للفكر العربي المعاصر عبر مجموعة من الكتاب من بينهم توفيق الحكيم أدونيس زكي نجيب محمود وآخرون.

يتوزع الكتاب خمسة أقسام بعد تمهيد متأن يطلع فيه الكاتب القارئ الوجهة التي سوف ينحوها المؤلف، يأتي أولى الأقسام بعنوان إزاحـة الأنقاض، يحاول الحبابي في هذا القسم تحديد الجهاز المفاهيمي الذي يشغله من بين هذه المفاهيم على السبيل المثال مفهوم الفكرولوجيا وتعني علم يدرس الأفكار من حيث طبائعها وقوانينها، يقابل هذا المفهوم الأدلوجة والإيديولجيا عند غيره من المفكرين مع فارق أساسي هو أن الحبابي ينزع عن هذه المفهوم طابعه القدحي بوصفه مرادفة للوعي الزائف، الفكرولوجيا نسق فكري عملي تبرر وتوجه الأفعال والمعتقدات عند مجموعة بشرية في مرحلة من تاريخها، كما يحاول الكاتب تأصيل المفهوم انطلاقا من جذوره الممتدة إلى فرويد وخطاطته للتحليل النفسي التي تركز على العلاج النفسي والتربية وقيادة الجماهير، ثم ينتقل في القسم نفسه إلى مسألة مجموعة من المفاهيم من بينها القومية واللبرالية ليخلص إلى تحديد المسؤولية الملقاة على كاهل المثقف العربي، ومتمركزة أساسا حول محاربة الاستلاب والاغتراب. يعيب على رواد هذه النظرة تسفيههم لأي عودة للتراث من أجل غربلته وتوظيف ما يلزم منه، كما ينتقد بالحدة نفسها من يضفي لباس من القداسة على التراث جعلا منه عالما مغلقا لا سبيل إلى انفتاحه على أفق جديدة، ليقترح بعد ذلك الفكرولوجيا ثالثية تحاول التوفيق ما بين الأمرين محددا مسؤوليات هذه المجموعة من المثقفين في الإجابة عن أسئلة جوهرية وهـي: مـاذا يمكن أن أعـرف؟ ويجيب بلسان الإبستمولجيا الحديثة بوجوب رفض الوثوقية وعدم السماح بمد سلطانها في أي مجال، فمن الواضح إذا الميول النقدية المزدوجة التي يتبناها الحبابي، طريق ثالث لا تمارس الاستلاب لأي جهة، يتحدد رهان هذا المجموعة أو ما يصطلح عليها أستاذنا بالفكرولوجيا الثالثية في إنجاز حوار على مستويين الأول منولوجي متعدد يحاول الإجابة عن مجموعة من الأسئلة من بينها ما نحن ومن نحن؟ وماذا كنا؟ وماذا نريد؟ أما ثاني هذين المستويين فالمحاور فيه عاورو الغرب بكل غطرسته وثقله العلمي كذلك.

كما يلاحظ نقطة شديدة الأهمية مفادها أن العيب ليس في التقليد بحد ذاتـه وإنمـا في أن هذا التقليد يهدف إلى مواكبة نماذج متغيرة تتجاوز نفسها باستمرار فالناتج إذا، لا محالة، أننا متأخرون بأجيال حتى وإن برعنا في تحقيق التماثل مع الغرب.

في القسم الثاني يحاول الكاتب التعرض لمجموعة من المفاهيم التي يصفها بالإجرائية المعبرة عن أحلام أصحابها تحت مسمى تمطيط أم تقليص من بينها مفهوم القطيعة عند الجابري وكذلك عند علي أومليل محاولا استنتاج الخلفيات الابستمولوجيا التي تصدر عنها حيث يأخذ على هذا الأخير تبنيه للنظرة الغربية إلى التراث الإسلامي تبعا لتقسيم المعروف أن تراث الكتابي للشرق يؤطره الاستشراق فيما التراث غير المدون يدرس من خلال الأنتربولوجيا.

يثير المؤلف في القسم الثالث إشكال شديد الأهمية يتصل بمشكلة التعريب والتدريج تحت عنوان موحي "مفاهيم مضامينها حائرة" ليبين التناقضات التي سقطها توفيق الحكيم من خلال دعوته لانكفاء مصر على نفسها وانعزالها عن المحيط العربي سياسيا باستقالتها عن أي داور مدافع عن الحق الفلسطيني وثقافيا بتبنينها نموذجا محليا يعلي من الدارجة المصرية على حساب اللغة العربية وهي دعوة تتجدد في واقعنا المعاش بخلفيات جديدة ومصالح مخالفة، مع ذلك لا ينكر مفكرنا في اعتراف يعبر عن أخلاق العلماء، المجهود الزاخر الذي قام به العقاد ما قبل عودة الوعي ،الموهوم، في خدمة اللغة العربية والفكر العربي عموما.

يعرج بعد ذلك في القسم الموالي مسألة التأصيل والعصرنة كما يصطلح عليها ليدخل في نقاش ثري مع الأستاذ زكي محمود نجيب لينتقد حكمه على التراث بأنه غير مساير للعصر بالمطلق، مؤكدا على الظروف المعاصرة هي نتيجة تفاعل ثقافات متعددة وسيرورة تاريخية طويلة فمكونات التراث حاضرة ومتفاعلة مع واقعنا لكن بأشكال مختلفة تتميز بالتخفي في أغلب الأحيان.

تأسيسا على هذا التوقف المقتضب عند بعض ما كان يشغل فيلسوفنا، يمكن الخروج بمجموعة من الاستنتاجات من بينها أن الرجل كان يمارس التفكير والكتابة بشكل جماعي، أي أنه يحاور ويجادل غيره من المفكرين ليس ابتغاء خلق التوتر أو حتى مطاردة عاهات الفكر العربي المعاصر، وإنما بحثا عن مساحات سلام، عن أرض مشتركة تنهض على أسس سليمة تجسد الأصالة من غير شوفينية والإبداع من غير اتباع، وعليه فهل نحن بحاجة للحبابي كمنهج يرصد النقاش وينحو إلى النأسيس؟ ألا يمكن أن يسعف هذا النوع من الحوار من بناء ثقافة عربية؟ لعل ما حاولت بلوغه من خلال هذه الوقفات استعادة المنهج أكثر من طرح الأفكار على أهميتها، بتأكيد يظل الباب دائما مفتوحا على منهل فكري لا ينضب، لكن مع الأسف لم يأخذ كل وقته لأسباب ضيقة في كثير من الأحيان نتمنى أن يكون ظلامها قد انقشع. ■

الهوامش

1 - مفاهيم مبهمة في الفكر العربي المعاصر، محمد عزيز الحبابي، دار العرفان، القاهرة 1994. ص72 - إميل دوركايم ـ قواعد المنهج في علم الإجتماع ـ ترجمة محمود قاسم ، دار المعرفة الجامعية ، 1988

الثقافة و كوفيد 19 داخل ثنائية الامتداد و التطور : نظرات استشرافية في بعض النماذج

سكينة الريفي
باحثة في التاريخ

إن الحديث عن مجتمع ما في إطار تفاعلاته مع مختلف المستجدات الصحية التي يواجهها، يستدعي بالضرورة فهم طبيعة هـذا المجتمع أولا، ثم علاقة مكوناته الثقافية بتلك المستجدات، خاصة إذا ما أخـذنـا بعين الاعتبار المؤشرات السوسيواقتصاديةالتي تعتبر جزء لا يتجزأ من صيرورة هذا الأخير، و بالنسبة للمغرب فهو يخضع بدوره لنسق متكامل تتحكم فيه البيئة الثقافية و السوسيواقتصادية حسب كل مرحلة تاريخية، وإذا كان المفكر المغربي عبد الله العروي قد تساءل في معرض حديثه حول الوطنية المغربية في القرن 19 و بداية القرن العشرين عن كيفية التوفيق بين وضعين يبدوان متناقضين : هما الانغلاق الثقافي و الانفتاح الاقتصادي[1]، فـان مـغـرب الـيـوم يـطـرح الـسـؤال معكوسإذ بات مغربا يعيشانفتاحين متلازمين،انفتاح ثقافي وآخر اقتصادي بسبب العولمةو تداعياتها، هذا دون الحديث عن الأبعاد التي من الممكن أن يتخذها بعد جائحة كورونا، والتي أماطت اللثام عن ركائز مفهوم العولمة، وأعادت تشكيله بصيغته الحقيقية بعيدا عن مركزية الغرب.

لعل جائحة كوفيد 19 من القضايا الراهنة التي نال المغرب نصيبا منها على غـرار باقي دول العالم، ولا يخفى على أحد خطورة هذا الفيروس على الفرد والمجتمع،حيث فتك بملايين الأشـخـاص حـول الـعـالم،نـاهـيـك عن الإحصائيات التي تنذر بأرقام مهولة تخص عدد المصابين، والـذي لازال في تصاعد مستمر -مع الاخذ بعين الاعتبار تباين وتيرة هذا التصاعد- يتأرجحون بين فرصة الشفاء ومصيبة الفتك، كما لا يخفى علينا تأثيره على البنيات الاقتصادية والخريطة الجيوسياسية على المستوى الـدولي .وليس الغرض من هذا المقال الخوضفي التداعيات الاقتصادية والسياسية للجائحة، بقدر ما نستهدف الوقوف عند بعض النماذج من الثقافة المغربية ما بعد الجائحة في مستواهاالفردي و الجماعي،وتأمل مصيرها أمام التحديات التي أفرزتها جائحة كوفيد19. فهل ظلت ثقافة المغاربة في تعاملهم مع الأوبئة جامدة تمثل امتدادا لبنية ثقافيةتقليدية، أم أنكورونا استطاع إحداث خلخلة داخلها لتتطور وفق ما يقتضيهتبدل الأحوال وتطور المجتمعات؟ ولما كان الحديث عن ثقافة مجتمع أمراشائكا باعتبار المقاربات التي ظلت لصيقة بمفهوم الثقافة ومكوناتها، فقدارتأينا أن نناقش هذهالإشكاليةعلى ضوء ما يتوفر لدينا معطيات وفق نقطتين أساسيتين،وهما العاداتالمغربية والوعي الصحي لدى المغاربة،ومسألة التفاوت الطبقي ودوره في تفاعل المغاربة مع الوباء:

1 -الـعـادات المغربية والـوعـي الـصـحـي لـدى المغاربة:

تعتبر الـعـادات و الوعي الصحي مـكـونـين مـن مـكـونـات الـثـقـافـة المغربية،ويمكن أن نناقش هنا مدى تجاوز المغاربة لتقاليدهم في التفاعل مع هذا النوع من الجوائح في علاقة بالوعي الصحي، وتنبثق عن هذه النقطة إشكالية أخرى تتمثل في إمكانية اعتبار تعاطي المغاربة مع الجائحة ردة فعل طبيعية تجاه الفيروس أم يمكن أن نتحدث عن

تبلور وعي جماعي واكتساب ثقافة صحية جماعية بإمكانها أن تمتد إلى ما بعد الجائحة؟

من ناحية العلاقات الاجتماعية،معلوم أن اللمة و المصافحة و صلة الأرحام من أهم ما يميز ثقافتنا الشعبية ،و هي أمور من صلب عقيدتنا أيضا ، و لما دفع الوباء السلطاتالمغربية إلى إعلان حالة الطوارئ، و اتخاذ إجراءات صارمة من بينها إغلاق الحدود الدولية، و فرض الحجر الصحي على المدنو شل حركة عدة قطاعات حيوية ،وفرض عقوبات على المخالفين، مع اتخاذ الإجـراءات الوقائية اللازمة كتجنب الاختلاط والحفاظ على مسافة الأمان واجتناب المصافحة ، فقد لاحظنا في البداية نوعا من التردد في التخلي عن العوائد المألوفة وشكلا من أشكال التمرد على الـعـادات الجديدة،لكن سرعان ما أصبح الغريب من عاداتنا مألوفا و لم تمض بضعة أشهر حتى بات مغاربة زمن كورونا يتحلون بالكثير من الحذر و الترقب تجاه كل ما ارتبط بالجانب الصحي ، و أصبح الهدف هو الخلاص من وطأة الوباء، أو الخروج - على الأقل- من عواقبه بأقل الأضرار.

كان امتثال المغاربة لما تقتضيه الضرورة الصحية واجبا،وضرورة ملحة ، إذ لاحظنا التزام شريحة عريضة من المغاربة بالإجراءات الوقائية التي تبنتها الدولة الأمر الذي يظهرلنا من خلاله نوعا من الاستئناس، فنمت بين المغاربة بعض العادات الجديدة،وأصبح الحديث عن ما يسمى ب" العزلة الاجتماعية"، كتحية بعضنا عن بعد مسافة معينة وإلقاءالسلام شفويا،بل إن الأمر شمل المناسبات الدينية أيضا،و يمكن أن نستحضر في هذا الشأن طقوس الدفن و تشييع الجنازة، والتي رضخت بدورها لقانون حفظ الأبدان لدرجة أن أضحت الجنائز تقتصر على دفن الميت دونما زيـارة لأهل الفقيد أو تنظيم تجمع لنعي فقدانه أو مواساة أهله تفاديا لأضرار التجمع و الاختلاط، ليصبح العزاء عبروسائل التواصل الاجتماعي، و يحل محل طقوس التشييع المعتادة.

على غرار ذلك، فقد اكتفت كل أسرة بممارسة شعائرها داخل البيت، ومن حسنات هذه التغيرات، و كما يقول المثل " رب ضارة نافعة " أن لاحظنا ما يشبه ضخ الدم داخل كيان الأسرة المغربية واسترجاعها لطابعها الأصيل، فهو بذلك طابع جديد ميز المغاربة عقب جائحة كورونا وفرصة جعلت أصالتنا تنضح بما فيها، طابع انبثق عن وعي بخطورة الوباء الذي نواجهه، ما أفرز مجموعة من الممارسات النبيلة، و أبرزها بحلتها الحقيقية كالتكافل الاجتماعي وأشكال التضامن التي لا يمكن بأي حال إنكارها متمثلة فيمجموعة من الشخصيات المغربية التي ساهمت من جهتها، و ثلة من الجمعيات والمبادرات الخيرية التي تجندت في هيأة جسد واحدلمواجهة الوباء.

في سياق أشكال التضامن الاجتماعي، نلاحظ خلق صندوق مكافحة كورونا الـذي استفاد من رصيده مجموعة من المتضررين من عواقب الجائحة، رغم ما قيل حول تصريف أمواله و كيفية توزيعها، و لا أدل على ذلك من الانتقادات التي تناثرت هنا وهناك وسط الفئات المعنية بالاستحقاق، وبين رواد وسائل التواصل الاجتماعي، حيث اشتكى البعض أنهم لم يستفيدوا رغم أحقيتهم، بينما انتقد البعض الآخر شروط الاستفادة من صندوق دعم وتعويض الفئات المتضررة، ومع ذلك تبقى هذه المبادرة في نظرنا مما يحسب لبلدنا، كتدبير إجرائي متميز من شأنه أن يقلل تلك الفجوة التي أحدثها وباء كورونا داخل أوساط الفئات الفقيرة من مجتمعنا، على غرار التدابير الأخرى التي اتخذتها الدولة و التي اعتبرت استباقية واحترازية، بشهادة مجموعة من المنابر الإعلامية والمحطات الصحفية الوطنية و العالمية.

يقود الحديث عن المنابر الصحفية التي أشادتبالتجربة المغربية إلى استدعاء

الهوامش

1 1912ـ18301, تعريب محمد حاتمي و محمد جادور، ط1 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب، 2016 ، ص 262 .

مقال تحت عنوان "تماسك وتضامن المغرب درس لنا جميعا"، الذي أبرز من خلاله كاتب المقال، جوناثان فينتون، أن "الحكومة المغربية تدخلت بكيفية حازمة، لكن تدريجية من أجل تطويق تفشي الفيروس"[2]،" وقالت صحيفة "إر تي في" الإسبانية: إن المغرب اتخذ خطوات أكثر حزما لمواجهة "كورونا"، مقارنة إياه بإيطاليا وإسبانيا، اللتين قال إنهما سجلا على ما يبدو تأخرا على مستوى سن إجراءات وقائية استباقية (..)، كما أشارت صحيفة "إلبايس" الإسبانية، إلى أن المغرب استشعر خطر الفيروس منذ أيام، خصوصا بعد تفشيه في إسبانيا وإيطاليا القريبتين منه". [3]

لعل هذه التدابير فرصة من شأنها أن تجعلنا نعيد النظر في السياسات التي فشلت في السابق،وتعزيز ثقة المواطنين المغاربة بمؤسسات الدولة والكفاءاتالوطنية، ثم تؤكد حس المسؤولية و الوعي الذي تحلت به السلطة المغربية، نظرا لمسؤوليتها في حفظ صحة المواطنين و ضمان الدعم الاجتماعي لهم في حال الأزمات. فهذه الممارسات التي أعقبت وباء كورونا سواء منهاالجديدة التي انبثقت عن وعي بخطورة الوباء ثم تطورت لدى المغاربة، أو تلك التي نمت من جديد كامتداد لثقافة أصيلة متجذرة في العادات ، فإنها أعادت –على ما يبدو – ترتيب مفاهيمنا و نظرتنا لذواتنا وثقافتنا على حد سواء، وهي فرصة أثبتت قدرتنا على تغيير سلوكاتنا، كما سمحت باسترجاع الثقة في قيمنا الأخلاقية من تكافل اجتماعي،و رد الاعتبار للأسرة المغربية وأسسها المتينة .

2 -التفاوت الطبقي ودوره في تفاعل المغاربة مع الوباء:

إذا افترضنا وجود علاقة بين الثقافة الصحية ومسألة التفاوت الطبقي، هل أحدث هذا الأخير -على المستوى الاجتماعي-اختلافا في تعاطي الأفراد مع الجائحة؟ و يجرنا هذا السؤال إلى استحضار المقاربات المتعددة التي قاربتالفقر، فإذا كان تعريف الفقر سابقا مقتصرا على التفسير النقدي البسيط، فإن مفهومه الجديد" الذي يربط بين الحرمان المادي و مؤشرات التنمية البشرية [بات] حاضرا في كل الدراسات المعاصرة المقاربة للفقر[4]، فأصبحنا نتحدث عن أمور أخرى على غرار الحرمان المادي كمستوى التعليم و المستوى المعيشي ، فهل تفاوت هذا الأخير كان له انعكاس على المغاربة في تفاعلهم مع الوباء ؟

لعل المتتبع لما يروج من أخبار وطنية،يرصد تفاعلا لطبقات المجتمع المغربي مع وباء كورونا، حيث لا يمكن غض النظر عن تأثير المستوى المادي للأفرادعلى التفاعل مع حياة ما بعد الجائحة ، وقد رصدت بعض أشرطة الفيديو إغلاق المصانع وتوقيف بعض الفئات العاملة ، ما ولد تذمر واستنكار لما آلت إليه أوضاعهم الاجتماعية بسبب توقفهم الإجباري عن العمل، و من جهة أخرى فقد استطاع وباء كورونا أن يحدث خلخلة على المستوى الاجتماعي للأفراد، و التي تترجمها توقف مجموعة من المشاريع المهمة والمقاولات الصغرى و الكبرى ،هذا مع الأخذ بعين الاعتبار الدور الذي تلعبه الدولة في الحفاظ على التوازن الاجتماعي ، و من ناحية أخرى تؤكد مجموعة من التقارير التأثير الذي أحدثه التفاوت الطبقي في العلاقات الأسرية المغربية في خضم هذه الجائحة.

أبرزالبحث الميداني الذي أنجزته المندوبية السامية للتخطيط من 14 إلى 23 أبريل 2020م، والذي بينت نتائجه أن الشعوربتدهور العلاقات الأسرية كان " أعلى في أوساط الأسر الفقيرة (19%) مقارنة بالأسر الغنية (13%)،و كذا في صفوف الأسر المكونة من 5 أشخاص أو أكثر (23%)مقارنة بالأسر الصغيرة الحجم المكونة من شخصين (7%). و كذا بالنسبة للأسر التي تعيش في مسكن مكون من غرفة واحدة (22%) مقارنة بتلك التي تعيش في مسكن به أربع غرف أو أكثر (16%)"[5]، ونستطيع من خلال ملاحظة هذه النسب المتفاوتة في معدل تقهقر العلاقات الأسرية أن نفهم الدور الذي يلعبه المستوى المعيشي للأفراد في التأثير على قلب الأسرة والترابطات التي تحصل داخلها خلال فترة الكوارث أو الأزمات وعلى رأسها جائحة كورونا، وقد توقع التقرير نفسه إلى أنه " في المتوسط يمكن أن تتحمل الأسر الميسورة مدة أطول (47 يوما) مقارنة مع الأسر الفقيرة (32 يوما)[6]. وهو تأكيد على علاقة المستوى الطبقي بالجانب المرتبط بالتعاطي مع أزمة والوباء ونتائجه.

لما كانت هذه الآثار السلبية والتبعات الاقتصادية والاجتماعية لوباء كورونا تفرض نفسها خاصة على الأسر المعوزة، فقد استنكر العديد من رواد وسائل التواصل الاجتماعي بعضالسلوكات التي اعتبرت "أنانية"، والتي مارسها مجموعة من الأفراد من تكديس للمواد الغذائية و احتكار لها، فهل هذه الفئة من المغاربة غير واعية بالمصلحة الجماعية أم أن الأمر مرتبط بهواجس تاريخية و امتداد لثقافة سابقة طبعت علاقة المغاربة بالأوبئة؟ونستحضر في هذا الشأن ما ذكره د. مصطفى النشاط في كون أن " أهم الهواجس التي كانت تنتاب المغاربة في تاريخهم تمثلت في حاجتهم إلى القوت الذي يسدون به رمقهم (...) [و]

الهوامش

2 - أنظر مقال "صحيفة بريطانية تشيد بقرارات الملك لمواجهة كورونا"ضمن الموقعالإلكتروني لجريدة الصباح :https://assabah.ma/459643.html نشر بتاريخ 2 أبريل 2020،(تاريخ التصفح 13 ماي 2020).

3 -" اعتراف دولي بصرامة وجدية تدابير المغرب الأمنية والصحية لمواجهة فيروس كورونا" ضمن موقع جريدة "الأخبار" https://www.alakhbar.press.ma/ ، نشر بتاريخ 21 مارس 2020،(تاريخ التصفح 14 ماي 2020).

4 -البكاي حاجي، الفقر بين رؤية المؤسسات الدولية و تمثلات السياسة الوطنية. ط1 ، المطبعة الرقمية ، وجدة،2016 ، صص 35-34.

5 -المندوبية السامية للتخطيط «بحث حول تأثير فيروس كورونا على الوضع الاقتصادي و الاجتماعي و النفسي للأسر " ، مذكرة حول نتائج البحث من 14 إلى23 أبريل 2020، ص 29، (من الموقع الرسمي للمندوبية السامية للتخطيط www.hcp.ma).

6 - نفسه ، ص 30.

حث هذا الخوف الذي لازم المغاربة في تاريخهم من مخلفات الجوائح على تبني ثقافة تخزين المواد الغذائية "[7].

بالنظر إلى سياق كل مرحلة تاريخية، و إذا ما ربطنا هـذا الأمـر بالجانب الاقتصادي فيما سبق، فـان المغرب الراهن يعيش سياقا مغايرا يطبعه زخم الأخبار وكثرة الإشاعات، و بالتالي يمكن ربط هذه السلوكات من تهافت على المواد الغذائية و تخزين لها من طرف البعض بما راج من أخبار و إشاعات حول تبعات الوباء، مع استحضار الدور الذي لعبته وسائل التواصل الاجتماعي في تنمية الخوف و الهلع من مصيرنا أمام الوباء، وهو سلوك ينم - حسبما يبدو لنا- عن عدم وعي هؤلاء الأفرادبالمصير المشترك و المصلحة الجماعية ومسؤولية الجميع من أجل مواجهة تحدي وباء كورونا .

أما القضية الأخرى التي تطرح نفسها ضمن المسألة الثقافية بالمغرب، فهي النقاش الذي لحق مسألة التعليم عن بعد ، حيث نجد نوعا من التفاوت في اعتبار نجاحه رغم المجهودات التي بذلتها الدولة في سبيل إنجاح هذا التدبير، وهو نقاش ارتبط في الغالب بمسألة التفاوت الطبقي من جهة، وما نتج عنه من عدم تكافؤ في فرص التعايش مع ظروف الوباء وحالة الطوارئ ، واستمرار التعليم لدى الفئات التي لا تستطيع توفير متطلبات عملية التعليم عن بعد من حاسوب وانترنيت و غيره بما فيهم سكان العالم القروي،ومن جهة أخرى ارتبط بمدى وعـي الأسر وأوليـاء الأمـور بـضرورة استئناف أبنائهم لدراستهم عن بعد، وهو ما قاد إلى التفكير في أثار إشكالياتأخرى مرتبطةبالتخطيط الاستراتيجي لعملية التعليم إبان الكوارث، ومستوى التهيئة الرقمية وقضايا التعامل البيداغوجي الرقمي[8].

نافلة القـول، كانت هـذه بعض النماذج من ثقافتنا كمغاربة في تفاعل مع الوباء، ونظرة استشرافية من زاويتنا حول مغاربة ما بعد كورونا، على خلفية اصطلاحين متقابلين هما الامـتـداد و التطور في عاداتنا و بعض سلوكاتنا، فتبين لنا من خلال ما سطرناه سابقاأن وباء كورونا رغم ما خلفه أو سيخلفه من نتائج وخيمة و رهانات مستقبلية على الأصعدة الدولية والوطنية في مختلف المناحي الحياة ، سواء منها الاقتصادية أو السياسة والاجتماعية، فإنه استطاع على الأقلأن يوحد بعض الممارسات السلوكية من ثقافتنا، كما أنه بعث بالموازاة أنماطا جديدة من التفكير سواء فيما تعلق بالقيم أو ما ارتبط بالوعي الصحي، وفي المقابل لا يمكن أن نعتبر أنه أحدث قطيعة مع سلوكاتنا التقليدية بل جعلها تدخل ضمن ما امتد من ثقافتنا إلى الزمن الراهن .

مع هذه البوادر الأخيرة سواء منها السلبية التي تنذر ببروز سلالة جديدة للفيروس، أو الإيجابية التي تبشر بانفراج أزمة كورونا من خلال اللقاح الذي كان المغرب سباقا لاقتنائه وتطعيم فئاتمهمة من شرائح المجتمع به، فقد آن الأوان لكي نرسخالوعي بمصيرنا المشترك أمام ما يواجهنا من تحديات. ولعل جائحة كورونا إحدى الأمثلة التي لا تأبى إلا أن تنضح بمسؤولية جميع طبقات المجتمع أمـام هـذه التحديات أو تلك التي سنواجهها مستقبلا،والتي أعادت النظر في سلوكاتنا الجماعية والفردية وثقافتنا الصحية، كما أبانت عن أهمية تشجيع البحث العلمي وضرورة الاستثمار في طاقاتنا العلمية. ■

الهوامش

7 - يوسف لخضر في حوار مع مصطفى نشاط " الجوائح تخيف المغاربة. و "كورونا" يوطد العرى مع المخزن" ضمن "عالم(ما بعد الجائحة) قراءات في تحولات الفرد و المجتمع و الأمة و العلاقات الدولية ، إعداد و تنسيق : محمد البنعيادي ومصطفى الشعايب ، ط1(إصدار إلكتروني)، منشورات جمعية النبراس للثقافة و التنمية ، وجدة ، المغرب ، 2020، صص 309-308.

8 - أنظر مصطفى شكري " التعليم عن بعد بالمغرب في زمن كورونا، حقائقالوائع و آمال المستقبل " ضمن " جائحة كورونا و المجتمع المغربي، فعالية التدخلات و سؤال المآلات" ، تنسيق : ميلود الرحالي ، منشورات المركز المغربي للأبحاث و تحليل السياسات ، يونيو 2020 صص 136-135(الموقع الإلكتروني : www .cemrap. org).

عبد الكبير الخطيبي : حفر سوسيولوجي في الثقافة الشعبية

محمد أكديد
باحث في علم الاجتماع السياسي

الـخـطـيـبي ومـعـهـد السوسيولوجيا

ينتمي عبد الكبير الخطيبي إلى الجيل الشاب للستينيات الذي تحدى المعايير الاجتماعية والسياسية التي تبنى عليها المغرب العربي وكانت له آمال كبيرة لبناء مستقبل واعد لمغرب مابعد الإستقلال. ولم يكن الخطيبي مفكرا فقط بل كان رجل حركة وفعل، وقد سند أطروحاته السوسيولوجية بعمل كبير سواء في معهد السوسيولوجيا الذي كان يرأس إدارته أو بالمجلات الوازنة التي كان يساهم فيها أو الملفات أو عبر تدبير لقاءات التواصل بين الشباب الدارس من المغاربة وأعلام كبار من السوسيولوجيين والفلاسفة الغربيين خلال إدارته للمعهد.

يـعـتـبر الـخـطـيـبـي بـــأن تـطـور السوسيولوجيا لم يكن وليد ظاهرة التوسع الإمـبريـالي فقط، بـل إنـه لم يكن ليحدث لولا تلاقي أفكار ليوطي الكبرى وسياسة علمية سنها ألفريد لوشاتوليي ونظام دبره جورج هاردي. هاته الخطوات سوف تتوج بتأسيس "المعهد العالي للدراسات المغربية" سنة 1920 بمدينة الرباط، حيث ستتلخص مهامه في التكوين وتشجيع الأبحاث العلمية المتعلقة بالمغرب بالإضافة إلى إصدار منشورات وأعمال، وكذا التحضير للمؤتمرات العلمية حول المغرب.لكن أكبر حلم كان يراود عددا من الباحثين الفرنسيين الذين عاصرهم الدكتور الخطيبي والذين خـبروا البلد بفضل أبحاثهم الميدانية كما خـبروا فرنسا، نذكر منهم جاك بيرك وآندري آدم وبول باسكون كان هو تأسيس معهد للعلوم الاجتماعية ضدا على الاستعمار وبعض سياساته العنصرية.

تـحـقـق هـــذا الـحـلـم عبر التنسيق بين الجامعة المغربية (جامعة محمد الخامس) واليونيسكو (شعبة العلوم الاجتماعية) بتأسيس معهد السوسيولوجيا الـذي سيفتح أبوابه أمام الطلبة في أكتوبر من سنة 1960. وكـذا أمـام نخبة من أفضل الأساتذة من الفرنسيين والمغاربة كأندري آدم وموريس أرارد وبول باسكون وادريس الكتاني ومحمد كسوس والأستاذ بورسيي عن اليونيسكو والأستاذ رشدي فكار إضافة إلى الدكتور محمد عزيز الحبابي المتخصص في الفلسفة.. وسيتولى الدكتور الخطيبي إدارته ابتداء من سنة 1966 إلى سنة إغلاقه 1970.

شكل هذاالمعهد [1]فرصة تاريخية للمغرب من أجل تملك تاريخه وزمانه ومكانه ومعرفته الذاتية بمتغيراته وبنياته. وستتوجه إدارته إلى البحث والتكوين، حيث سيتم التركيز على السوسيولوجيا

الهوامش

1 - ستتأسسعلىهامشالمعهدجمعيةالبحثفيالعلومالاجتماعية،وسيشرفالخطيبيرفقةبولباسكونعلىإصدارالمجلةالمغربيةللاجتماعوالاقتصاد (بالفرنسية)،وبعدهاسيصدرم جلةالحولياتالمغربيةللسوسيولوجيابثلاثلغات (الفرنسيةوالعربيةوالانجليزية).

القروية لأن تفكيك المجتمع المغربي وفتح منافذ الولوج الاستعماري والرأسمالي إلى قيمه وسلوكاته وعلاقاته الاجتماعية ومؤسساته لم يكن ممكنا إلا عبر القرية المغربية بمخزنها وقوادها وباشاواتها.. ولقد لعب معهد السوسيولوجيا قبل إغلاقه دورا كبيرا في مأسسة العلوم الاجتماعية في المغرب، حيث تحول إلى بؤرة للنقاش والتدوال المعرفي للمفاهيم والنظريات وقياس مدى تطابقها وإواليات المجتمع المغربي بالإضافة إلى مهام البحث والتعليم.

مع نهاية الستينات، سوف يتقاطر عليه باحثون أنكلوساكسون باختصاصاتهم المتعددة وعدتهم النظرية والميدانية (دافيد هارت، دايلإيكلمان، جون واتربوري، كليفوردغيرتزوإرنستكيلنر..) وسيبلغ إشعاعه العلمي والعملي مداه خلال هاته الفترة التي تميزت بالعطاء الفعال والانخراط في قضايا البلد. وربما لسوء حظه سيساهم في النهوض بالوعي الطلابي (تزايد قوة الاتحاد الوطني لطلبة المغرب في تلك الآونة) حيث سيتضخم وضعه على لسان الطلبة ليتم التركيز على يساريته ويسارية إداريه وباحثيه واستراتيجياتهم العلمية، مما كان سببا في إغلاق المعهد في سنة1970، وبالتالي هدم البنية المؤسساتية التحتية للسوسيولوجياالمغربية وإيقاف مسار تقعيدها نظريا وعلميا مما سيولج المغرب السياسي مرحلة العطالة طيلة خمس سنوات سيتغير خلالها الوجه الداخلي للبلد، وسيكون للأمر آثار سلبية على مسار السوسيولوجيا وطموح السوسيولوجيين المغاربة إلى تقعيد سوسيولوجيا وطنية مستقلة ونقدية. ورغم تأسيس "المعهد الجامعي لبحث العلمي" سنة 1975 إلا أن الفتور ظل يلاحق عطاءات نخبه الجديدة وإلى حدود اليوم.

تقول الكاتبة المغربية زكية داود في هذا الشأن:سيتم إغلاق معهد علم الاجتماع سنة 1969 ليتمَّ في البداية استبداله بمعهد العلوم الاجتماعية التطبيقية قبل زواله بصفة نهائية. كان هناك شك من لدن السلطة أنَّه (المعهد) يقوم بتكوين أرواح شريرة. المغرب الحديث لا يحتاج إلى طيور الشؤم التي هي علماء الاجتماع. بعد إغلاق المعهد، استبدل علم الاجتماع بعلم اللاهوت".[2]

الخطيبي وأسئلة الإنتقالات:

عاصر عبد الكبير الخطيبي مجموع التحولات التي رافقت الانتقال منالسوسيولوجيا الكولونيالية إلى بوادر سوسيولوجيا التنمية في المغرب رغم الإخفاقات التي واكبت هذا الإنتقال. فقد كان رفيقا لبول باسكون، وتقاسم معه هم سؤال التعامل مع الإرث المعرفي الضخم الذي خلفته المؤسسات الإستعمارية حول المغرب. حيث دعا إلى ضرورة مراجعة الإطار النظري لدراسة الظاهرة الإستعمارية من أجل تحقيق القطيعة مع السيطرة الثقافية الغربية، وذلك بتشييد بنيان العلوم الاجتماعية عبر إنشاء جهاز مفاهيمي قابل للإدراك حسب نظام اصطلاحي عربي، مع ضرورة تحمل النخبة الوطنية مسؤولياتها بمعزل عن اتهام الآخر.

كان الخطيبي أول من دشن تقليد الحصيلة السوسيولوجية وقيده وفق قواعد موضوعية صارمة. هاته الحصيلة اعتبرها أداة اشتغال أساسية للعازمين على ولوج سوسيولوجيا المغرب. كما عزز المكتبة المغربية بمقالات نقدية للنظريات الإنقسامية والخلدونية والماركسية..ليفتح آفاقا جديدة للنقد، من أجل بناء معرفة علمية أقل استلابا وأكثر موضوعية وتكيفا مع خصوصية الموضوع المطروح.

من جانب آخر، فقد فتح الخطيبي إشكالات جديدة للمغاربة والعرب بجرأة نادرة، فمقالاته وإن كانت قصيرة تحتضن أفكارا كبرى تشخص بعمق الموضوع المطروح. فعلى سبيل المثال؛ تناقش مقالته "صورة المغرب المشخصة" في كتابه "تفكير المغرب" سلوكيات المغربي اليومية والمهيمنة، حيث يمنحها بعدا سوسيولوجيا عميقا. فتغير المجتمع المغربيتبعته تحولات في سلوكيات أبناءه. وبعد أن كان الزمن يسير برتابة وهدوء اكتشف المغربي ظاهرة السرعة. فأصبح يسارع الزمن لقضاء أغراضه وإذا ما وصل متأخرا فإنه يرمي بالمسؤولية على الآخر! ولا يخرج كتاب "الإسم العربي الجريح" عن هذه القاعدة، حيث كتبه بجرأة نقدية وتحليلية جعلته يتصدر أهم الأعمال السوسيولوجية النقدية التي عرفتها تلك الفترة.

الإسم العربي الجريح:

يعد كتاب "الإسم العربي الجريح" من أهم الأعمال المرجعية في بيبليوغرافياالسوسيولوجيا المغربية إن لم يكن أهمّها على الإطلاق. هذه الأهمّية التي تعدت المغرب إلى خارج الثقافة العربية.يشهد عليها ما كتبه رولان بارت معترفاً بأنه، وإن كان يقتسم مع الخطيبي الاهتمام بالأشكال نفسها، إلا أن صاحب "الاسم العربي الجريح" علمّه جديداً خلخل معرفته: "لأنه يغير مكان هذه الأشكال كما أراها، فيأخذني بعيداً عن ذاتي، إلى أرضه هو، حتى إني أحس كأنني في الطرف الأقصى من نفسي". ويتطرقالخطيبي في هذا الكتابلموضوعات الثقافة الشعبية المغربية، من حديث الأمثال إلى الرسم الخطي والوشم، إلى بلاغات الجماع والحكاية الشعبية. ويسائل الإنسان الشعبي الذي يتكلم بأنظمة دلائلية خاصة.

هاته الأنظمة حسب الخطيبي هي ترجمة للجسد ومتعته من الرسم إلى اللذة المحرمة المتمثلة في قصة "الطائر الناطق"، وذلك وفق كتابة مرحة تحتوي على المعرفة العلمية التي يتداخل فيها ما هو خطي (وشم-خط) وماهو شفوي (الحكاية والأمثال) بالإضافة إلى بلاغات الجماع (مع مقتطفات من الروض العاطر للشيخ النفزاوي).ولقد ظهر هذا الكتاب بداية السبعينيات من القرن الماضي، حيث كان المتخيل الشعبي سجيناللكثير من المحرّماتوالطابوهات، خاضعا لمنهجية أحادية الرؤية، تقليدية الطابع. وحتى الماركسية بأدواتها التحليلية بقيت رهينة الأيديولوجيا في تلك الفترة.

عمل الكاتب من خلال ما سماه ب"رصد العلامات المهاجرة" signes migrateurs على تعقب مكونات الثقافة الشعبية في مختلف مظاهرها من وشم وأمثال وحكايات شعبية، وكل ما اعتبرته الثقافة العالمة من قبيل الهوامش، وذلك لإعادة الإعتبار إليها وإلى دلالاتها.والهامش حسب الخطيبي ليس بالضرورة ذلك الذي يمكث في الأطراف بعيدا عن المركز، بل تربطه علاقة قوية بهذا المركز، بحيث يظل مشدودا إليه، وفي نفس الوقت يعمل على زحزحته ليكشف عن نقاط ضعفه ويفضح خباياه وادعاءاته بالمركزية. وتبقى إعادة الاعتبار للجسدمن أبرز مظاهر هذه الزحزحة في كتاب "الإسم العربي الجريح"، وذلك بالنظر إلى مختلف المنظومات الدالة التي يقدمها في علاقتها بالجسد، بهدف تسليط الضوء على مختلف القنوات الملتوية، والتي تنهجها الثقافة الشعبية عادةللتعبير عن ذاتها، وخلق بعض الجروح والتصدعات في مايقدم كثوابت، وما تعمل مختلف السلطات على تغييبه والتعتيم عليه. ■

الهوامش

2- Abdelkébir, Khatibi .Le Scribe et son Ombre, Paris, Éditions de La Différence, 2008, p.34.

ترجمة

كرونولوجيا نشر الصين للمعلومات عن COVID-19 والنهوض بالتعاون الدولي استجابة للأوبئة (الجزء الثالث):
ماهي حقيقة تشكيك الدول الغربية في تعاون الصين مع المجتمع الدولي؟

ترجمة وإعداد: محمد عبد الوهاب العلالي
باحث في الإعلام

10 مارس 2020

- ذكـرت وكالة أنباء شينخوا ان الرئيس شي جين بينغ ، توجه إلى ووهان لتفقد إعمال المنع والسيطرة في اللحظة الحاسمة لمحاربة COVID-19. وشدد شي على أن وضع الوقاية من الوباء ومكافحته شهد في هوبي ووهان تغيرات إيجابية وحقق نتائج مهمة على مراحل من خلال العمل الجاد ، ولكن مهمة الوقاية من الوباء ومكافحته تظل شاقة. وأشـار شي إلى أنه يجب على الجمهور أن يحافظ على عقله بوضوح وأن يكون أكثر حذرا في هذه اللحظة ، وبذل جهود متواصلة وإنجازات عظيمة ومواصلة اعتبار الوقاية من الوباء ومكافحته أولوية قصوى وأهم عمل. كما شدد شي على أن البلد بأكمله يجب ألا يكون مهملًا أو متعبًا ، ويجب أن يولي اهتمامًا وثيقًا لجميع أنواع أعمال الوقاية والسيطرة للفوز بحزم في المعارك ضد الفيروس التاجي في هوبي ووهان.

تم نشر خطاب شي من قبل مجلة Qiushi Journal في عددها السابع لعام 2020.

- عقدت اللجنة الوطنية للصحة (NHC) الصينية ووزارة الخارجية مؤتمرا تليفزيونيا وهاتفيا مع 10 دول جزرية جنوب المحيط الهادئ لتبادل تقنيات الوقاية والسيطرة COVID-19 ، ونظمت خبراء لتقديم تدابير الوقاية والسيطرة في الصين والإنجازات المرحلية ، وتبادل المعلومات عن الأمراض والوقاية منها والوقاية منها. السيطرة على الخبرة ، ومعالجة المخاوف الخارجية.

- أوصت اللجنة الوطنية للصحة (NHC) خبراء بالمشاركة في صياغة الدلائل الإرشادية لتسلسل الجينات لمنظمة الصحة العالمية.

11 مارس 2020

- عقدت اللجنة الوطنية للصحة (NHC) ووزارة الخارجية معا المؤتمر الهاتفي الثالث بين الصين والاتحاد الأوروبي بشأن تبادل تقنيات الوقاية والتحكمCOVID-19.

- نسق اللجنة الوطنية للصحة (NHC) خبراء لحضور مؤتمر منظمة الصحة العالمية في أمريكا لتقديم تجربة الصين في الوقاية والتحكم COVID-19.

- فى ظل الية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الـدولـة ، عقد مـؤتمـر صحفي ببكين حـول وبـاء COVID-19.

كما تم الكشف عنه في المؤتمر الصحفي، شهدت الصين العدد اليومي للحالات المـؤكـدة حديثًا والحالات المشتبه بها حديثًا لـ COVID-19 يسهل مضاعفة الرقم لمدة خمسة أيام متتالية. بصرف النظر عن ووهـان ، كانت هناك حالتان تم تأكيدهما مؤخرًا في الأيـام الخمسة الماضية في الصين. وظل الوضع الوبائي العام عند مستوى منخفض نسبيا واستمرت حالة المنع والسيطرة في التحسن.

ومع ذلك ، لا يزال هناك عدد كبير من الحالات المؤكدة في هوبي ووهان ، ولا تزال مهمة الوقاية من الوباء ومكافحته شاقة. وطبقا للمؤتمر الصحفي ، فإن التطور السريع للوباء في الخارج يجلب الشكوك أيضا.

- نـشر فريق بحث مـن مركز مكافحة الأمراض والوقاية منها في الصين ورقة في شبكة JAMA بعنوان "الكشف عن السارس - CoV - 2 في أنواع مختلفة من العينات السريرية" ، واكتشاف خريطة تغيير السيتوكين وقاعدة التكهن في المرضى المصابين بـ COVID-19 المرة الأولى.

- تمت دعـوة خـبراء من الصين CDC لحضور مؤتمر 2020 على الإنترنت حول الفيروسات القهقرية والعدوى الانتهازية التي نظمتها الجمعية الدولية لمكافحة الفيروسات - الولايات المتحدة الأمريكية

المدير العام لمنظمة الصحة العالمية تيدروسأدهانومغيبريسوس يلقي خطابا عبر الفيديو خـلال إحاطة افتراضية عـن تجربة الـصـين بـشـأن استجابة COVID-19 في العاصمة الصينية بكين ، 12 مارس 2020. (National Health Commission / Handout via Xinhua).

12 مارس 2020

- تحدث الرئيس الصيني شي جين بينغ هاتفيا مع الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو جوتيريس ، مؤكدا أن العمل الشاق للشعب الصيني قدم مساهمات مهمة في الوقاية من وباء COVID-19 والسيطرة عليه في بلدان العالم.وذلك لأن الصين ترغب في تبادل خبرتها في مجال الوقاية والسيطرة مع الدول ذات الصلة ، وإجراء البحوث المشتركة وتطوير الأدوية واللقاحات ، وتقديم المساعدة لبعض الدول التي انتشر فيها الوباء. وأضاف شي إن الصين تعقد امـالا على الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية في تعبئة المجتمع الدولي لتنسيق السياسات وزيـادة الاستثمار في المـوارد ، وخاصة البلدان النامية ذات الصلة بأنظمة الصحة العامة الضعيفة وعلى الاستعداد للوقاية والاستجابة.كما قال شي إن الصين أعلنت عن التبرع بـ 20 مليون دولار أمريكي لمنظمة الصحة العالمية لدعما الجهود الدولية لمكافحة الوباء.وشدد شي على أنه ينبغي للمجتمع الدولي أن يكثف جهوده للقيام بالتعاون الدولي في مجال الوقاية والمكافحة المشتركين ، من أجل تجميع التآزر القوي في مكافحة الوباء ؛ ويجب أن يكون على المجتمع الـدولي تعزيز الشعور بالمجتمع مع مستقبل مشترك للبشرية ، يدعم بعضهم البعض ، والعمل معا مع مع المخاطر والتحديات وبناء كوكب أفضل.

- أفادت وكالة أنباء آخرين أن لي كه تشيانغ لتقديم اجتماعي للمجموعة الرائدة للجنة المركزية للحزب بشأن أعـمال الاستجابة لـ COVID-19 ، داعيا إلى اتخاذ تدابير أفضل على مستوى المنطقة والفئة لمنع والتحكم في COVID-19 ، وضمان الاحتياطات في الوضع الوبائي المتغير ، بفضل إجراءات أكثر دقة واستهدافًا للحماية من حالات الـعـدوى المـسـتـوردة والمـصـدرة عبر الحدود.

- عقد اجتماع لقمة الرياض لمجموعة العشرين في المملكة العربية السعودية تقدر COVID-19 وتأثيره على الناس في جميع أنحاء العالم والاقتصاد العالمي. صـدر بعد الاجـتـماع بيان خـاص من الممثلين الشخصيين لقادة مجموعة ال 20 حول الاستجابة الدولية لوباء الفيروس التاجي.

- عقد رؤساء دول الصين ، وكذلك كوريا CDC مؤتمرا عبر الهاتف حول تقنيات COVID-19 للوقاية من المرض ومكافحته ، عرض الأطراف الثلاثة الوضع الحالي للوقاية من الوباء ومكافحته في بلدانهم وتبادلوا وجهات النظر حول قضايا فنية محددة. .

- عقدت الصين ومنظمة الصحة العالمية جلسة إحاطة دولية عبر دردشة

الفيديو في بكين حول تجربة الصين في منع إستشراء الوباء والتحكم فيه. حضر الإحاطة ممثلو سفارات الدول المعنية في الصين. حضر ممثل عن إقليم غرب المحيط الهادئ لمنظمة الصحة العالمية الاجتماع عن بعد عبر دردشة الفيديو.

- توفر الصين ومنظمة الصحة العالمية بشكل مشترك أحدث الإصدارات الإنجليزية من إرشـادات التشخيص والعلاج والمبادئ التوجيهية للوقاية والسيطرة في المؤتمر الصحفي.

- وصلت الدفعة الأولى من الخبراء الطبيين الصينيين الـذيـن يحملون الإمـدادات الطبية بمساعدة الصين إلى إيطاليا للمساعدة في جهود الوقاية من الأوبئة ومكافحتها.

- فى ظـل آلية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفي ببكين حول COVID-19 ، قائلا أن ذروة الوباء فى الصين قد مرت ككل ، مع انخفاض عدد الحالات الجديدة باستمرار ، و يبقى الوضع الوبائي عند مستوى منخفض نسبيا.

- قال متحدث باسم وزارة الخارجية الصينية إن الصين وأوروبـا حافظتا على اتصال وتعاون وثيقين منذ تفشي COVID-19 ، وأن اللجنة الوطنية للصحة (NHC) و CDC في الصين شكلوا مجموعة خبراء مشتركة خاصة مع الوباء مع مديرية المفوضية الأوروبية- العـامـة للصحة وسـلامـة الـغـذاء و ECDC.

يحضر مسؤولو وخـبراء الصحة الليتوانيون مؤتمر فيديو مع مسؤولي الصحة الصينيين والخبراء ونظرائهم من دول وسـط وشرق أوروبـا (CEE) في فيلنيوس ، ليتوانيا ، 13 مارس 2020. وعقد مؤتمر فيديو بين الصين و 17 دولـة من أوروبـا الوسطى والشرقية لتبادل رؤى الخبراء حول تفشي الفيروس وتقديم تدابير مجدية لمحاربة الفيروس والمرض. (السفارة الصينية في ليتوانيا / نشرة عبر المدة)

13 مارس 2020

- بعث الرئيس الصيني شي جين بينغ برسائل إلى رئيس المجلس الأوروبي تشارلز ميشيل ورئيسة المفوضية الأوروبية أورسولا فون دير لين ، وأعربوا عن تعاطفهم الـصـادق مع الاتحاد الأوروبي والشعوب في جميع الـدول الأعضاء فيها بشأن التفشي الأخير لمرض فـيروس كورونا الجديد. ودعـم الصين بقوة الجانب الأوروبي في مكافحة وباء

COVID-19 و إن الصين على استعداد لتقديم المساعدة للجانب الأوروبي في كسب المعركة ضد الوباء في وقت مبكر من خلال التمسك بمفهوم مجتمع ذي مستقبل مشترك للبشرية و أن تقف على استعداد لتعزيز التنسيق والتعاون مع الجانب الأوروبي ضمن الأطر الثنائية والدولية لحماية أمن الصحة العامة العالمي والإقليمي بشكل مشترك وحماية حياة وصحة الناس من كلا الجانبين. و في دول أخرى حول العالم.

- أقامت الصين وجمهورية كوريا آلية تعاون مشتركة للوقاية والسيطرة للتعامل مع الوباء وعقدت أول مؤتمر بالفيديو. وتهدف الآلية ، بقيادة وزارتي الخارجية في هذين البلدين ، بمشاركة هيئات الصحة والتعليم والجمارك والهجرة والـطـيران المـدني والإدارات الأخـرى ، إلى تنفيذ توصيات الإجماع الهام لرئيس هذين البلدين ، وتعزيز التواصل والتنسيق بين البلدين. كما ينفذ الجانبان جهودا مشتركة للوقاية والسيطرة والتغلب على الوباء بشكل مشترك وتحسين صحة ورفاهية الشعبين وحماية التبادلات والتعاون الثنائي وتعزيزهما.

- عقدت الصين و 17 دولة في وسط وشرق أوروبا (CEEC) مؤتمرا بالفيديو للخبراء حول الوقاية والسيطرة على COVID-19 ، شارك فيه مسؤولون من وزارة الخارجية الصينية ، اللجنة الوطنية للصحة (NHC) ، وخـبراء صينيون في مكافحة الأمـراض ، الطيران المدني ، الجمارك. وتقاسمت مجالات أخرى معلومات حول مكافحة الوباء وتبادل تجارب الوقاية والسيطرة مع المسؤولين الحكوميين والخبراء من ألبانيا والبوسنة والهرسك وبلغاريا وكرواتيا وجمهورية التشيك وأعضاء آخرين في مجلس أوروبا الوسطى والشرقية.

- نشر خبراء من جامعة العلوم والتكنولوجيا الصينية وأول مستشفى تابع لها مقالا بعنوان "الخلايا التائية المسببة للأمراض والعاصفة الالتهابية في مرضى COVID-19 الشديدين".

14 مارس 2020

- أفادت وكالة أنباء الصين الجديدة (شينخوا) أن الرئيس الصيني شي جين بينغ بعث مؤخرا برسالة تعاطف إلى الرئيس الإيطالي سيرجيو ماتاريلا ، معربا عن تعاطفه الصادق نيابة عن الحكومة الصينية وشعبها مع الحكومة والشعب الإيطاليين بشأن وبـاء COVID-19 الأخـير في إيطاليا. وشـدد شي على أن الحكومة الصينية وشعبها يؤيدان بقوة حرب إيطاليا ضد تفشي COVID-19 في هذا الوقت العصيب ، والصين مستعدة للتعاون مع إيطاليا وتقديم المساعدة. وأشار شي إلى أن البشرية هي مجتمع له مستقبل مشترك وأنه من خلال الوحدة والتنسيق فقط يمكن للبشرية معالجة المخاطر والتحديات العالمية المختلفة. وأضاف إنه طالما أن البلدين والمجتمع الدولي الأوسع يبذلان جهودا مشتركة ، فسوف يتغلبان بالتأكيد على الصعوبات الحالية وسيغلبان على الوباء في وقت مبكر ، وذلك لحماية رفاهية الناس في كلا البلدين وعبر العالمية.

- بعث الرئيس الصيني شي جين بينغ مؤخراً برسالة تعاطف إلى الرئيس الإيراني حسن روحاني ، يعرب فيها عن تعاطفه القلبية نيابة عن الصين حكومة وشعباً مع الحكومة والشعب الإيراني بشأن الوباء. وأشـارشي إلى أن حكومة وشعب إيـران قدموا دعما ومخلصين ودوديـــن ومخلصين لمحاربة الصين للوباء.وقال إن الصين تساعد إيران في التغلب على المرض ، عرضت الصين على إيران مجموعة من الإمدادات المضادة للوباء وأرسلت فريقا من خبراء الصحة المتطوعين.

وشدد شي على أن الصين مستعدة لتكثيف التعاون مع إيران لاحتواء الوباء وستستمر في تقديم أكبر قدر ممكن من المساعدة لإيران في حرب الأخيرة ضد تفشي COVID-19 ، مضيفًا أنه واثق من أن الحكومة والشعب الإيراني سيفوز بالتأكيد المعركة ضد تفشي المرض.

- بعث الرئيس الصيني شي جين بينغ مؤخرا رسالة تعاطف إلى رئيس جمهورية كوريا مون جايين ، معربا عن تعاطفه القلبية نيابة عن الصين حكومة وشعبا لحكومة جمهورية كوريا وشعب جمهورية كوريا بشأن الوباء. وأشار

شي إلى أن الأوبئة لا تعرف حـدودا ، وأن جميع الدول في جميع أنحاء العالم جزء من مجتمع ذي مستقبل مشترك ، وتتعاطف الصين حكومة وشعبا مع جمهورية كوريا في كفاحها ضد الوباء والصعوبات ذات الصلة.

وقال شي إن الصين ستستمر في تقديم أكبر قدر ممكن من المساعدة لجمهورية كوريا لدعم معركة الأخيرة ضد تفشي COVID-19 ، الجانب الصيني على استعداد للتعاون مع جمهورية كوريا للفوز في مكافحة الوباء في وقت مبكر. وذلك لحماية حياة وصحة شعب البلدين والعالم الأوسع.

- فى ظل الية مشتركة للوقاية والسيطرة لمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفي ببكين حول تصنيف مخاطر الوباء COVID-19 ، قائلا ان الغالبية العظمى من المقاطعات فى البر الرئيسى الصينى كانت منخفضة المخاطر حتى الان من خلال المراقبة. من المقاطعات عالية ومتوسطة ومنخفضة المخاطر. نشرت المقاطعات والبلديات والمناطق المستقلة ذات الصلة قوائم بالمقاطعات عالية ومتوسطة ومنخفضة المخاطر.

15 مارس 2020

- فى ظـل آلية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفي ببكين جاء فيه أن جميع الحالات المحلية المؤكدة من COVID-19 جاءت من ووهان.كما تم الكشف أنه لم يتم الإبلاغ عن حالات محلية مؤكدة جديدة في مدن أخرى غير ووهان لمدة 10 أيام متتالية، كما تم تسجيل عدد الحالات المحلية المؤكدة الجديدة في مقاطعات أخرى بخلاف هوبي منذ 27 فبراير ولم يتم الإبلاغ عن أي حالات محلية جديدة مؤكدة لمدة ثلاثة أيام متتالية.

16 مارس 2020

- تحدث الرئيس الصيني شي جين بينغ هاتفيا مع جوزيبي كونتي ، رئيس الـوزراء الإيطالي. وأشـار إلى أن الصين ترغب في العمل مع إيطاليا للمساهمة في التعاون الدولي في مكافحة الوباء وبناء "طريق حرير صحي" ، معتبرا أن الصداقة التقليدية والثقة المتبادلة سوف تتعمق أكثر وأن التعاون الشامل بين الصين و إيطاليا ستبشر بآفاق أوسع من خلال هذه المعركة المشتركة ضد الوباء.

- أفادت وكالة أنباء شينخوا أن لي كه تشيانغ تـرأس اجتماعا بشأن أعـمال الاستجابة لـ COVID-19 ، واتخاذ المزيد من الترتيبات لتحسين تدابير الوقاية والسيطرة وتسريع العمل واستئناف التصنيع في جميع الجوانب واستعادة النظام الاقتصادي والاجتماعي العادي.

- عقد مكتب الإعلام بمجلس الدولة مؤتمرا صحفيا بالانجليزية في نفس الوقت فى بكين ووهان. أجاب خبراء من الفريق الطبي في مستشفى كلية بكين يونيون الطبية على أسئلة وسائل الإعلام الأجنبية حول القضايا المتعلقة بعلاج مرضى COVID-19 الذين يعانون من أعراض شديدة.

- عقد المكتب الإعلامي لمجلس الدولة مؤتمرا صحفيا في هوبي حول العلاج العلمي لمرضى COVID-19 الذين يعانون من أعراض شديدة.

- فى ظل آلية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفي بكين حول إجـراءات الوقاية والسيطرة التي تبنتها الصين وفقا للقانون للوقاية مـن حـالات COVID-19 المستوردة.

17 مارس 2020

- أجـرى الرئيس الصيني شي جين بينغ محادثات مع الرئيس الباكستاني عارف ألفي في بكين ، مشيرا إلى أن وباء COVID-19 يندلع في أماكن كثيرة حول العالم في الوقت الحاضر ، وينبغي لجميع الدول أن تتكاتف لمكافحة الوباء. وقال شي ، من خلال التمسك برؤية مجتمع له مستقبل مشترك للبشرية ، أن الصين نشرت في الوقت المناسب معلومات عن الوباء وتقاسمت تجربة الوقاية والعلاج بشكل علني وشفاف ومسؤول ، مضيفا أن الصين ترغب في تقديم المزيد من المساهمات لمنع انتشار الوباء. في جميع أنحاء العالم وستواصل تقديم الدعم والمساعدة لباكستان.

- تحدث الرئيس الصيني شى جين بينغ هاتفيا مع رئيس الوزراء الاسبان بيدرو سانشيز بناء ، مؤكدا ان إجراءات الوقاية والسيطرة فى الصين حققت نتائج ايجابية وخرجت من أصعب مرحلة وأشدها صعوبة من خلال العمل الشاق للبلاد بأسرها.وقال شي إنه مع انتشار الوباء في العديد من الدول ، فإن الصين مستعدة للقيام بالتعاون الدولي مع الدول الأخرى وتقديم المساعدة في حدود قدراتها.وأعرب المسؤول الصيني عن أمله في أن يعمل المجتمع الدولي معًا لتحويل الأزمات إلى فرص ، ومقاومة تأثير الوباء من خلال إجراءات عملية مفتوحة ومتعاونة ، وحماية الأمن الصحي الدولي بشكل مشترك.

- فى ظل آلية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفي بكين لتقديم أحدث البحوث وتطوير اللقاحات والكشوفات\.

- عقدت الصين واليابان وجمهورية كوريا مؤتمرًا عبر الهاتف بين رؤساء أقسام الاستجابة COVID-19. عرضت الأطراف الثلاثة حالة الوباء وتدابيره في بلدانهم وتبادلت وجهات النظر المتعمقة بشأن تعزيز التعاون في مجال الوقاية من الوباء ومكافحته. كانوا يعتقدون أنه يجب عليهم منع انتشار الوباء بشكل مشترك وتعزيز الوقاية والسيطرة على المفاصل.

- بدأت الصين في توريد 14 نوعا من مجموعات الاختبار المحلية إلى 11 دولـة ، مع وصـول الدفعة الأولى من مجموعات الاختبار التي تبرعت بها الصين لكمبوديا إلى بنوم بنه.

- شارك مسؤول كبير من زيمبابوي في مؤتمر الفيديو الصيني الأفريقي حول COVID-19 في هـراري ، زيمبابوي ، يوم 18 مارس 2020. و تبادل الخبراء والمسؤولون الصينيون المعلومات والخبرة حول COVID-19 في مؤتمر بالفيديو مع المسؤولين والمتخصصين في الرعاية الصحية من المراكز الأفريقية لمكافحة الأمراض والوقاية منها و 24 دولة أفريقية. (شينخوا / تشانغ يولينغ).

18 مارس 2020

ذكرت وكالة أنباء شينخوا ان شي جين بينغ الأمين العام للجنة المركزية ترأس اجتماعا للجنة الدائمة للمكتب السياسي لتحليل وضع الوقاية من الوباء COVID-19 والسيطرة عليه. ، واتخاذ الترتيبات لتنسيق الوقاية من الوباء ومكافحته مع العمل الرئيسي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية. وحث شي على توثيق التعاون مع المجتمع الدولي بشأن الوقاية من الأوبئة ومكافحتها ، مؤكدا أن الصين ستواصل تعاونها الوثيق مع منظمة الصحة العالمية لتعزيز تحليل والتنبؤ بالتغيرات في وضع الوباء العالمي ، وتحسين الاستراتيجيات والسياسات لمواجهة المخاطر المستوردة ، وتعزيز التبادلات والتعاون مع الدول الأخرى بشأن الاستجابة الوبائية ، ومواصلة تقديم المـسـاعـدة عـلى أفضل وجه للصين.

- تحدث رئيس مجلس الدولة الصيني لي كه تشيانغ عبر الهاتف مع رئيسة المفوضية الأوروبية أورسولا فون دير لين ، قائلا في ظل الظروف الحالية ، إن الصين تقف بحزم مع الاتحاد الأوروبي وتدعم جهودها لمكافحة الوباء. وقال لي إن الصين ستسهل مشترياتها من الإمدادات الطبية عبر القنوات التجارية ، مضيفا أن الصين مستعدة أيضا للقيام بنشاط بالتعاون الدولي من أجل حماية صحة البشرية بشكل مشترك.

- تحدث رئيس مجلس الدولة الصيني لي كه تشيانغ عبر الهاتف مع رئيس الوزراء البلغاري بويكوبوريسوف. وقال لي إن الصين مستعدة لتعزيز تبادل الخبرات في مكافحة الوباء مع بلغاريا ، وتقديم المساعدة في حـدود قدرة الصين لمساعدتها على احتواء انتشار COVID-19 ، وتـوفـير التسهيلات الضرورية للجانب البلغاري في شراء الإمـدادات الطبية من خلال القنوات التجارية.

- وصلت المجموعة الثانية من

الخبراء الطبيين الصينيين إلى إيطاليا ، وعلى متنها تسعة أطنان من الإمدادات الطبية التي تبرعت بها الصين ، بما في ذلك أجهزة التهوية ومضخات التسريب والشاشات وكواشف الاختبار.

- عقدت الصين وأفريقيا مؤتمرا بالفيديو حول الوقاية من وباء -COVID 19ومكافحته. وحضر الاجتماع عبر الإنترنت حوالي 300 مسؤول وخبير صحي من 24 دولة أفريقية ، بما في ذلك وزراء الصحة من إثيوبيا وكينيا وليبيريا وممثلو منظمة الصحة العالمية في بعض البلدان.

- عقدت الصين ومنغوليا اجتماعا بالفيديو حول وباء COVID-19 ، حيث تبادلت الصين تكنولوجياتها وخبرتها في مكافحة الوباء ومكافحتها ، وأجرت تبادلات متعمقة في حالة الوباء ، وتدابير المنع والسيطرة ، والفحص والتشخيص. ، وإرشادات العلاج.

- فى ظل الية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفي بكين أعلن فيه أن البر الرئيسي الصيني أبلغ للمرة الأولى يوم 17 مارس عن عدم وجود حالات محلية جديدة مشتبه بها لـ COVID-19. و أن مقاطعة هوبي لم تشهد أي حالات مؤكدة جديدة لمدة 13 يومًا متتالية في المدن والمحافظات خارج ووهان.

- أصدر فريق التفتيش التابع للجنة الإشراف الوطنية تقرير التحقيق في القضايا المتعلقة بالطبيب Li Wenliang ، طبيب العيون بالمستشفى المركزي في ووهان. وعقب التقرير ، قرر مكتب الأمن العام في ووهان إلغاء خطاب التوبيخ السابق واعتذر لعائلة لي بسبب الخطأ.

- قال تشونغنانشان فى مؤتمر صحفي في قوانغتشو إن الصين أثبتت فعالية إجراءات الاحتواء فى مناطق تفشى المرض والوقاية العامة وإجراءات السيطرة فى مناطق أخرى.

19 مارس 2020

- تحدث الرئيس الصيني شي جين بينغ هاتفيا مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ، مؤكدا مجددا أن الصين على استعداد للعمل مع روسيا ودول أخرى لتعزيز التعاون الدولي ضد وباء COVID-19 من أجل بناء مجتمع مشترك المستقبل للبشرية. ودعا شي إلى تعاون دولي أوثق في مجال الوقاية من الأوبئة ومكافحتها ، وتبادل الخبرات بشأن الاحتواء والعلاج ، وتيسير البحث المشترك ، لمواجهة التهديدات والتحديات المشتركة ، وحماية أمن الصحة العامة العالمي.

- أفادت وكالة أنباء شينخوا أن لي كه تشيانغ ترأس اجتماع المجموعة القيادية للجنة المركزية للحزب بشأن الاستجابة لوباء COVID-19 ، ووضع الترتيبات لتحسين تدابير الوقاية والسيطرة ، وكبح على وجه التحديد انتقال COVID-19 عبر الحدود ، والعمل بنشاط على استئناف العمل والإنتاج بشكل منظم.

- عقد اللجنة الوطنية للصحة (NHC) اجتماعا مع سفارة اليابان في الصين لتبادل وجهات النظر في بناء آلية الوقاية السريرية والوبائية للاستجابة المشتركة لوباء COVID-19.

عقدت لجنة الصحة ببلدية شانغهاي ولجنة الصحة في مقاطعة أنهوي اجتماعات بالفيديو مع متخصصين من كوستاريكا وجنوب السودان ، على التوالي ، للتبادل بشأن الوقاية من الأوبئة ومكافحتها.

- فى ظل الية مشتركة للوقاية والسيطرة لمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفي ببكين قال فيه انه لم يتم الإبلاغ

- عقدت وزارة الخارجية الصينية والمركز الوطني للصحة معا اجتماع فيديو بين الصين وأوروبا مع 18 دولة أوروبية بما في ذلك بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا وسويسرا ، لتقديم تجربة الصين في الوقاية من تفشي COVID-19 والسيطرة عليه للمسؤولين الأوروبيين والمتخصصين الطبيين.

عن حالات جديدة مؤكدة ومشتبه بها لـ COVID-19 للمرة الاولى فى البر الرئيسي الصيني يوم 18 مارس. وأنه لم ترد أنباء عن وقوع وفيات جديدة خارج مقاطعة هوبي ، وانخفض عدد الحالات الشديدة بحالتين. ولم يتم الإبلاغ عن حالات محلية مؤكدة جديدة خارج هوبي في البر الرئيسي الصيني لمدة سبعة أيام متتالية ، كما كشف ذلك المؤتمر الصحفي. وبحسب المؤتمر الصحفي ، فإن خطر الإصابة بحالات COVID-19 المستوردة آخذ في الارتفاع بسبب الانتشار السريع للوباء على مستوى العالم ، وبالتالي يجب تنفيذ مهمة منع المخاطر المستوردة.

- شارك متخصصون من مركز مكافحة الأمراض والوقاية منها في الصين في مؤتمر عبر الهاتف مع منظمة الصحة العالمية والشبكة العالمية للإنذار بحدوث الأوبئة والاستجابة لها (GOARN) لتقديم تجربة الصين في الوقاية من COVID-19 ومكافحته.

- حضر ZhongNanshan اجتماع تبادل وتبادل دولي حول تجربة الوقاية من الأوبئة ومكافحتها ، ودعا إلى إبلاء اهتمام كبير لانتشار فيروسات تاجية جديدة في عدد من البلدان ، قائلاً إنه من المهم إجراء الكشف المبكر والحجر المبكر والتشخيص المبكر والتشخيص المبكر العلاج للسيطرة على الوباء.

20 مارس 2020

- بمبادرة من الصين ، عقد عضو مجلس الدولة الصيني ووزير الخارجية وانغ يي مؤتمرا خاصا بالفيديو حول COVID-19 مع وزير خارجية جمهورية كوريا كانغ كيونغ - وا و وزير الخارجية الياباني توشيمي تسوموتيجي. وقد تبادلا وجهات النظر بشكل متعمق حول الاستجابة المشتركة للوباء.

- عقدت اللجنة الوطنية للصحة (NHC) ووزارة الخارجية الصينية اجتماعا بالفيديو مع 19 دولة من أوروبا وآسيا لتوفير منصة للمتخصصين لتبادل وتبادل التقنيات للوقاية من وباء COVID-19 ومكافحته.

- فى ظل الية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفي ببكين ، معلنا أنه لم يتم الإبلاغ

عن حالات اصابة مؤكدة او مشتبه بها بـ COVID-19في البر الرئيسي الصيني يوم 19 مارس. وكانت هذه المرة الأولى من نوعها. تقرير صفري عن البر الرئيسي الصيني منذ أن بدأ المعركة على الصعيد الوطني ضد الفيروس التاجي.

- حضر متخصصون من مركز مكافحة الأمـراض والوقاية منها في الصين مؤتمراً عن بعد نظمته منظمة الصحة العالمية بشأن بحث لقاح COVID-19.

21 مارس 2020

- أفادت وكالة أنباء الصين الجديدة (شينخوا) أن الرئيس الصيني شي جين بينغ بعث مؤخرا برسالة تعاطف إلى الملك الإسباني فيليبي السادس ، معربا عن تعاطفه الصادق نيابة عن الصين حكومة وشعبا مع الحكومة والشعب الإسباني بشأن تفشي الكوفيد 19- الأخير في إسبانيا.وأشار شي إلى أن الصين تدعم بقوة جهود إسبانيا وإجراءاتها في مكافحة الوباء ، وهـي على استعداد لتبادل الخبرات في مجال الوقاية والسيطرة بالإضافة إلى إرشادات التشخيص والعلاج ، وتقديم المساعدة والدعم في حدود قدراتها.

- بعث الرئيس الصيني شي جين بينغ مؤخرا رسالة تعاطف إلى الرئيس الصربي ألكسندر فوتشيك ، معربا عن تعاطفه الصادق نيابة عن الحكومة الصينية وشعبها مع الحكومة والشعب الصربي بشأن تفشي COVID-19 الأخـير في صربيا.وشدد شي على أن الصين تدعم بقوة جهود صربيا ضد الوباء ، وسوف تقدم صربيا المساعدة في المعدات الوقائية والأدوات الطبية ، وتساعدها على شراء الإمدادات التي تشتد الحاجة إليها في الصين.و سترسل الصين أيضًا مجموعة من الخبراء الطبيين لمساعدتها على احتواء وباء COVID-19 بشكل أفضل، من أجل حماية حياة وصحة ورفاهية الشعب الصربي.

- بعث الرئيس الصيني شي جين بينغ رسالة تعاطف إلى المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل ، مؤكدا أن الصين تدعم بقوة مساعي ألمانيا في مكافحة الوباء وترغب في تقديم المساعدة في حدود قدرتها إذا كانت هناك حاجة من الجانب الألماني.وأشار شي إلى أنه من خلال التمسك برؤية بناء مجتمع ذي مستقبل مشترك للبشرية ، فإن الصين مستعدة لمواصلة تبادل المعلومات والخبرة مع ألمانيا ، وتعزيز التعاون في مجالات مثل الوقاية من الأوبئة ومكافحتها ، وعلاج المرضى ، والبحث والتطوير في مجال اللقاحات. وذلك من أجل الحماية المشتركة لصحة ورفاهية الناس ليس فقط في كلا البلدين ولكن في بقية العالم.

- بعث الرئيس الصيني شي جين بينغ رسالة تعاطف إلى الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون ، مشيرا إلى أن الصين حكومة وشعبا تدعم بقوة جهود فرنسا ضد وباء كوفيد 19 ، وعلى استعداد لتعزيز التعاون مع فرنسا وكسب المعركة بشكل مشترك من خلال التبادل الدعم والمساعدة.وقال شي إن الصين مستعدة لبذل جهود متضافرة مع فرنسا لتعزيز التعاون الدولي في الوقاية من الأوبئة ومكافحتها ، ودعـم الأمـم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية اللتين تلعبان دورًا أساسيًا في تحسين إدارة الصحة العامة العالمية ، وبناء مجتمع من الصحة المشتركة للبشرية.

22 مارس 2020

- فى ظـل آلية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفي بكين للتأكيد على اهمية تنفيذ اجـراءات المنع والسيطرة فى الحجر الصحى والنقل والعلاج والعزل للحد من حالات COVID-19 المستوردة حيث ان الوباء هو تؤثر على أكثر من 180 دولة ومنطقة.

- وصل فريق طبي صيني يحمل أجهزة تهوية وأقنعة طبية وأطقم اختبار ومواد طبية أخرى إلى الصربية لمساعدته في محاربة الفيروس التاجي الجديد.

23 مارس 2020

- تحدث الرئيس الصيني شي جين بينغ عبر الهاتف مع الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون ، وعرض وضع الوقاية من وباء COVID-19 والسيطرة عليه في الصين.وشدد شي على أن كل من الصين وفرنسا تتحملان المسؤولية الشاقة عن حماية أمـن الصحة العامة على المستويين الدولي والإقليمي ، واقترح أن يقوم كلا البلدين بتعاون مخلص لتعزيز برامج البحث المشتركة ، وتعزيز التعاون في مجال الصحة الحدودية والتفتيش على الحجر الصحي ، ودعم عمل منظمة الصحة العالمية ، بالاشتراك في مساعدة البلدان الأفريقية على تعزيز الوقاية من الأوبئة ومكافحتها ، والسعي لبناء مجتمع من الصحة العامة.وأضاف شي إن الصين مستعدة للعمل مع فرنسا لتشجيع جميع الأطـراف ذات الصلة على تعزيز التنسيق والتعاون ضمن أطر مثل الأمم المتحدة ومجموعة العشرين ، والانخراط في الوقاية والاحتواء المشتركين ، وتحسين إدارة الصحة العالمية ، ومساعدة الدول النامية والدول الأخرى المحتاجة.و بناء القدرات وتخفيف تأثير الوباء على الاقتصاد العالمي.

- تحدث الرئيس الصيني شي جين بينغ هاتفيا مع الرئيس المصري عبد الفتاح السويسي ، مشيرا إلى الحقائق التي أظهرت مرة أخـرى أن البشرية مجتمع يتقاسم الوئام والويل.وأنه يجب على جميع البلدان أن تتحد وتعمل معًا للتعامل بشكل مشترك مع وباء COVID-19. وقال شي إنه من خلال التمسك برؤية مجتمع له مستقبل مشترك للبشرية ، ستعمل الصين مع الدول الأخرى لتعزيز التعاون الدولي في مجال الوقاية من الأوبئة ومكافحتها ، والتعامل المشترك مع التهديدات والتحديات المشتركة ، وحماية أمن الصحة العامة العالمي.مشيرا إلى أن مصر تواجه أيضا مهمة عاجلة لمكافحة الوباء ، قال شي إن الصين مستعدة لتبادل المعلومات المتعلقة بالوباء ، وتجربة الوقاية والعلاج ، ونتائج البحوث الطبية ، وتزويدها بالإمدادات الطبية لدعم الوقاية منها. والسيطرة على الجهود للتغلب على المرض بشكل مشترك.

- تحدث الرئيس الصيني شي جين بينغ هاتفيا مع رئيس الـوزراء البريطاني بوريس جونسون ، حيث قدم تدابير الوقاية من الوباء ومكافحتها في الصين. وشدد شي على أن الصين تأمل في أن تعزز بريطانيا التنسيق مع الصين لتقليل مخاطر انتشار الوباء مع ضمان التدفق الضروري للناس والتجارة. ودعا شي جميع الدول إلى دفع التعاون إلى الأمام في إطار الأمم المتحدة ومجموعة العشرين ، وتعزيز تبادل المعلومات والخبرات وتقاسمها ، وتعزيز التعاون في البحث العلمي ، ودعم منظمة الصحة العالمية في أداء دورها الواجب ، وتحسين الحوكمة الصحية العالمية ، وزيادة الكلي - تنسيق السياسات الاقتصادية من أجل استقرار السوق ، والحفاظ على النمو الاقتصادي ، وحماية رفاهية الناس ، والحفاظ على سلاسل التوريد العالمية مفتوحة ومستقرة وآمنة.

- أفادت وكالة أنباء شينخوا أن لي كه تشيانغ ترأس اجتماعا بشأن الاستجابة للوباء COVID-19 ، ووضع الترتيبات لمنع الـعـدوى المـسـتـوردة وانتعاش COVID-19 في المنزل وفقا للتغيرات في وضع الوباء ، دفع بنشاط استئناف العمل والإنتاج من أجل الحفاظ على فعالية المنع والسيطرة.

- فى ظل الية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفي ببكين ، أعلن فيه أن مقاطعة هوبي ومدينة ووهان لم يبلغا عن حالة جديدة مؤكدة ومشتبه بها لمدة خمسة أيام متتالية ، مع انخفاض عدد الحالات المؤكدة الحالية باستمرار. . وصرح مـسـؤول صحي في المـؤتمـر الصحفي بأن التقرير صفر عن حالات جديدة لا يعني عدم وجود خطر ، وبالتالي لا يزال من الصعب منع الوباء والسيطرة عليه.

- عقد المكتب الإعـلامـي لمجلس الدولة مؤتمرا صحفيا في هوبي ، عرض فيه أهمية وفعالية الطب الصيني التقليدي (TCM) في علاج COVID-19. وأشار تشانغ بولي ، وهو أكاديمي من الأكاديمية الصينية للهندسة ، إلى أن العلاج الصيني التقليدي قلل بشكل ملحوظ من نسبة المرضى الذين يعانون من أعراض خفيفة

تتحول إلى حالات شديدة.

- وصل فريق من الخبراء الطبيين الصينيين يحملون مجموعة من المواد الطبية بمساعدة الصين إلى كمبوديا لمساعدتها على محاربة COVID-19.

24 مارس 2020

- تحدث الرئيس الصيني شي جين بينغ هاتفيا مع الرئيس الكازاخستاني قاسم جومارتتوكاييف ، مشيرا إلى أنه في المعركة ضد أزمة الصحة العامة العالمية الحالية ، أصبحت الحاجة وأهمية بناء مجتمع ذي مستقبل مشترك للبشرية أكبر. ولا يمكن للمجتمع الدولي أن يتغلب على الوباء ويحمي الكوكب إلا بالتضامن والتعاون. وقال شي إن الصين مستعدة للعمل مع كازاخستان ودول أخرى لتعزيز التعاون الدولي ضد الوباء وحماية أمن الصحة العامة العالمي.

- تحدث الرئيس الصينى شي جين بينغ هاتفيا مع الرئيس البولندي اندرزيج دودا ، مؤكدا دعم الصين الثابت للحكومة والشعب البولنديين فى مكافحة وباء كوفيد 19. وأشار شي إلى أن الصين عقدت مؤتمرا بالفيديو لخبراء الصحة مع بولندا ودول وسط وشرق أوروبا الأخرى (CEECs) لتبادل المعلومات في الوقت المناسب والتدابير ذات الصلة بالوقاية من الأوبئة ومكافحتها.وقال شي إنه من خلال التمسك برؤية مجتمع له مستقبل مشترك للبشرية ، فإن الصين مستعدة لتعزيز التعاون مع الدول الأخرى لمكافحة الوباء وحماية أمن الصحة العامة العالمي.

- تحدث الرئيس الصيني شي جين بينغ هاتفيا مع الرئيس البرازيلي يربولسونارو ، مشيرا إلى أن COVID-19 اندلعت في أجزاء كثيرة من العالم وانتشر بسرعة وأن الأولوية القصوى الآن للدول لتعزيز التعاون. وقال شي إنه من خلال التمسك برؤية بناء مجتمع ذي مستقبل مشترك للبشرية ، وبموقف منفتح وشفاف ومسؤول ،وقد أصدرت الصين في الوقت المناسب معلومات عن الوباء وتقاسمت الخبرات في مجال الوقاية والسيطرة

والعلاج مع منظمة الصحة العالمية والمجتمع الدولي ، وتبذل قصارى جهدها لتقديم المساعدة للأطراف الأخرى. وشدد شي على أن المجتمع الدولي أدرك بالفعل أن الصين قدمت تضحيات هائلة في الكفاح ضد COVID-19 واشترت وقتًا ثمينًا للعالم.

- تفاعلت السلطات والخبراء الصينيون عبر مؤتمر بالفيديو مع المهنيين الصحيين عبر دول أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي ، لتقاسم تجربة الوقاية والتحكم COVID-19. وقد حضر الحضور حوالي 200 مسؤول وخبير من 25 دولة وممثلين عن منظمة الصحة العالمية واليونيسف ومنظمة الصحة للبلدان الأمريكية ومصرف التنمية للبلدان الأمريكية.

- فى ظل آلية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفي ببكين مع المتخصصين فى مكافحة الأمراض والخبراء الطبيين لتقديم معلومات الوقاية والتحكم والتشخيص الاكلينيكىCOVID-19. كما تم الكشف عنه في المؤتمر الصحفي ، فإن نشر مخاطر حالات COVID-19 المتفرقة والحالات المستوردة لا يزال موجودًا ، وبالتالي لا ينبغي الاستخفاف بأعمال الوقاية والسيطرة.

25 مارس 2020

- أفادت وكالة أنباء شينخوا بأن شي جين بينغ ، ترأس اجتماع اللجنة الدائمة للمكتب السياسي للاستماع إلى تقارير عن الوقاية من الوباء ومكافحته والوضع الاقتصادي الحالي ، ودراسة التدابير المستجيبة. قرر الاجتماع رفع الإجراءات إلى المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب لمزيد من المراجعة.

- تحدث الرئيس الصيني شي جين بينغ هاتفيا مع المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل ، مؤكدا أن الصين تدعم ألمانيا بقوة في حربها ضد وباء COVID-19 وهي مستعدة لمواصلة تقديم المساعدة في حدود قدرات الصين.وقال شي إن الخبراء الصينيين والألمان قد تبادلا بالفعل الفيديو ، كما سافر الخبراء الألمان إلى الصين مع فريق خبراء منظمة الصحة العالمية. وأضاف أن الصين مستعدة لتتقاسم مع ألمانيا خبرتها في الوقاية والسيطرة والعلاج ، وتعزيز التعاون في مجال البحث والتطوير في مجال اللقاحات والأدوية ، والمساهمة في صحة ورفاهية الشعب وأمن الصحة العامة العالمي. وقال شي لقد أظهرت قوة التضامن والتعاون بين الصين وألمانيا ، وبين الصين والاتحاد الأوروبي ، في المعركة ضد التفشي طاقة إيجابية ، مضيفا أن الصين مستعدة للعمل مع ألمانيا والأطراف الأخرى لتعزيز التنسيق والدعوة إلى روح المشاركة في نفس القارب ومحاربة الوباء معا ، من أجل تعزيز الثقة في المجتمع الدولي.

- فى ظل الية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفي ببكين يطالب ببذل جهود لمنع الالتهابات المستوردة وانتشار الوباء فى الداخل.

- تم افتتاح مختبر PCR جديد بمساعدة وبناء الصين في بغداد ، العراق ، لزيادة القدرة على اختبار احتواء COVID-19 في البلد الذي مزقته الحرب.

- يخطط معهد قوانغتشو للصحة التنفسية للتوقيع مع شركة الأدوية الأمريكية جلعاد ساينس على أبحاث التقييم التي تقودها الصين للطب ريمي سيديفير.

الرئيس الصيني شي جين بينغ يحضر قمة القادة الاستثنائيين لمجموعة العشرين بشأن COVID-19 عبر رابط الفيديو في بكين ، عاصمة الصين ، 26 مارس 2020. (شينخوا / بانغ شينجلي).

26 مارس 2020

- ألقى الرئيس الصيني شي جين بينغ ، عبر رابط فيديو في بكين ، خطابا بعنوان "العمل معا من أجل التغلب على تفشي COVID-19" في قمة قادة مجموعة العشرين الاستثنائية. وشدد على أن تفشي المرض ينتشر في جميع أنحاء العالم والوضع مزعج ومقلق ، كما قال شي إنه يتحتم على المجتمع الدولي تعزيز الثقة والعمل مع الوحدة والعمل معا

في رد جماعي لكسب المعركة ضد مثل هذا المرض المعدي الرئيسي للبشرية. و أن الصين مسترشدة برؤية بناء مجتمع ذي مستقبل مشترك للبشرية ، ستكون مستعدة على نحو قوي لتقاسم ممارساتها الجيدة ، وتقديم المساعدة إلى البلدان المتضررة من التفشي المتزايد ، والمساهمة في استقرار الاقتصاد العالمي.

- كتب الرئيس الصيني شي جين بينغ في رسالة جوابية إلى المدير العام لمنظمة الصحة العالمية تيدروسأدهانومغيبريسوس ، قائلا إن الصين تدعم دائما جهود احتواء COVID-19 العالمية بإجراءات ملموسة ، وعرض المساعدة على منظمة الصحة العالمية والمنظمات الدولية الأخرى ، وكذلك أكثر من 80 دولة. وقال شي إن الصين ستواصل تقديم الدعم للمجتمع الدولي في مكافحة وباء COVID-19.

- أفادت وكالة أنباء شينخوا أن لي كه تشيانغ ترأس اجتماعا ، ودعا إلى تنفيذ صارم للتدابير لمنع عودة الوباء داخل البلاد والجهود المبذولة لتعزيز التدابير للوقاية من مخاطر الحالات المستوردة عن طريق البر والماء.

- فى ظل آلية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفي ببكين أعلن فيه أن 23 منطقة على مستوى المقاطعات أبلغت عن حالات مستوردة من COVID-19 يوم 25 مارس،كما كشف المؤتمر الصحفي ، فإن الضغط لا يزال هائلاً لمنع انتشار الوباء ، وينبغي على الناس الاستعداد لجهود الوقاية والسيطرة المستمرة.

- وصل فريق طبي ثالث من الصين يحمل أجهزة تهوية وشاشات طبية وأقنعة ومستلزمات طبية أخرى إلى إيطاليا عبر رحلة مستأجرة لمساعدة إيطاليا في مكافحة تفشي COVID-19.

- عقدت الصين لقاء بالفيديو حول جائحة COVID-19 مع خبراء طبيين ومسؤولين صحيين من دول غرب آسيا وشمال إفريقيا. وانضم إلى الاجتماع عبر الإنترنت حوالي 200 مشارك من دول مجلس التعاون الخليجي و 16 دولة من بينها مصر والجزائر وفلسطين ولبنان والكويت وقطر.

- وفقا لبيانات الوكالة الصينية للتعاون الإنمائي الدولي، قدمت الصين حتى الآن أربع دفعات من المساعدات لمكافحة الوباء لـ 89 دولة وأربع منظمات دولية ، بينما يتم تطوير الدفعة الخامسة من برنامج المساعدة.

25 مارس 2020

-ذكرت وكالة أنباء شينخوا أن شي جين بينغ ، ، ترأس اجتماعا للمكتب السياسي لتحليل استجابة COVID-19 والأداء الاقتصادي.

وضع الاجتماع ترتيبات جديدة لتنسيق استجابة COVID-19 والتنمية الاقتصادية والاجتماعية.وذكر الاجتماع أن الصين ستعمق التبادل والتعاون مع منظمة الصحة العالمية وستواصل تقديم المساعدة فى حدود قدرتها للدول الأخرى.

- تحدث الرئيس الصيني شي جين بينغ عبر الهاتف مع العاهل السعودي الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود ، مشددا على أن الفيروسات لا تحترم الحدود الوطنية ، ولا يمكن للمجتمع الدولي أن يتغلب عليها إلا من خلال التعاون والاستجابة الجماعية. وقال شي إن الاقتصادات الرئيسية لمجموعة العشرين يجب أن تدعم رؤية بناء مجتمع ذي مستقبل مشترك للبشرية ، وتعزيز الوحدة والتنسيق والتعاون من أجل وقف انتشار وباء COVID-19 بحزم ، وتحقيق الاستقرار في الاقتصاد العالمي بكل قوته وأشار شي إلى أنه برئاسة الملك ، عقد قادة مجموعة العشرين بنجاح قمة استثنائية حول COVID-19 في 26 مارس ، وتوصلوا إلى توافق مهم بشأن مكافحة الوباء في تضامن واستقرار الاقتصاد العالمي ، مما أرسل إشارة إيجابية إلى المجتمع الدولي.وشدد شي على أن الصين مستعدة

للحفاظ على اتصالات وثيقة مع المملكة العربية السعودية وتعزيز زخم تعاون مجموعة العشرين.

- تحدث الرئيس الصيني شي جين بينغ عبر الهاتف مع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب ، مشددًا على أن الصين كانت تشارك في الوقت المناسب المعلومات حول COVID-19 بطريقة مفتوحة وشفافة ومسؤولة مع منظمة الصحة العالمية والبلدان بما في ذلك الولايات المتحدة منذ بداية الوباء. وقال شي إن الصين لم تضيع أي وقت في الإفراج عن معلومات مثل التسلسل الجيني للفيروس التاجي ، كما أنها تتبادل الخبرات بشأن الوقاية من واحتواء ومعالجة COVID-19 ، وتوفير أكبر قدر ممكن من الدعم والمساعدة للبلدان المحتاجة. وقال شي إن الصين ستواصل القيام بذلك، وستعمل مع المجتمع الدولي للسيطرة على الوباء.

- تحدث رئيس مجلس الدولة الصيني لي كه تشيانغ هاتفيا بناء على طلب بشأن جائحة COVID-19 مع رئيس الوزراء الكرواتي أندريه بلينكوفيتش ، الذي تتولى بلاده الرئاسة الدورية للاتحاد الأوروبي ، ومع المستشار النمساوي سيباستيان كورز ، على التوالي.

- فى ظل الية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفى ببكين يعلن ان عدد الاتصالات الوثيقة تحت المراقبة الطبية فى تزايد لمدة سبعة ايام متتالية ، حيث قفز الرقم فى 26 مارس 78 فى المائة. من ذلك في 19 مارس.

يجب تحسين مجموعة التدابير الطارئة والتطبيعية للوقاية من الوباء المحلي والسيطرة عليه بدقة واتخاذ احتياطات صارمة ضد انتشار الفيروس.

- حضر رئيس شئون اللجنة الوطنية للصحة (NHC) الصيني ما شياو وي إحاطة إعلامية عن الوباء COVID-19 عقدتها منظمة الصحة العالمية ، وتبادل الخبرات في مكافحة الفيروس والإجابة على أسئلة من دول أخرى. حضر الاجتماع عبر الإنترنت أكثر من 500 شخص من دول مثل روسيا والبرازيل ومصر وقطر.

28 مارس 2020

- وصل فريق من الخبراء الطبيين الصينيين يحمل إمدادات طبية إلى باكستان لمساعدتها على محاربة COVID-19.

- بدعوة من جمعية الجهاز التنفسي الأوروبية ، حضر وانغ تشن ، نائب رئيس الأكاديمية الصينية للهندسة وأيضًا أخصائي طبي لأمراض الجهاز التنفسي الحرجة ، اتصالاً بالفيديو وشارك نقاش السياسات الصحية للوقاية والتحكم من COVID-19 مع الأوروبيين. مع زملائه الأطباء ومدراء الصحة.

- تحدث الرئيس الصيني شي جين بينغ ، مع القرويين من قرية يوكون وتعرف على التغييرات الضخمة التي أحدثها تقدم التنمية الخضراء ، في القرية و في بلدة تيانهوانغبينغ في مقاطعة أنجي ، مقاطعة تشجيانغ شرقي الصين ، 30 مارس 2020. كما المنطفة في الفترة من 29 مارس إلى 1 أبريل 2020. (شينخوا / شين هونغ).

29 مارس 2020

- قام الرئيس الصينشى جين بينغ ، وهو ايضا السكرتير العام للجنة المركزية ، بجولة تفقدية للسيطرة على COVID-19 واستئناف العمل فى مقاطعة تشجيانغ بشرق الصين من 29 مارس الى 1 ابريل ، وفقا لما ذكره تقرير وكالة أنباء شينخوا.ودعا إلى التنفيذ الكامل للقرارات والترتيبات من قبل اللجنة المركزية للحزب ، مع تنسيق جهود الوقاية والتحكم في COVID-19 ، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

- فى ظل آلية مشتركة للوقاية والسيطرة لمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفي ببكين أعلن فيه ان انتقال الكوبد 19 محليا قد اوقف بشكل رئيسى فى البر الرئيسي الصيني ، وستواصل الصين جهودها للوقاية من المخاطر المزدوجة الناجمة عن الحالات المحلية المتفرقة والحالات المستوردة.

- وصل فريق لاوس من الخبراء الطبيين

الصينيين الذين يحملون الإمـدادات الطبية ، مثل آلات العلاج ، والمواد الواقية ، والأدوية الصينية والغربية التقليدية ، إلى لاوس للمساعدة في مكافحة البلاد لتفشي COVID-19

خـبراء طبيون صينيون يشاركون خبراتهم في مجال الوقاية والسيطرة على COVID-19 مع خـبراء صحيين ومسؤولين من وزارة الصحة الفنزويلية ، في كـاراكـاس ، فنزويلا ، 31 مارس 2020. وقد أرسلت الصين فريقًا من الخبراء الطبيين وإمـدادات المساعدة إلى فنزويلا لمساعدة البلاد محاربة جائحة COVID-19. (شينخوا / سالجادو).

30 مارس 2020

ذكـرت وكالة انباء شينخوا ان لى كه تشيانغ ترأس اجتماعا للمجموعة القيادية من أعمال الاستجابة للجنة المركزية 19 للجنة المركزية ، وحثت على بذل جهود لتوحيد إجـراءات الوقاية والسيطرة للتركيز على الوقاية والسيطرة على حالات الالتهابات التى لا تظهر. الأعراض.

- استضافت الإدارة الدولية للجنة المركزية للحزب وأمانة اللجنة الدائمة للمؤتمر الـدولي لـلأحـزاب السياسية الآسيوية ندوة على الإنترنت حول القتال المشترك ضد COVID-19 ، بهدف تعزيز التبادل والحوار بين السياسيين الآسيويين. الأطراف في الوقاية من الأوبئة ومكافحتها عبر الاتصال عبر الإنترنت ، وتعزيز تبادل الخبرات والتعاون بين الدول الآسيوية.

- وصل فريق من الخبراء الطبيين والعلميين الصينيين يحملون معدات اختبار ، ومـعـدات حـماية طبية ، وأدويـة وغيرها من الإمـدادات الطبية التي تبرعت بها الصين إلى كاراكاس ، عاصمة فنزويلا ، للمساعدة في مكافحة COVID-19.

- بدعوة من الكلية الأمريكية لأطباء الصدر ، حضر خبراء طبيون صينيون منتدى شبكة COVID-19 مع نظرائهم الأمريكيين وخبراتهم المشتركة في مكافحة الفيروس.

- بعد ان تـم تطويره مـن قبل الشركات الصينية ، و تم الانتهاء منه تم تسليم مستشفى ويلكينز بزيمبابوي مركزا للحجر الصحي والعلاج الرئيسي . COVID-19

- تحدث رئيس هيئة الصحة الوطنية الصينية ما شياو وي عبر الهاتف مع وزير الصحة والخدمات الإنسانية الأمريكي أليكس عازار بشأن تنفيذ المبادئ التي اتفق عليها رئيسا الصين والولايات المتحدة في محادثة هاتفية في 27 مارس ، وتشاركا المعطيات عن آخر وباء في الصين. وحالة المنع والسيطرة وتبادل وجهات النظر لمزيد من التعاون.

يعقد المكتب الإعـلامـي لمجلس الدولة مؤتمرا صحفيا لتقديم علاج COVID-19 في ووهان بمقاطعة هوبي بوسط الصين ، 31 مارس 2020. (شينخوا / شيونغ تشى).

31 مارس 2020

- تحدث رئيس مجلس الدولة الصينى لى كه تشيانغ عبر الهاتف مع رئيس الـوزرا1ء الجزائري عبد العزيز جراد ، قائلا ان وباء كوفيد 19 ينتشر فى منطقة الشرق الأوسط والصين تشعر بحماس شديد تجاهه. وقال لي إن الصين تقف بحزم مع الجزائر ، وهي مستعدة لتقديم الدعم في حدود قدرتها وتقاسم خبرتها في مكافحة الفيروسات.

- تحدث رئيس مجلس الدولة الصينى لى كه تشيانغ هاتفيا مع رئيس الـوزراء الايرلندى ليو فارادكار ، قائلا ان الصين تدعم بقوة جهود ايرلندا فى مكافحة المرض ، وترغب فى تقديم ايرلندا المساعدة اللازمة فى حدود قدراتها. وقال لي إن الصين مستعدة أيضا لتسهيل شراء أيرلندا ونقل الإمدادات الطبية من الصين ، وتعزيز تبادل الخبرات بشأن الوقاية من الأوبئة وعلاجها ، وتنفيذ التعاون في مجال البحث والتطوير الطبي.

- عقد المكتب الإعـلامـي لمجلس الدولة مؤتمرا صحفيا في مدينة ووهان بمقاطعة هـوبي ، وأجـاب عن أسئلة حول الوقاية من وبـاء COVID-19 ومكافحته ، وعلاج المرضى الحادين ، واستئناف النظام الطبي الطبيعي في المقاطعة ، والتعاون الدولي للوقاية من الوباء. والسيطرة عليه.

- قال متحدث باسم وزارة الخارجية الصينية في مؤتمر صحفي ببكين إن الحكومة الصينية قدمت مساعدات مادية بما فى ذلك أقنعة طبية ، أقنعة N95 ، بدلات واقية ، كاشف اختبار الحمض النووي وأجهزة تهوية لـ 120 دولة و 4 منظمات دولية.كما تبرعت الحكومات المحلية بإمدادات طبية لأكثر من 50 دولة. وتبرعت الشركات الصينية باللوازم الطبية لأكثر من 100 دولة ومنظمة دولية. ■

قصة قصيرة

الزائر المدهش

زهير الخراز

كانت تفصلني عنه مسافة أربعين قبرا.. حين لمحته ذاك المساء البعيد وهو يغادر"روضة الريحان".. كنت قد انتهيت لتوي من غرس جذور "العاطرشة"* على قبره وإرواء تربته، وتلميع شاهده ، حينما باغتني بظهوره المفاجئ..تماما كما عهدته من ذي قبل..كان يعتمر طربوشه "التونسي" الضارب إلى حمرة الكرز..يختال بجلبابه "الصوفي" المخطط بالأبيض والأسود..ويشق طريقا مترابا بـ "بلغته" الصفراء المصنوعة على يد صديقه الحميم "المعلم" "السي التهامي" ، أمين "الخرازين" .

رغم أنه تراءى لي من جانب واحد..أي من الظهر فقط إلا أن قامته المربوعة الشكل توحي بأنه هو..أو يكاد أن يكون هو.. إذ يستحيل أن تجتمع كل هذه الصدف في شخص واحد..

طرقت أذني في الحال، ودون موعد مسبق، كل الحكايا التي أمطرتنا بوابلها جارتنا العجوز، عن الأموات الجوالين، وعن زياراتهم غير المنتظرة والمفاجئة، للأهل والديار .."هي فرصة واحدة فقط تمنح لبعض المحظوظين من الأحياء لرؤية أحبائهم من الموتى، ولا تتكرر أبدا ولا يحصل هذا إلا في عشية "الخميس الاستثنائي"، أسرت لنا "غسالة موتى النساء" ليلتها ونحن يشاكس بعضنا بعضا، ونتقاتل من أجل الفوز ببقعة مثالية على عتبة بيتها الباردة.. كنا نشعر برهبة تشوبها اللذة ونحن نستمع لهذه العجوز وهي تحكي بلا ملل عبر مخارج فمها الأدرد قصصها الغريبة و المرعبة، مما يجعلنا نتقلب على فراشنا طوال الليل، دون أن يغمض لنا جفن..

بعد جهد جهيد تمكنت من إبطال مفعول الذهول..حينها أدركت أنه الخميس الاستثنائي.. فأسرعت الخطى..حاولت اللحاق به.. وحينما لفظتني بوابة "الروضة "الموحشة، صارت تفصلني عنه مسافة مقدارها عشرون عربة مركونة خارج السور الرفيع الذي يفصل بين الموت والحياة..هي نفسها المسافة التي تراءى لي من خلالها هناك حينما كنت ضيفا على الموتى..فلو أجرينا عملية حسابية بسيطة، لاكتشفنا أن كل عربة من عربات هؤلاء الزوار تعادل قبرين..

بخطى ثابتة تكاد لا تلامس الأرض..بخيلاء..بهامته الشامخة، كان يسابقني، وكأنه لا يبارح مكانه..فحسبت أن الأرض تطوى من تحت قدميه.. كنت ألهث وراءه، ناديته..أَشرت عليه بالتريث..عله يسعفني بإشارة..ببشارة..بإيماءة.. بأثر صغير وإن كان بسمك شعرة، كي أقطع به الشك باليقين..لكنه لم يعرني انتباها.. شحذت كل حواسي..هذه المرة اكتشفت أن أروع شيء ورثته عن هذا الرجل المنفلت، هو حدة بصره..

تراءى لي ذلك من بعيد..تلك الثقوب السوداء الصغيرة التي تنتشر على حافتي كتفيه من الوراء.. لي معها ذكريات طريفة جدا..ثقوب نقشتها نيازك سجائره المحلقة في كل مكان..ما خفي من تلك الثقوب والتي تنتشر على الجانب الأمامي من جلابيبه كان أعظم..ثقوب اتخذتها وأنا طفل صغير بمثابة نوافذ صغيرة وعجيبة، أطل من خلالها على عوالم ذات أبعاد غريبة، طبعا يحدث هذا حينما يدعوني أبي للاحتماء من المطر الغزير تحت جلبابه الرحب..أما حين يعربد الرعد فكنت أغادر نوافذي السوداء..ألتصق بأبي..أستمد منه الدفء والأمان.. يتنازل بصري لبصره.. أقتفي خطاه..وأستمتع بإيقاع المطر وهو ينقر بأصابعه الفضية جلبابه الحصين...

وأنا أجاريه، خيل إلي في لحظة من اللحظات، أنني جلت معه نصف الكون..تحدنا مسافة واحدة..لا أنا بسابقه ولا هو بسابقي..كل يسبح في فلكه.. كانت أولى وقفاته بعد هذا السباق المارطوني الشاق، عند ناصية المقهى البحري الصغير المسمى "زريرق" ..والذي كان قيد حياته أحد رواده المخلصين..أذكر أنني صاحبت أبي إلى هذا المقهى البحري أكثر من مرة..كانوا يومئذ يفترشون الحصير بدل المقاعد..أذكر أننا كنا نلوذ بظل "كرمة" العنب.. يطلب هو فنجان الشاي..أطلب زجاجة "كازيوسا"..أتلذذ بملمسها الزجاجي البارد قبل أن أتجرعها.. يمازحني قائلا:"ماذا تنتظر؟.. هيا اشربها قبل أن تصير بولا"..أضحك من كلامه وأنا أمتص من حلمة الزجاجة بضع قطرات.. يرتشف من كأسه رشفة حارة وهو مغمض العينين، ويقول:"أتاي بعد العصر كيفتح البصر".. وما هي إلا لحظات حتى يسقط جل الزبائن صرعى، حكايا السي "الطرابانجي" الغرائبية، الكل يتمرغ أرضا من شدة الضحك..وحده أبي يظل راسخا مثل جبل من جليد، يمارس رصانته المعتادة من خلال أسارير وجهه الجامدة ..فقط يطفو على شفتيه ظل ابتسامة ساخرة..

كانت وقفة صغيرة لم تدم سوى بضع ثوان..حاولت من خلالها استغلالها للحاق به، لكن دون جدوى.. خلت بعدها أنني ألاحق شبحا، أو سرابا..فزاد هذا من قلقي وحيرتي.. تمنيت في تلك الثواني القليلة لو أنه تلفت لرؤية المقهى حتى أدمر آخر معقل للشك، وأملي عيني بمشاهدة و لو شطر وجهه الذي افتقدته كثيرا.. لكنه لم يفعل..ظل ساكنا كمن يتمشى نائما..ثم تابع رحلته الغرائبية..لا يلوي على شيء..لا يصدر عنه أدنى صوت.. وكأنه شعاع نجم شارد يبحث عن مصدره الذي لم يعد له وجود..

أكثر ما استرعى انتباهي، بل آلمني، وأنا أقتنص فرصي الفاشلة للحاق بهذا الرجل، هو هذه اللامبالاة وهذا التجاهل القاتل، الذي لم ألق له تفسيرا، خاصة من قبل معارفه، وأصدقائه الذين يملأون الطرقات..فلا أحد من هؤلاء الحمقى، تفاجأ لوجوده أو أعار اهتماما لهذا الزائر المدهش القادم من المجهول، والذي يتسكع معهم الآن في شوارعهم. لوحت لهم بيدي..ناديتهم بأسمائهم..أشرت إليه..علهم يلقون له بالا، لكن لا حياة لمن تنادي..

انعطف عن الطريق بزاوية خمس وأربعين درجة وهو يدير ظهره للمقهى..تمنيت لو أنه انعطف انعطافا حادا، حتى أتمكن من رؤية رقعة كبيرة من وجهه..لكنه للأسف لم يفعل ذلك..توقف عند حافة البحر، ظل يحملق في الأفق البعيد، لا ريب أنه اندهش من الركام الهائل من الأتربة والحجارة التي تسد الأفق.. حيث لم

يعد يلتقي الماء بالسماء. كم كانت دهشتي عظيمة حينما تذكرت أن هذا اليوم المشهود يصادف موسم صيد التونة..حتى أنني حسبت هذا الرجل على موعد مع أشباح ، تلك المراكب القادمة من العدم لاستئناف رحلة من رحلات صيدهماالموسمية التي لا تنتهي.. تماما كما فعلت أنا منذ ما يقارب أربعين سنة..حينما كنت أقف ساعات طوالا فوق "الحجرة المربعة" في موسم صيد "التونة" ، منتظرا عودة سفن "المضرابة"* من الصيد، كي أتفرج على حمولاتها من تلك الأسماك الزرقاء، العملاقة، والمدهشة، وأيضا كي أحمل عن أبي رغم معارضته الشديدة، "قفته" الممتلئة بشرائح مفترضة من لحم التونة ..لا أخفيكم سرا، فعند كل رحلة صيد كنت أدعو الله أن يتمكن "الحوت القاتل" من اختراق "الزريبة"** التي تحاصر أسراب سمكة التونةهناك في المياه المفتوحة ، لتنهش أكبر عدد منها.. فيقتسم البحارة الأسماك "المشوهة" بالتساوي ويعود أبي بشرائح أكبر من لحم هذه السمكة الشهية.. "لعلمكم، فأسماك التونة الضخمة والسليمة تجمد وترسل مباشرة لإسبانيا، أما الصغيرة والهزيلة فتوزع على المستخدمين..خصوصا تلك التي عاثت فيها ضواري البحر فسادا "،هكذا أسر والدي لأمي ذات ليلة وهو يقطع شرائح رقيقة من لحم التونة، "لتشرملها" أمي كعادتها قبل قليها على نار هادئة..كان عشاء ملكيا..أذكر أنني أكلت بشراهة تلك الليلة، حتى التخمة..أصبت بعدها بإسهال حاد، لازمني لأكثر من ثلاثة أيام..

كان قلبي لا يلبث أن يخفق بعنف شديد، حينما تلوح سفن "المضرابة"، من بعد سحيق، فتبدو مثل لعب الأطفال، وهي تخترق كتل البخار المتصاعد إلى السماء، وتكافح باستماتة كي تجتاز بسلام سلاسل من جبال مائية، مزبدة. حينها أكتفي بأمنية واحدة..أؤمن عليها أكثر من سبعين مرة، وهي عودة والدي وسائر العمال سالمين.. تظهر سفينة "طنجيس" في الطليعة.. تتبعها سفينة "أتيلا" ثم تليهما "فاطمة"..يحدث في بعض الأحايين وهذا نادر جدا أن تكون "أتيلا" أو فاطمة في المقدمة.. وهذا ما جعل أبي يفضل العمل على متن "طنجيس"، "إنها الأسرع دائما، والأقوى على تحمل الأنواء والعواصف المفاجئة.."كما تعود أبي أن يقول..

يومها لم أفهم سبب تعلق هذا الرجل الفلاح بالبحر، وولعه الشديد بصيد سمكة التونة..فرغم ما يحف هذه الحرفة من مخاطر ومصاعب، إلا أنه تشبث بها وشد عليها بالنواجذ، حتى بعد رحيل "الأسطول الإسباني" نهائيا عن بلدتنا ، متوجها إلى شواطئ "رينكون"..حتى أنني تخيلت أبي هكذا وكأنه برغم من براغم هياكل سفنهم العملاقة، ويصعب قلعه. كانت تمر علينا أيام عدة دون أن نعلم عن والدنا شيئا، إلى أن يقدم قادم ما من "رينكون" ليبلغنا سلامه ويسلمنا ظرفا صغيرا يحوي بعض الأوراق النقدية..

توقعت من هذا الرجل أن يزور المدينة العتيقة، وأن يمر بحينا القديم، بمحاذاة الزقاق الضيق حيث بيتنا السابق..وهذا ما حصل بالفعل..لكن ما لم أتوقعه، هو مكوثه الطويل أمام تلك البناية..والذي استغرق أكثر من عشرين دقيقة..شعرت بارتباكه وحيرته وهو يتفرس البناية الغريبة التي نبتت مكان بيتنا..ومن حقه أن يحتار.. فهذا النزل الذي يمتلكه ذلك العجوز الألماني، والذي شيد على أنقاض منزلنا، شكل نشازا في هذا الحي وكأنه ذيل حرباء نبت على خد فتاة حسناء. كاد قلبي أن يقفز من مكانه، حينما دار أبي دورة كاملة حول نفسه.. كانت تلك المرة الأولى التي أحظى فيها بمشاهدة وجهه كاملا، بعد أكثر من عقدين من الزمن من رحيله..فهذه الملامح تعود لوجه أبي ما في ذلك شك، فلا زلت أتذكر تضاريسه جيدا..أعني وجهه القمحي، الحليق والأنيق دائما..شاربيه القصيرين، الرفيعين، واللذين شذبهما حلاقه بعناية وحرفية عالية، ويبدوان للعيان وكأنهما خطا

بريشة فنان..حاجبيه الكثيفين، المتشابكين، الشبيهين بحقل حنطة..عينيه الصقراوين ثاقبتي النظرات..أنفه المعتدل الطول، المرتفع، والمقوس قليلا..

أخيرا مكنني أبي من رؤية وجهه كاملا..أشعرني ذلك ببهجة لا توصف.. طمعت بعدها أن يشملني بعفوه الوارف، فأخترق الحجب ويتم الوصال..فاندفعت نحوه جاريا..لعلي أحظى منه بدعاء يخترق حجب السماء.. بعناق حار يذيب جليدا من الجحود والجفاء..لكنني كنت واهما..وجدتني أتصبب عرقا دون أن أتزحزح عن مكاني قيد أنملة. كانت الشمس قد بدأت تلتقط سرابيلها الأرجوانية بعجلة وهي تفسح الطريق للعتمة..بدا شاحبا، مثل صورة قديمة..مثل ظل يبحث عن صاحبه، وهو يحث الخطى.. وكأنه في عجلة من أمره..سلكت معه طريقا مختصرا..جاريته..كنت ألاحقه صعودا، فعلمت أنه يبتغي روضة "الريحان"..وعندما وقف عند بابها الحديدي المقفل، شعرت كأنه يبعد عني بأكثر من سبعين فرسخا، فقد بدأ يتبدد ويتلاشى شيئا فشيئا، مثل الضباب..رغم ذلك فقد فعلها ثانية لكن بشكل أروع هذه المرة..فقد استدار نحوي باسما، فرأيت وجها كامل الإضاءة والرضا..يلفه السلام والسكينة، ثم خطا خطوتين قبل أن يتوقف ليتفحص باب المقبرة وسورها ..وكأنه يقيس ارتفاعهما..فظننت أنه ينوي تسلق الجدار..لكن حدث شيء ولا في الأحلام..لقد مر من خلال الباب الحديدي المقفل بإحكام، عبره واجتازه بكل بساطة.. اخترقه بسهولة ويسر..دون أن يترك فيه أي فجوة أو ثغرة، أو أن يحدث أي ضجة...

اكتشفت وأنا في طريقي إلى الديار، أنني لم أكن وحدي، بل كان برفقتي شيء من أريج "العَطِرشة" وبعض من ذرات فواحة من عبير الريحان .. وقد حظيت بضيافتي سبعة أيام بلياليها.. وكانت... تلك المرة الأخيرة، التي أحظى فيها بمشاهدة ذاك الرجل الحي..

* نبتة زكية الرائحة، مورقة، خضراء، دأب بعض الناس غرسها على قبور موتاهم، اعتقادا منهم أنها تجلب لهم الرحمة..

** سفن صيد تقليدية /إسبانية/ مخصصة لصيد سمكة التونة..

* شبكة صيد خاصة لصيد سمكة التونة..

منشورات مدى

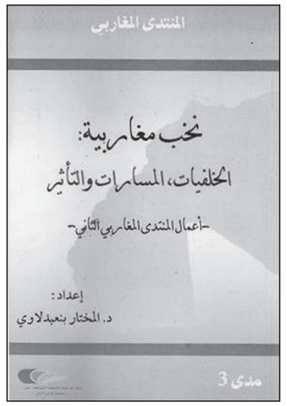

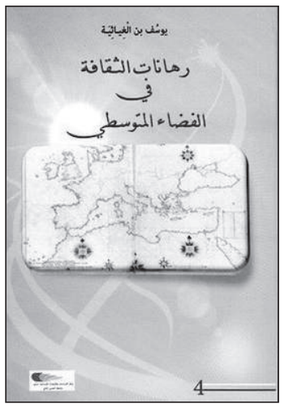

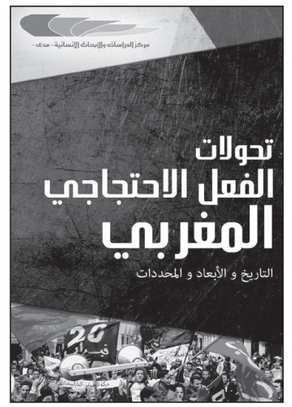

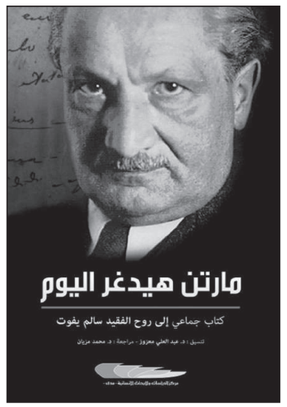

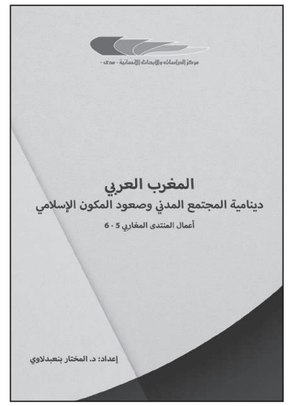

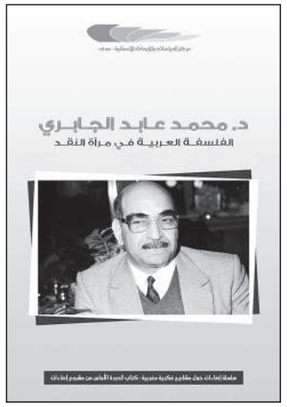

أخر أعداد مجلة رهانات

العدد 50-51

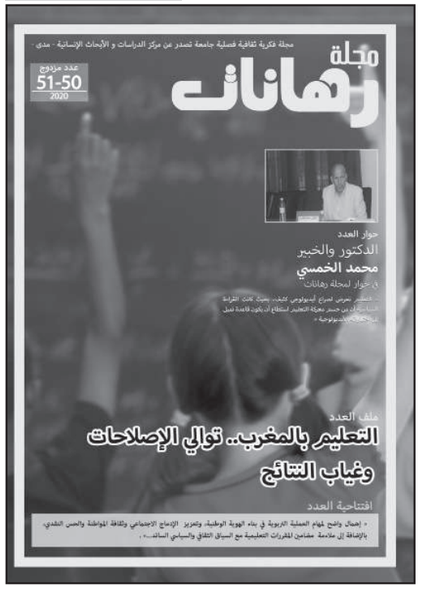

العدد 52

العدد 53

العدد 54